

# آدم

## من وحي القرآن والسنة

تأليف  
أ.د. عقيل حسين عقيل  
2017م

## المحتويات

4	المقدمة
28	آدم من وحي القرآن
29	حوار الإنبياء قبل خلق آدم
33	حوار ما بعد الخلق:
35	آدم خلق أول:
97	من صفات النبي آدم
128	نسب آدم:
143	التسوية:
151	قضية حواء من ضلع آدم:
151	النفس أمانة بالسوء:
152	النفس هابوية:
154	النفس زكية:
155	النفس مجادلة:
156	النفس مفرطة:
156	النفس مطمئنة:
161	النفس مجزية:
162	النفس عاملة:
163	النفس ماكرة:
163	النفس مكيدة:
164	النفس مكلفة:
165	النفس مسيئة:
165	النفس مستبصرة:
166	النفس سفيهة:
169	النفس ظالمة:
171	النفس المراودة:
171	النفس المتحسرة:
172	النفس المتوجسة:
172	النفس البخيلة:
173	النفس الناكثة:
173	النفس الوسوسة:
174	النفس المؤثرة:
175	النفس الشحيحة:
176	النفس السوية:
176	النفس اللوامة:
178	النفس العادلة:

187	زوج آدم:
189	الاستواء الكوني:
193	الهبوط من مراحل الاستواء:
195	الاستواء السلبي إلى النار:
201	الماء من أسس خلق آدم:
204	روح آدم:
213	تسمية آدم:
216	السجود لآدم:
218	اعتبارات خطاب السجود والاستخلاف:
219	ما أفضى إليه الخطاب الإلهي:
229	وقوع آدم وزوجه في المعصية:
230	اجتناب آدم وقبول توبته:
233	علم آدم:
255	تعليم آدم:
272	نبوة آدم:
278	فضائل آدم:
295	نبوة آدم نبوة كافة:
308	ابتلاءات آدم:
327	علاقة آدم بزوجه:
385	آدم من السنّة
385	خلق آدم:
389	خلق آدم بيد الله:
391	ارتقاء الخلق الأدمي:
394	آدم وأمل العودة:
402	تأسيس البيت الحرام:
406	حديث قصّة البيت:
409	آدم مغفور له:
413	العداء مع الشيطان:
414	موت آدم:
417	طينة خلق آدم:
420	آدم وزوجه:
422	آدم حمل الأمانة:

## المقدمة

بسم الله الفتح يتقبل الله جهدنا البحثي ودعائنا، وبعد:  
يقتضي البحث في قصص أنبياء الله فهم النص القرآني وفق معيار روح  
القرآن الذي يخاطب العقل الإنساني في كل زمان ومكان، دون تغييب له  
أو فرض سلطة عليه تحد من دوره في التعاطي مع جوهر الكون والتعامل  
معه، تأسيسا على أن الإنسان خليفة الله في الأرض، الذي عليه أن  
يتدبر بعقل وبحكمة ومنطق مصداقا لقوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ  
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} 1.

ومن تدبر القرآن يصل الباحث عن الحقيقة إلى كون الأنبياء منزهين عن  
النقائص التي ألصقت بهم عبر فهم خاطئ لنص القرآن انطلاقا من  
ثوابت واهية تسلت في غيبة من العقل إلى بعض من كتب المفسرين التي  
أثبتت ما لا يجب في حق الأنبياء وأنزلتهم إلى دركات لا تنبغي لهم ولا  
حتى لغيرهم.

لذا بين الله الآيات العظام التي جاء بها الأنبياء لفهم روح رسالة الإنسان  
وفق مناهج إلهية ترفع من قدر الإنسان وعقله ولا ينحط به في ظلمات  
التجهيل والتغييب؛ فكانت دعوته تعالى لفهم معالم الكون بعقلانية  
مصداقا لقوله تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} 2.

وعلى ما تقدم كان أبو البشر آدم صَلَّى الله عليه وسلّم مدار بحث،  
وتأمل، ومراجعة، وتصويب.

1 . بحث:

---

1 محمد 24.

2 البقرة 242.

في ذاكرة الوعي الفردي والجمعي مما تحمل من أكداس معرفية عن آدم بعضها مصدره كتب اليهود والنصارى التي استطاعت أن تسلل لتتمركز في الخزين المعرفي نقول غير ممنهجة تمّ حشو بعض الكتب بها، وعليه فقد تلقته عقول العامة ولا نبالغ إذا قلنا بعض الخاصة، فاعتقد من تلقى هذه الموجات المخلوطة بالإسرائيليات أنّها تعبّر عن الصواب في عمومها عن آدم وزوجه وابنيه وهي ليست كذلك.

2. تأمل:

ينطلق لسبر غور تساؤلات تختلج في أعماق النفس تفضي لخلخلة في موروثات عقلية (الواهمة الواهية) في ذات الوقت تكونت عبر خيوط عنكبوية مما حيك حول آدم بشكل أقرب للخيال الخرافي وبين ما يتسق ومدخلات العقل ومخرجات المنطق ليفضي ذلك إلى الوصول لصورة معقولة عن أبي البشر، مقبولة في العقل بانبساط فكري معتدل لا مردولة فيه تأنّ تحت ضغط قيود الموروث المشوّه، فلا يقوى العقل على تقبلها ولا يقدر على اجتيازها.

وقد دفعت الرّغبة في التأمل الجاد إلى تساؤلات منها:

- أ يحتاج هذا المنقول المعرفي إلى إعادة نظر أم لا؟

- أ يحتاج قبوله كما هو؟

- أم تنقيته؟

- أم تصفيته؟

- أم رفضه؟

- أم إعادة صياغته؟

- أم التحول عنه إلى مصدر موثوق؟

فآثرنا التعويل على مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكان القرآن الكريم وسبقه مصدرنا الأوّل الذي نستقي منه لنروي ظمأ البحث.

والتمييز بين الحقّ والباطل وفق حوار يقبل به الإنسان مع التقدير  
لخصوصية دينه وجنسه ولغته، بوسيلة أعطاها الله لاستبانة السبيل  
(العقل) وهذه هي سبيل الدّعوة حجّة بحجّة، ورأي برأي ومنطق  
وموضوعية لا تعصّب ولا إكراه مصداقا لقوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي  
أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ} 3.

ولما كان هذا هو السبيل (الدّعوة ببصيرة) فقد ألزمتنا أنفسنا به.  
3 .مراجعة:

إنّ نبي الله آدم من خلال ما كتب عنه وحوله قد اتسمت صورته المعرفية  
لدى عموم النّاس بالغموض أحيانا، وبالاضطراب أحيانا أخرى وبضبابية  
تفسير المواقف التي مرّت بآدم ومرّ آدم بها.  
فآدم لم يسم ابنه عبد الحرث.  
وآدم لم تغوه زوجته.  
وزوجه لم يغوها إبليس بغرض إغواء آدم.  
وآدم ليس المستول عن خطيئة البشر.  
وزوج آدم ليست أقل مرتبة منه في الخلق.  
فآدم المجمعول خليفة بالعلم.  
آدم المتحدث لغة السّماء.  
الملائكة منزّهون عن كبر المعصية.  
مرتبة الطّاعة رفعت الملائكة.  
كبر المعصية أذلّ إبليس  
علم آدم فاق علم الجنّ والملائكة.  
آدم مسجود له مرتان.

---

<sup>3</sup> يوسف 108.

سجود الخلق، وسجود الاستخلاف.

هذا وغيره من قضايا قد تناولناها من خلال القرآن الكريم والعقل المستنير الذي يرضى بالحقّ الذي يؤسّس على كتاب الله وسنة نبيه صلّى الله عليه وسلّم ويتوافق مع لغة العصر وحوار العقل، لا النقل المشوّه والتعصّب الأعمى.

4. تصويب:

أردنا أن ننظر إلى كلّ ما تقدّم على هذا البحث زما لنعرض شخصية سيدنا آدم وفق صورته القرآنية وما جاء في السنّة الشريفة. وكذلك زوجه عليها السّلام وما قيل عنها ينتقص من حقّها وهي المخلوقة على المساواة مع آدم، العاملة بعلمه، الخليفة معه، أم البشر جميعا التي قيل عنها حواء مع أنّها لم تذكر مسمى في القرآن الكريم. وابنيه (وهما الآخران لم يسميا قابيل وهاييل في القرآن الكريم) وما مرّ به من طاعة ومعصية وما أثير حولهما وما ألصق بهما وهما على السّواء منه براء، مع الإقرار بطاعة الطائع ومعصية العاصي.

فكان البحث في شخصية آدم وفق منهج قرآني وهدى نبوي بعقل إنساني يخاطب الإنسان بلغة العقل لا بلغة التعصّب للإكراه على قبول صورة عبر مرآة مهشمة تحت مطرقة العقل الذي لا يقبل بالمشوه بل يقبل بالمستوى ويرضخ له مصداقا لقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} 4؛ فهل المخلوق في أحسن تقويم يتقبل المشوه في أسوأ تشويه؟

فالآن آن حوار العقل الذي ازدان به الإنسان أن يخاطب بقاعدة نصّ عليها المولى عزّ وجلّ؛ فقال سبحانه وتعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ

---

4 التين 4.

الرُّشْدُ مِنَ الْعَيِّ {5}، ونحن قد آمنا بكتاب صفته الهدى، يقول المولى سبحانه عن كتابه: {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} 6. فكان هدينا بالله وبكتابه وبسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الكتاب الذي تناول (آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ).

خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْجَنَّةِ عِنْدَمَا كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مَرْتَقَةً؛ فَكَانَ خَلْقُهُ مِنْ طِينٍ مِنْ صَلْصَالِ كَالْفَخَّارِ، {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} 7، وَالصَّلْصَالُ لَمْ يَكُنْ فَخَّارًا، بَلْ يَشْبَهُهُ؛ فَجَاءَ التَّشْبِيهُ لِتَقْرِيبِ الْمَعْنَى وَالتَّعْرِيفِ بِالْمُشَبَّهِ (كَالْفَخَّارِ)، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ ارْتَبَطَ الصَّلْصَالُ بِالتَّوَعُّبِ الرَّاقِيَةِ وَالْجُودَةِ الرَّفِيعَةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ" 8، أَي كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ مِنْ صَلْصَالِ كَالْفَخَّارِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: "خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ جَمِيعَهَا مِنْ أَسْوَدِهَا وَأَحْمَرِهَا وَأَبْيَضِهَا وَطَيِّبِهَا وَلَيِّنِهَا وَغَلِيظِهَا وَسَبَاحِهَا فَكُلُّ ذَلِكَ أَنْتَ رَأَيْ فِي وَوَلَدِهِ" 9

والتساؤل: كيف يفكّ اللبس بين مفهوم خلق آدم في الجنة وخطيئته هناك، وبين خلقه من تراب الأرض؟

الأرض التي نشأ آدم وزوجه منها كانت في زمن الرّتق مع السّمَاوَاتِ قطعة من الجنة، ولذلك؛ فطينة خلق آدم وزوجه هي من طين الجنة قبل أن تنفصل الأرض عنها، وتصبح دُنْيَا (سفلى)، ولكن بعد أن أهبط بهما

<sup>5</sup> البقرة 256.

<sup>6</sup> الجن 2.

<sup>7</sup> الرحمن 14.

<sup>8</sup> المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، 1، 153.

<sup>9</sup> العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، 5، 1547.



ويعن معهما من أزواج، لم تبق الأرض قطعة جنة، ولذا؛ فآدم وزوجه لم يخلقا من الأرض بعد إنفثاقها من ذلك الوجود الأول (سماوات وأرضين)، بل خلق من الأرض قبل الانفثاق العظيم، {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} 10. ولا شك أن البقاء في الجنة بقاء في النعيم، أما البقاء في الأرض بعد انفثاقها من السماوات أصبحت دنيا، ولم تعد عليا كما كانت جنة.

إن الأرض بعد هبوطها والأزواج التي على ظهرها سلبت من نعيم الجنة، ولم يترك لها إلا شيء من الماء الكفيل بحياة الأزواج المتكاثرة في الحياة الدنيا، {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا} 11. أي: أن السماوات والأرض عندما كانت مترتقة في وحدة الوجود العظيم كانت قطعة جنة، ولكن بعد أن فتقت؛ فلم يفتق معها من نعيم الجنة إلا الماء، الذي يحفظ الأحياء على الحياة الدنيا، (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا).

ولأن نشوء الإنس نشوء غير كامل؛ فكانت الخطيئة من الإنسان الأول (أصل السلالة البشرية)، ولذلك، لو أخذ آدم بأمر النهي، وبقي ممتنعا عن الأكل من تلك الشجرة، لكانت حياته مثل خلقه في النعيم، {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} 12، ولكن التساؤل:

متى بدأت الحياة على الأرض؟

خلق آدم هو الخلق الأول، وهو النبي المرسل للملائكة والجن والإنس جميعا، (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ). فلما أنبأهم سجد الملائكة إلا

---

10 طه 117.

11 الأنبياء 30.

12 طه 121.

إِبْلِيسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلا هل هناك من يشك في أن الذي سجد الملائكة له، لم يكن على الارتقاء مفضلاً؟

ومع أن الإنسان الأول حُلق من الأرض؛ لكنّه لم يُخلق من أرضٍ رمادٍ (عدم)، ولا من الأرض الدنيا، بل حُلق من الأرض العليا التي ترابها وطينها وصلصاها جنة. ولذلك؛ فحياة الإنسان الأول كانت حياة عليا، أما الحياة على الأرض الدنيا فهي الحياة السفلى.

أي: بمقارنة ذلك النعيم مع ما يتوقّر على سطح الأرض الدنيا؛ فلا مقارنة، وهنا، تكمن سفلية الحياة الدنيا، وفي المقابل ترتقي حياة النعيم وتعلو.

ولذلك، في الأرض العليا (المرتقة مع السماوات) كان نشوء الحياة فيها من كل زوجين اثنين، وقبل الزّوجين كان الملائكة والجنّ من خلّاتق الجنة، ولكن نتيجة الإغواء الذي شبّ بين الإنس والجنّ أهبط بهما والأرض حيث أصبحت أرضاً دُنيا بعد أن كانت أرضاً عليا، وظلّت الملائكة في السماوات العليا غير مخالفة لأمر الخالق، وهي لا تتنزل للأرض إلا لأمرٍ. { تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ } 13، أي: كلما لزم أمر تنزلها تُنزل، { يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ } 14.

فالأرض بعد أن أصبحت دُنيا قلّ شأنها عمّا كانت عليه، وذلك بفقدانها صفات الجنة التي لم يعدّ منها شيئا، إلا شيء من الماء، { أَنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } 15؛ فالأرض حُلقت وهيأت للحياة العليا، ثمّ فُتقت بما هيأت به للحياة الدنيا، فكان الانفتاق العظيم انفتاق أكوان (سماوات وأرضين)

---

<sup>13</sup> القدر 4.

<sup>14</sup> آل عمران 124.

<sup>15</sup> الأنبياء 30.

وهو التَّشْوِءُ العَظِيمُ، الذي به تَمَدَّدُ الكونُ متسارعاً في اتساعه، وإِنَّه لمن الصَّعْبُ معرفة أسرارهِ إِلَّا مَوْشِرَاتٍ.

ولأنَّ الإنسانَ الأوَّلَ (آدم) قد حُلِقَ في أحسنِ تَقْوِيمٍ؛ فهو من حميِّ مسنون، (من مادَّة ذات جودة عالية) حيث لا شائبة، ومن ثمَّ؛ فلا طين يماثلها؛ فالطين الذي حُلِقَ منه الإنسان من صلصال (أرقى أنواع الطين).

فحُلِقَ الإنسان مُفضَّلاً على جميع المخلوقات بما فيها الملائكة والجنَّ. {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 16.

ولأنَّ الإنسان هو المفضَّلُ خَلْقاً؛ فعَلَّمَهُ اللهُ نبأ ما لم يعلمه الملائكة، {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} 17.

ولأنَّ خلق آدم كان أكثر ارتقاء من غيره، سجد الملائكة إليه طاعة لأمر الله، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا} 18، أي: بأسباب الخلق ارتقاء والنبأ العظيم الذي تلقاه آدم من ربه، سجد الملائكة له طاعة للنبأ الذي أنبأه الله به.

ولأنَّ الجنسَ الآدمي هو المفضَّلُ ارتقاءً، كان آدم نبياً للملائكة والجنَّ والإنس جميعاً، (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ). فلما أنبأهم سجد الملائكة

---

<sup>16</sup> البقرة 30.

<sup>17</sup> البقرة 31 . 33.

<sup>18</sup> البقرة 34.

إِلَّا إِبْلِيسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلا هل هناك من يشكّ في أنّ الذي سجد الملائكة له، لم يكن على الارتقاء مفضّلاً؟

أما الخلق الثاني: فهو الخلق المؤسّس على النطفة (الماء الدافق) { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ }<sup>19</sup>. وهذا الخلق هو الخلق التزاوجي، الذي يختلف عن ذلك الخلق المصلصل، ممّا جعل السلالة الثانية تختلف عن السلالة الأولى؛ فالسلالة الأولى: من طينٍ لازب، والسلالة الثانية: من ماءٍ دافق ومهين، { ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ }<sup>20</sup>.

ولأنّ الإنسان حُلق على الارتقاء؛ فينبغي أن يكون عليه قمة وكأته كبد الكون، { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ }<sup>21</sup>، أي: حُلق الإنسان على المحبة؛ فينبغي أن يكون عليها كبدا تتألم مع من يتألم، وتأمل الخير مع من يأمله، وتعمل في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع على تحقيقه، وكذلك ينبغي أن تسعد مع من يسعد، وتسعى استقامة واعتدالا ولا مظالم؛ فتجمع ما تفرّق من أجل إعادة قيمة الإنسان وحفظ كرامته، وما يؤدي به إلى الرفعة والارتقاء.

ومع أنّ جميع الأنبياء قد اصطفاهم الله تعالى، ولكن بينهم درجات، قال تعالى: { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ }<sup>22</sup>، إنهم الأنبياء عظيم ومن بعده عظيم، ولهذا فهم متى ما التقوا يلتقون على التقدير والاعتبار؛ فعن الحسن، عن جندب، أو غيره أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "لَقِيَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ،

<sup>19</sup> النحل 4.

<sup>20</sup> السجدة 8.

<sup>21</sup> البلد 4.

<sup>22</sup> البقرة 253.

وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، وَأَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟  
فَقَالَ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَكَلَّمَكَ، وَأَتَاكَ التَّوْرَةَ،  
فَأَنَا أَقْدَمُ أَمِ الذِّكْرِ؟ قَالَ: بَلِ الذِّكْرِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ: فَحَاجَّ آدَمُ مُوسَى. "23

فآدم عليه الصلاة والسلام هو أوّل الخلق الأنسي، ومن هنا فهو المفضل  
خلقا أوّل، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْضَلُ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ  
الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ النَّفْحَةُ وَفِيهِ الصَّعَقَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ  
مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ" 24.

والله سبحانه وتعالى هو الأوّل الذي يُعَد ولا يتعدد، فيمكن أن يُعَد  
بقولنا الله واحد أحد الفرد الصّمد، وقد وصف الله تعالى نفسه بالأحدية  
على لسان رسوله الكريم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حينما سُئِلَ عن الله  
فقال: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ} 25، وبالمقابل لا يمكن أن يتعدد  
فلو كان هناك العديد من الآلهة أو كان هناك حتى إله آخر فما كان هو  
الأوّل كما هو، ولتضاربت الأمزجة والقدرات ففسد الكون وأختل نظامه  
وذهب كل إله بما أراد، قال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا  
فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} 26، وهو الأوّل والأوحد الذي  
تعددت صفاته وأفعاله فهو القادر على فعل كل شيء في آن واحد فلا  
يقف الزمان ولا المكان عائقا أمام إرادته وقدرته عزّ وجلّ، قال تعالى:  
{فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ} 27.

<sup>23</sup> مسند ابن الجعد، ص، 164.

<sup>24</sup> الأحاد والمثنائي لابن أبي عاصم، 3، ص 217.

<sup>25</sup> الإخلاص 1، 2.

<sup>26</sup> الأنبياء 22.

<sup>27</sup> البروج 16.

وبما أنّ الله فردٌ صمد لا يتعدد فمن البديهي أن يكون أوّلا فليس هناك من يسبقه أو من يليه، فحكمه لا يتوارث بل هو ملكٌ أزلي لا ينازعه فيه أحد، وليس هناك من يشبهه ولا يُقارن به ومن كان على ذلك فهو الأوّل بلا منافسٍ له ولا منازع.

والأوّل هو الذي لا تأتي الأعداد قبله ولا يتأثر بالإضافة والنقص، فالواحد هو الأوّل الذي يؤثر فيما سواه ولا يتأثر بما سواه، فالعدد واحد عندما نضيفه إلى نفسه أو نكرره مرتين يتكون العدد اثنين وبزيادة واحد إلى الاثنين يتكون العدد ثلاثة وبذلك تكون النتيجة أنّ العدد واحد هو المرّكب والمكوّن لكلّ الأعداد التي بعده وهي تتأثر به زيادة فيكون عددا جديدا أو نقصا فيكون عددا سابقا، فمثلا العدد ثلاثة عندما ننقص منه واحد ينتج العدد اثنين وفي حال زيادة واحد على العدد ثلاثة يتكون العدد الجديد أربعة، وبهذا يكون الواحد هو الجزء الأوّل وبأولويته يكون مؤثرا في تركيب الأعداد، في حين أنه لا يتأثر بها لأنه غير مركب، ولو كان العدد واحد مركبا لتغير وتبدل من حال لحال آخر بدخول المؤثرات عليه سلبا وإيجابا.

ومع أنّ آدم وزوجه أوّل مخلوقين خلقا، وأنّ آدم أوّل نبيأ أرسل للملائكة والجن والإنس، ولكنّه لم يخلق على الكمال؛ فالكمال لله وحده، ولهذا فارتكاب الأخطاء بالنسبة لأبونا آدم صلّى الله عليه وسلّم هو دليل على عدم الكمال، ومع ذلك فأخطاه لم تكن غاية في ذاته، بل لأنّه بشر، ولأنّه بشر فهو مُعرّض لأنّ يصيب ويخطأ، ولا عيب في ذلك، ولكن العيب أن يتمسك الإنسان بما يرتكبه من أخطأ، ولهذا فأبونا آدم عندما اكتشف أخطائه عمل على تصحيح مواقفه من الخطيئة فاستغفر ربّه فتاب عليه وغفر له ذنبه.

وارتكاب الأخطاء لا يكون إلّا دليل على عدم الكمال؛ فالكمال لله وحده، ولأن الأمر كذلك؛ فلا بدّ وأن يكون الذي ليس له كمال من أن

يخطأ كما أخطأ أبونا آدم صلى الله عليه وسلم. والأخطاء هي التي تأتي من ورائها المفسد في الأرض وقتل النفس بغير حق، ولذا فإن بعض من أبناء آدم ورثوا على غير كمال صفة الإفساد في الأرض وقتل النفس التي حرم الله بغير حق. قال تعالى: {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ} 28، وامتد ارتكاب الأخطاء إلى بعض من ذريته مصداقا لقوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِبِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا} 29.

الأخطاء انحرافات في الاتجاهات السالبة قيما، ولذلك فالأخطاء تُرتكب من قبل الذين لا يُرشدون في تفكيرهم أو لا يحسنون التدبير، والخطأ الذي لا عمَدَ فيه يُكفَّر عنه فيصح وقد يُغتفر، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} 30.

وعليه فالأفعال العمدية لا يُكفَّر عنها ولا تُغتفر إلا أن يشاء الله. ولأنَّ أبونا آدم بشر فهو معرض للوسوسة التي هي واحدة من أوجه عدم كماله، فالوسوسة خيارات على غير حق، وتزيين لما هو باطل، الغاية من ورائها الإفساد والعصيان ومحاولة التحييد عن الصبغة التي يريدتها الله لما خلق من خلق متميّز على حُسن التقويم، ولذا فهي عمل من أعمال المكائد التي يقوم بها المكيدون والمكرون والحاسدين والضالين والذين هم

28 المائدة 29، 30.

29 الجن 6، 7.

30 النساء 92.

بربهم يكفرون، قال تعالى: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَؤَاهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} 31.

بدون شك هناك علاقة قوية بين الوسوسة والضعف وبين الضعف والطمع وبين الطمع والظلم وإلا لِمَاذَا لم يحمّد الإنسان ربّه على ما أعطاه من نعم لا تُحصى، قال تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} 32؛ فكيف لأبونا آدم ألا يطيع الأمر بأن ينتهي عمّا نهاه الله عنه وهو ألا يقرب تلك الشجرة المنهي عنها.

ولأنّ آدم خلّق بشرا وغير كامل فغوى، والإغواء هنا هو: تقديم المغريات بغير حقّ، ومن يقبل بذلك يجد نفسه على غير سبيل الحقّ، ولذا فالإغواء تزيين الباطل بمظاهر الحقّ كتزيين الكذب بمظاهر الصدق ممّا يجعل الإنسان تاركا للنهي الذي فيه خير كثير كما ترك أبونا آدم نهي الله له بأن لا يقرب زوجته تلك الشجرة التي قاسمهما إبليس بشأنها حتى أكلا منها دون أن يلتفتا إلى أمر النهي العظيم (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ).

{وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ} 33. الإغواء لا يتم إلا من الآخر غير المهتدي بالحقّ للحقّ سواء أكان من ذات النوع أم من غيره، وغوى آدم صلّى الله عليه وسلّم جاءه بمسببات من الغير (من إبليس) لعنه الله تعالى، والغي مفسدة للقيم والأخلاق وفيه ضلال عن الهداية وعن اتباع الحقّ، وهو

---

<sup>31</sup> طه 120، 121.

<sup>32</sup> الأعراف 19.

<sup>33</sup> طه 121.



عدم الانتهاء عن الاقتراب من المنهي عنه، ولذا فهو في مقابل المعنى الدلالي للرشد الذي يُمكن من التدبُّر والاختيار الصائب.

والإغواء انسياق وراء ما لا يجب الانسياق وراءه؛ فأدم الذي انساق وراء وسوسة الشيطان ضل السبيل الذي من أجله خلق ليكون خليفة، ولهذا كانت نتيجة اتباعه لوسوسة الشيطان أن ضل ضلال بعيداً فأخطأ خطأ عظيماً.

المستوى الإغوائي: قبل الحديث عن هذا المستوى نقول أنّ الله سبحانه وتعالى أتم نعمته على آدم فحذره من الخطر الذي يحيق به وبزوجه وعليه فإنّ رقة العزم جعلت أبونا آدم غير مسيطرٍ على نفسه لتكون على الأمر المنهي عنه طائعة لخالقها، ومع أنّ السيطرة المطلقة خصّ بها الله تعالى نفسه الجليلة إلا أنّ في دائرة النسبية والممكن المتوقع وغير المتوقع ينبغي أن يكون الإنسان الذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم على درجة عالية من قوة العزم دون أن يسيطر على غيره بغير حقّ، وذلك لأنّ أمر السيطرة المطلقة بيد المسيطر المطلق جلّ جلاله، وفي مقابل ذلك يكون التذكير في دائرة الإرادة للذين هم غافلون عمّا يجب أداءه أو فعله، قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} 34.

ولأنّ الأفكار هي التي تغذي العواطف، وكلما تكاثرت الأفكار في قضية ما اشتدت العاطفة ودفعت الغريزة إلى ممارسة نشاطها، وممارسة نشاط الغريزة بدفع من العاطفة انطلاقاً من الفكرة يؤدّي إلى التهيؤ، لذلك فإنّ المتهيئات كامنة في العواطف بتعدد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوج نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة سُبات بحيث لا نشعر

---

<sup>34</sup> الغاشية 21 . 26.

بوجودها، وأما إذا اشتدت العواطف فإنها تستدعي معظم أفكار عقلها الخاصة بالحدث بمؤثرات خارجية عن طرق الإدراك الذي ينعكس شعورا داخليا يُوجج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل، ولكن عند أبونا آدم فالأمر غير ذلك، أمره مؤسس على الفعل (كن) فكان على ما هو عليه متهيئا ليتعلم من علم العليم المطلق جلّ جلاله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} 35.

الملائكة الذين لم يتهيئوا لِمَا هُيَأَ عَلَيْهِ آدَمَ لم يعلموا ما عَلَّمَهُ آدَمَ من أسرار عظيمة من الخالق الأعظم، ولذا فالملائكة غير مهيين علماء لتقبل أن يكون آدَمَ خليفة الله في أرضه وهم بعلمهم المحدود كانوا يعتقدون أنهم الأفضل المهياً لهذه المهمة، ولكن الله يعلم أنهم غير المهيين لذلك، بل المهياً لذلك هو آدَمَ الذي يعلم من علم الله الذي عَلَّمَهُ إِيَّاهُ ما لم يعلمه الملائكة الذين أجابوا قولاً (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

ولأنّه عزّ وجلّ هو العليم الحكيم قال للمتهيئ علماء (آدم) أنبئهم؛ فأنبأهم بما لم يكونوا يعلمون (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ

<sup>35</sup> البقرة 30 . 34.

بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ).

ولأنّ الملائكة هم المتهيئون لطاعة أمر الله سجدوا لأمر الله طائعين إلا إبليس كان متأبياً مستكبراً وهو من الكافرين الذين لم يكونوا متهيئين للسجود لأمر الله (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ).

وعلى المستوى البشري العام فإنّ نشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرًا يناسب قوة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوته ونشاطه، وعند صرف النظر عن الفكرة المنشطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي تدفع التهيؤ للظهور إلى حين ظهور المؤثر الخارجي مرة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذاكرة.

ولأنّ أبونا آدم عليه السلام لم يخلق على الكمال فكان النسيان صفته، ولذا فهو الذي يحمل المعذرة فيه لمن نسي ما نسي، ولأنّ النسيان؛ فلا ذنب في ذلك، وبناء على هذه القاعدة؛ فإنّ أبونا وسيدنا آدم صلّى الله عليه وسلّم لا يلحقه الذنب العظيم في مخالفته لأمر الاجتناب بما أنّه قد نسي، فلو كان عن عمدٍ لكان الذنب عظيم، ولهذا كفر الله عنه خطيئة النسيان وتاب عليه وهدى، قال تعالى، ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَتَسَبَّى وَمَنْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى {36}.

إذا النسيان فيه من السلبيات كما فيه من الإيجابيات، نسيان الألم موجب وعدم أخذ المواعظ منه سالب، نسيان الحق والعدل سالب، ونسيان الحقد والكره موجب وهكذا في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع تتكون مساحات أو فضاءات من السالب والموجب؛ فمن العيب أن ننسى ما وصى به نوح وإبراهيم ولقمان وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، والحمد لله تعالى أننا ننسى كل ما يؤدي إلى الأحزان عندما يفقد عزيز بأسباب قضاءه وقدره، فلولا نعمة النسيان علينا لبقى الجميع على حالة من الحزن طوال حياتهم بأسباب الموت التي هي حق ورحمة، ولأنها كذلك؛ فكان النسيان رحمة.

وهناك محطة أخرى لا ينبغي الاغفال عنها وهي تتمركز في السؤال الآتي:  
هل زوجه مخلوق من ضلعه؟

عبر الموروث من كتب التفاسير قرأنا: أن زوج آدم المسماة في بعض الكتب (حواء) من ضلع آدم.

ونقول: هذا القول لم يقم عليه دليل لا في القرآن ولا في قول النبي صلى الله عليه وسلم، أما ما جاء في كتب الصحاح: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"37.

وبناء على ما سبق نحن نقول:

- لا حواء اسم لزوج آدم.

<sup>36</sup> طه 115 .122.

<sup>37</sup> صحيح البخاري، ج 16، ص 184.

- ولا ضلع آدم مخلوق منه حواء.  
وعليه نقول:

- إنّ آدم نفس واحدة.

- إنّ زوجه نفس واحدة.

مصادقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ  
تَذَكَّرُونَ} 38.

- وبما أنّ حواء لم تخلق من ضلع آدم.

- فعيسى لم يخلق من ضلع مريم.

كما أنّ حواء خلقت من نفس آدم.

إذن، عيسى خلق من نفس مريم.

والنفس الواحدة خلقها الله بلا سابقة أبوة ولا أمومة ولا اتصال.

وعليه فلا محال أن يخلق من أي منهما بالكيفية التي يريدونها نفسا أخرى.

وهذا ما تجلت قدرته تعالى به في خلق عيسى، لأن مقومات الجسد في

التراب، ولكن مقومات النفس الواحدة فهي عند الله.

ومن الملاحظات الفارقة في خلق النفس:

أنّ الله قال في آيات (خلق) وفي آيات (أنشأ).

فالخلق يكون ابتداءً.

والإنشاء نمواً.

أمّا أمر روح آدم المنفوخة فيه من القضايا التي سكت عنها البعض وتكلم

آخرون، مع التأكيد أنّ هذه الروح بداية ليست لأدم مصادقا لقوله

تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 39.

لم يقل الخالق جلّ وعلا ونفخت فيه روحه، إنّما قال: (من روحي)، هذه

واحدة، والثانية فالتسوية ذات صلة وطيدة بالنفخ لأنّ المرحلتين تكادان

---

<sup>38</sup> الذاريات 49.

<sup>39</sup> الحجر 29.

تكونان واحدة (سويته ونفخت) ذلك أنّ التسوية والنفخ مقترنان لأنهما من تمام الخلق، وهذا القول قبل التسوية وقبل النفخ من الروح وهذا يدل على أنّ الحوار ليس مع آدم لأنّه لم يخلق بعد بل كان مع الذين خلقوا من قبل كما علمنا من القرآن الكريم مع الجن والملائكة وهذا يدل على أن تخليق البشر لا يتم إلا بأمرين:

أولاً: التسوية.

ثانياً: نفخ الروح.

وهذا حقّ لأنّ الإنسان مركب من جسد ونفس وروح.

وقوله تعالى: (ونفخت فيه من روحي) يدفع إلى تساؤلات منها:

ما الروح المنفوخة؟

وما نفخت؟

ولماذا استخدم اللفظ نفخ؟

وما دلالة كلمة نفخ؟

وما دلالتها في صيغة الماضي؟

ألا يعني في صيغة الماضي الدليل على حدوث الفعل في المستقبل وهذا من قدرة الخالق جلّ في علاه، ودلالة على حصول ما لم يحصل بعد، وهنا أنزل الله الفعل الماضي بدل المضارع لأنه في زمن الله كل الزمان سواء لأنّه سبحانه خالق الزّمن.

ثم نتساءل عن نفخت:

وماذا يشير اقترانها بتاء الفاعل؟

أهي تعني امتلاء شيء قابل للامتلاء؟

أهي تعني استعداد لقبول النفخ؟

ألا تعني الإعداد (التسوية) من البدء لقبول النفخ؟

وعلى ماذا يدل (من روحي) وليس (روحي)؟

هل النفخ خروج ودخول؟

وما المنفوخ؟

وما طبيعته؟

هل النفخ حلول الروح واتحادها؟

هل الروح جزء في جزء؟

هل الروح مخلوق من الله ليكون الإنسان حيًا بها؟

أهي خلق مثل آدم؟

أم ماذا تكون؟

من خلال التأمل في مشهد خطاب السجود والاستخلاف بين المخلوقات ذات الصلة الوثيقة بماضي الإنسان في الجنة وحاضره في الأرض ومستقبله بالعودة إلى الجنة منشأه أو إلى النار استنادا إلى نتيجة استخلافه في الأرض.

فقد انقسمت مخلوقات حضرة الخطاب الإلهي بين طائع مستفسر (الملائكة)، وعاص مجادل (إبليس) وخليفة لا يتكلم إلا بإذن ربه (آدم)، وبناءً على ذلك المشهد الخطابي تغيرت اعتبارات المخلوقات الثلاثة من قبل الخطاب وأثناء الخطاب وما بعد الخطاب بحيث رسم مستقبل كل مخلوق من المخلوقات بعد خطاب وتكليف الاستخلاف باعتبار الاستخلاف في الخطاب الإلهي إجمالاً:

1. التساوي التام.

. ما أفضى إليه الخطاب الإلهي:

عدم المساواة تأسيساً على موقف كل مخلوق في المخاطبة الإلهية فكان:

أ. استفسار وتسليم وسجود.

ب- خلاف وكفر وامتناع وطرده لرفض السجود للأمر الإلهي.

ج- صمت وطاعة وتكريم.

3 - متربّات ما بعد خطاب الاستخلاف وتمثّل في:

- اعتبار تفضيلي لآدم.

- هبوط منزلة إبليس وطرده من حضرة الخطاب الإلهي.
  - 4 - اعتبار التساوي من جديد بين آدم وإبليس وذلك بعد:
    - أ- وسوسة إبليس لآدم وزوجه.
    - ب- وقوع آدم وزوجه في المعصية.
    - ج- التساوي في هبوط آدم وزوجه وإبليس من الجنة إلى الأرض. وهنا تأتي مرحلة ما بعد الهبوط ويترتب عليها:
      - أ- هبوط واختبار.
      - ب- صراع وإصرار.
  - 5- وهذا يترتب عليه اعتبار أخير (في الآخرة) تفاضلي ليس فيه مساواة بل فيه.
    - أ- المراد للقرار (جنة أو نار)
    - ب- ضربّ الحجاب.
    - ج- تكريم وتنعيم.
    - د- عذاب وجحيم.
- الله علّم آدم:
- لا شك أنّ العلم لله مطلقا ولآدم التعليم في دائرة النسبية فالعلم الذي يعلمه الله لا يمكن أن يكون آدم قد تعلّمه، كما أنّ الله الكلام ولموسى التكليم، فعلم وكلم بنية واحدة صرفا ووزنا ونقول: دلالة كليهما في مجاله الفعلي مختلفة:
- فعلم الله يحيط بتعليم آدم.
  - وتعليم آدم لا يحيط بعلم الله.
  - وكلام الله يحيط بتكليم موسى.
  - وتكليم موسى لا يحيط بكلام الله.
  - وبصر الله يحيط بأبصار وبصيرة خلقه.
  - وإبصارا وبصيرة خلقه لا يحيطون ببصره.



وعلم الله الواسع رحمة بعباده وتجل من تجلياته الرحمانية ومن تجليات رحمته خلق الإنسان وتعليمه قال الله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} 40. وقلنا قبل ذلك في التسوية الكونية أنّ الله تجلّى باسمه الرحمن على خلقه رحمة بهم فالرحمن على العرش استوى.

والرحمن خلق خلقه رحمة بهم لقوله تعالى: {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ} 41.

والرحمن علم القرآن.

والقرآن رحمة وشفاء.

والرحمن خلق الإنسان.

وعلمه البيان.

ووضع الميزان.

فعلم آدم رحمة بآدم ورحمة بالملائكة والجن لأنهم أنبئوا من علم الرحمن الذي أعده للإنسان.

وعلم الله المطلق غيب.

ولا يعلم الغيب إلا الله:

أمّا ما يقال عن علم الملائكة بآدم وأفعاله فهو في مجال الخبر لا في مجال علم الغيب الذي يعتقد البعض أن الملائكة تعلمه.

ونقول لا يعلم الغيب إلا الله مصداقا لقوله تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} 42.

ولقد أطلع الله على ذلك الغيب للملائكة منه لا كله، فصار العلم

عندهم خبرا، فهم قالوا ما أطلعهم عليه من علم فصار العلم خبرا لأنّه

بين عالم عليهم وبين من عنده خبر.

---

40 الأعراف 156.

41 الملك 3.

42 النمل 65.

فقال الله للملائكة: (إيَّ جاعل في الأرض خليفة).  
نبوة آدم أوّل رسالة من السّماء إلى الأرض لإقامة الخلافة التي اصطفاه  
الله لها وميزه بها على سائر مخلوقاته في السّماء وكرّمه على سائر مخلوقات  
الأرض، مصداقا لقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ  
وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } 43.

إذن، نحن بين اصطفاء وتكريم، اصطفاء في السّماء وتكريم في الأرض  
لآدم وذريته مصداقا لقوله تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا  
تَفْضِيلًا } 44.

ولسائل أن يتساءل:

ما الفرق بين اصطفاء آدم وبين اصطفاء بقية الرّسل؟

نقول:

اصطفاء آدم من بين أنواع عدة في الخلق، أمّا اصطفاء الأنبياء من بين  
نوع واحد في الخلق.

واصطفاء آدم كان في السّماء.

واصطفاء الأنبياء كان على الأرض.

وهذا يدفعنا إلى التكريم:

فتكريم الأنبياء على الأرض من الله.

ولم يكن هذا التكريم كلي من الذين بعثوا فيهم، فقد تبلور تكريمهم بين  
ثلاث:

فريق آمن بهم وكرّمهم.

وفريق كفروا بهم وحالوا إلحاق الأذى بهم وفي بعض الأحيان آذوهم  
بالفعل.

---

<sup>43</sup> آل عمران 33.

<sup>44</sup> الإسراء 70.

وفريق لم يسمع بهم فلم يكرمهم ولم يلحق بهم الأذى.  
وهذه المواقف لا تزال شاخصة مع الأنبياء حتى الآن.  
أما آدم:

فقد كان اصطفاءؤه مرتبط بتكريمه مرتبط بعلمه مرتبط برسالته.  
فالاصطفاء لآدم كان في مكانين في السماء وفي الأرض  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وهو الموفق لما فيه الخير.  
أد عقيل حسين عقيل

القاهرة 2017م

## آدم

### من وحي القرآن

آدم صلى الله عليه وسلم اسم أطلق على من خلق من التراب مباشرة وهو أبو النوع الإنسي، أخبر الله الملائكة والجن عن خلقه ودوره قبل خلقه، ثم خلقه وسواه وصوره إنسانا في أحسن تقويم، وطلب منهم السجود له عرفانا بما ميزه الخالق به، ثم كلمه تكليما وعلمه علما، وأمره أمرا.

وهو أول من سكن الجنة، فكان له التخيير ولم يكن له عزم بالرغم من قول الله تعالى له: { يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى } 45، فأخطأ وعصى ربه فغوى فتلقى من ربه كلماتٍ فتآبَ عَلَيْهِ ثم اصطفاه مما خلق فكان خير خليفة في الأرض على العالمين.

كان له زوج من جنسه وفقا لقاعدة الخلق الثنائي المتضمنة في الآية الكريمة، { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ } 46، فأنجب من صلبه أبناء ذكورا وإناثا فكان التكاثر من بعده وكان الاختلاف وفقا لقاعدة التخيير في دائرة المتاح والممكن والنسبي.

وسوسة الشيطان بمغرياتها كانت ابتلاء عليه وعلى أبنائه من بعده؛ اقتتال بينهما تقوده الرغبة والشهوة دون احتساب للفضائل والقيم التي تستوجب التقدير بين الأخوة واحترام عاطفة الأبوة والأمومة فحدث ما حدث تحت مظلة الجهالة ونقص المعرفة التي من أحرفها البدائية مواراة سوأة القتيل، فبعث الله غرابا ليري المذنب كيف يمكن له أن يوارى سوأة أخيه فكان من بعدها من النادمين، قال تعالى: { فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ

45 طه 117. 119.

46 الذاريات 49.

فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ  
مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَحِي فَاصْبِحْ مِنَ النَّادِمِينَ {47}.  
سجدت الملائكة لآدم صلى الله عليه وسلم طاعة لأمر الله واعترافاً  
بالتفوق العلمي لآدم الذي أعلمهم ما لا يعلمون بما علّمه الله تعالى من  
علمه المطلق.

ومع أنّ آدم قد اصطفاه الله على العالمين واستخلفه الأرض وأدخله الجنة  
إلا أنّه بشر لم يُخلق على الكمال ولذلك كانت له من الصفات ما يتعدد  
على المستوى البشري.

### حوار الإنبياء قبل خلق آدم:

لقد أعلم الله تعالى ملائكته أنّه سيجعل في الأرض خليفة، قال تعالى:  
{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا  
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي  
أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {48}.

هذا الإعلام يطرح تساؤلات عديدة بالنسبة لنا نحن المخلوقون. وكذلك  
إجابة الملائكة فيها من التساؤلات ما يستوقف المتأمل لهذه الآية:

- هل الله تعالى قد أعلم الملائكة بخلق آخر قبل أن يخلقه غير الخليفة؟

- هل الله تعالى بحاجة لإعلامهم؟

- لماذا استغرقت الملائكة خلق آدم واتهمته بالإفساد وسفك الدماء قبل  
أن يخلق؟

أمّا التساؤل الأوّل: فما وجدنا في القرآن الكريم ما يدل على أن الله  
تعالى أعلم الملائكة أو غيرهم من خلقه أنه سيخلق شيئاً سوى خلق آدم  
صلى الله عليه وسلم، وأما ما ورد من بشارات الخلق فهي كثيرة:

<sup>47</sup> المائدة 31.

<sup>48</sup> البقرة 30.

بشرى إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ فَبَشَرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} 49.

بشرى زكريا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} 50.

بشرى مريم عليها السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} 51.

فهذه البشارات لم تكن من باب إعلام أحد من خلقه بما سيخلق قبل أن يخلقه لسببين:

الأول: أنّ هذه البشارات ومثيلاهما هي فرع من الأصل لقوله تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} 52. فهذه البشارات هي فرع من الخلق الأول.

الثاني: أنّ هذه البشارات لم تكن إعلاما بخلق غير معروف وغير معلوم لقوله تعالى: {وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 53. فقد ذكر تعالى قبل هذه الآية خلق الأنعام والحيل والبغال والحمير وخلق الزينة، فكل هذه المخلوقات معروفة معلومة، ثم قال: (ما لا تعلمون) أي خلق ما لا تعلمونه ولا عهد لكم به ولم يكن مخلوقا من قبل، ولذا تخرج البشارات عن نوع الخلق الجديد.

وعليه: فإنّ الله تعالى لم يُعلم أحدا بخلق شيء قبل أن يخلقه إلا بما أعلم الملائكة من خلق آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

49 الصفات 100 - 101.

50 مريم 7.

51 آل عمران 45.

52 ص 17.

53 النحل 8.

. وأما التساؤل الثاني: فما حاجة الله تعالى أو عدم حاجته إعلامه خلقه .  
عَمَّا يَفْعَلُ، فقد قال تعالى: { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } 54. إنَّ  
إعلام الملائكة بهذا الأمر هو من أسرار الحكمة الإلهية التي علمتها  
الملائكة بعد خلق آدم وعجز الملائكة عن الإنباء بالأسماء التي أنبأهم بها  
آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما علّمه اللهُ تعالى، ثمّ جعله عاقلاً مميّزاً، وكُلّف  
بما لم تكلف به الملائكة من إعمار الأرض وإصلاحها.

من الواضح في سياق الآية أن الحكمة الإلهية خفيت عليهم في عمارة  
الأرض، وإصلاحها وتنميتها، وجعل الحياة فيها متنوعة ومتطورة بشكل  
يناسب حياة تتابع الذرية التي سيكون منها العابدون والصالحون  
والقائمون بما أمر الله به، وكل ذلك سيكون على يد خليفة الله في أرضه،  
لأنه هو المهيأ لذلك، وإن كان يفسد أحياناً، ويسفك الدماء أحياناً  
أخرى، غير أنّ هذا الفساد والشر الذي يصدر من البعض سيكون دافعا  
للإصلاح والخير للبعض الآخر، قال تعالى: { وَوَلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ  
بِعُضُهِمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } 55.  
فإن كانت الحركة الصادرة عن المفسدين هي أداة الهدم والدمار، فإنّ  
الحركة ذاتها تكون أداة بناء وإعمار لدى المصلحين، ولذا فالله تعالى لم  
ينفِ الإفساد الذي ذكرته الملائكة في حقّ من سيخلف في الأرض، وإنّما  
كانت الإجابة (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

. التساؤل الثالث: يحمل في طياته تساؤلات كثيرة، إذ أنّ الملائكة لا تعلم  
الغيب، ولم ترَ آدم أو هذا الخليفة الذي لم يخلق بعد، ثم أصدرت أحكاما  
على ما سيكون ممن لم يكن، وقد تمثل ذلك فيما يأتي:  
أ . لقد نسب الملائكة لآدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تهمة الإفساد وسفك  
الدماء قبل أن يخلق ودون أن تعرفه.

---

54 الأنبياء 23.

55 البقرة 251.

ب . آدم صلى الله عليه وسلم بعد خلقه لم يُفسد ولم يسفك دم أحد.  
ج . الله سبحانه تعالى لم يعارض الملائكة في جوابها ولم ينفِ التهمة عن الخليفة.

د . إجابة الله تعالى للملائكة (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) دليل على إصابة الملائكة فيما قالت، مع التلميح والتنويه إلى قدرات إيجابية ترجح على كفة الإفساد وسفك الدماء.

وعلى ما تقدم:

لماذا أجاب الملائكة إجابة استغراب تدل على علم؟

ولماذا لم ينكر الله تعالى على الملائكة ما قالت؟

نستشف من خلال الحوار أن احتمالات علم الملائكة بما هو كائن من الخليفة تتمثل بما يأتي:

أ . كان لديهم شواهد متقدمة على خلق آدم من تجارب سابقة في الأرض.

ب . أو أنّ الله تعالى ألهمهم إلهاما كشفوا به عن شيء من فطرة هذا المخلوق من تراب.

ج . إنّ الملائكة استقرأوا حال آدم كمخلوق عاقل مميز مختار، فقدرت أنّه من كان هذا حاله فإنّه يمكن أن يختار الشر.

د . إنّ الملائكة الذين لا يعرف إلا الخير المطلق بما فطروا عليه، فهم يرون أنّ التسبيح بحمد الله تعالى والتقديس له هو غاية الوجود الكلي وعلة الخلق، وهو متحقّق بوجودهم.

ومع ما قدّرنا من احتمالات فقد كان إعلام الله تعالى ملائكته بأنه سيخلق خليفة يجعله في الأرض لحكمة إلهية، بحيث أن هذا المخلوق مغاير للملائكة من حيث أنه مختار بما أوتي من عقل، ومغاير للجن من حيث المادة في الصورة والشكل ومكلف بإعمار الأرض.



## حوار ما بعد الخلق:

لقد أنبأ الله تعالى الملائكة بخلق الخليفة، وكان هذا الإنباء إشعاراً من أجل تهيؤ الملائكة لعمل لم يكن لهم به عهد من قبل، حيث قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 56.

لقد ذكر الله تعالى الأسماء دون تحديد أو تقييد وجعلها مطلقة وشاملة ليدل على قدرات آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسواءً أكانت مسميات الأشياء أم اللغات، فهي تدل على مدى تمتع هذا المخلوق بقدرات لا يتمتع الملائكة بها وهي:

أ. العلم: أن الله تعالى علّمه الأسماء كلها فتعلمها بالأمر (كن).

ب. التذكُّر: عندما طلب الله تعالى من آدم إنشاء الملائكة بالأسماء أنبأهم بها لأنّه تذكّرها كما علّمه الله إياها.

ج. التعليم: عملية الإنشاء هي إعلام الآخر بما يعلم، والإعلام هو قدرة على تعليم الآخر أو إبلاغه.

لقد دلل الله تعالى على ما يتمتع به آدم من قدرات العلم والحفظ والتذكُّر عن طريق طرح الأسماء التي استطاع آدم استذكارها وإعادةها، بشكل يوحي أنه جدير بالخلافة التي خصه الله بها بما وهبه الله لآدم من قدرات التعلم والحفظ والتذكر وإعادة.

وقد أراد الله تعالى أن يبرهن للملائكة - ولله المثل الأعلى - أنه يعلم ما لا يعلمه غيره، فعلم آدم أسماء الأشياء، ثم عرض هذه الأشياء على الملائكة فقال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 57. وهذا لا يعني تكذيب للملائكة من وجهين:

<sup>56</sup> الحجر 28 - 29.

<sup>57</sup> البقرة 31.

الأول: أنّ الله تعالى لم ينفِ ما قالته الملائكة (أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء).

الثاني: أنّ الملائكة مجبولون على الخير بفطرتهم فلا يعرفون الكذب، فهم إما يصفون أمرا سابقا علموه، أو إلهاما من الله بما سيكون فتكلموا به. وبعد عجز الملائكة عن إجابة الله تعالى لما طلبه منهم إنباءه بأسماء الأشياء، (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم) فأنبأهم آدم صلّى الله عليه وسلّم بما علمه الله تعالى.

إنّ إنباء آدم صلّى الله عليه وسلّم الملائكة بأسماء الأشياء نقف منه على جملة من الدلائل التي أراد الله تعالى أن يطلع عليها الملائكة في هذا الموقف من خلال مشهد الحوار وهي:

أ. إظهار السر الإلهي الذي خفي على الملائكة بما أودع الله في آدم من ملكات.

ب. تسليم الله تعالى هذا المخلوق مقاليد الخلافة.

ج. سر التهيؤ والإرادة المستقلين يفضي إلى حرية اختيار الفعل.

د. حرية الاختيار الناتجة عن العقل المفكر دليل على الصراع بين الخير والشر.

وبهذا ظهر سر القدرة الإلهية على الرمز بالأسماء للمحسوسات وسر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها ألفاظا منطوقة، ورموز تلك الأشخاص والأشياء الحسية هي قدرة تحمل قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض، وهو التكريم في أعلى صورته لهذا المخلوق الذي جزء منه يفسد في الأرض ويسفك الدماء أحيانا.

ولكن إضافة إلى ذلك فقد وهبه من الأسرار ما يجعله بها أعلى درجة من الملائكة بما وهبه من المعرفة، ونهج له طريق الاختيار بهذه القدرات التي يستطيع بها أن يتحكم في إرادته ذات الطابع المزدوج:

. أنه مأمور بالخير والطاعة والعبادة وإصلاح الأرض وإعمارها.

. أنه يمتلك نوازع نفسية تدفعه لفعلٍ لم يؤمر.

وهذا أوّل صراع يخوضه هذا المخلوق تحدياً للتكريم الذي منحه إياه الله تعالى في تجرّبة شقّ طريق الخير، واضطّاعه بأمانة الإعمار والإصلاح المكلف بها.

إنّ الإنسان . وإن كان يفسد ويسفك الدماء . إلا أنّ جانب الخير الكامن في نوازعه الفطرية يجعله أهلاً للمهمة التي أمره الله تعالى بتحملها، فهو يمتاز بقدرات فائقة في التعلم والتعليم والتفكير بما يرقى إلى إنجاز مهمة الإصلاح والإعمار، وهذه القدرات على اكتساب المعارف وتنميتها واستثمارها، هي من مرشحات الخلافة في الأرض، لأنّه خير من يعمرها ويقيم الحضارة فيها، أما الملائكة فتجيد التسبيح لله تعالى، وتحسن العبادة، وتطيع ولا تعصي، لكن متطلبات إصلاح الأرض وإعمارها لا تتوقف على التسبيح والعبادة فقط، وإنما تتطلب إلى جانب ذلك البناء والعمران والعمل، وهذه الأشياء لا تقوم إلا بالعقل الذي ينمي العلم عن طريق الاكتساب والتجربة التي تولّد المعرفة، والعمران يتطلب العلم المتطور المتجدد بشكل يناسب نمو حاجات الإنسان، وهذا ما يحسنه الإنسان بما آتاه الله، ولا تحسنه الملائكة، ولذا وقع الاختيار على الإنسان للخلافة دون الملائكة، ولهذا سجدت له الملائكة.

آدم خلق أوّل:

أوّل ما خلق الله من الإنس آدم عليه السّلام وزوجه، وهو أوّل من خلق بيديه<sup>58</sup>؛ ففي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْلِيسَ: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي} <sup>59</sup>، وهو أوّل من كلّمه الله من البشر،

---

<sup>58</sup> التوحيد لابن خزيمة، 1، ص 118.

<sup>59</sup> ص 75.

{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} 60.

وعن عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلق الله عز وجل ثلاثة أشياء بيده خلق آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده" 61.

ولأنه أول من خلق؛ فخلقه من طين؛ فعز شريح بن عبيد قال: قال ربيعه الجرشبي: "إن ربك عز وجل لما خلق آدم عليه السلام بقي في كفيه من طينته، فذلكه بكفيه، ثم نثره فكان الجراد" 62. وقال تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} 63

وعليه؛ فآدم عليه الصلاة والسلام هو أول الخلق الأنسي، ومن هنا فهو المفضل خلقاً أول، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل أيامكم"

60 البقرة 31. 37.

61 العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، 5، ص 1555.

62 الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم، 3، ص 119.

63 الأعراف 12.

يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ النَّفْحَةُ وَفِيهِ الصَّعَقَةُ فَأَكْتَرُوا  
عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ"64.

والله سبحانه وتعالى هو الأوّل الذي يُعَد ولا يتعدد، فيمكن أن يُعَد  
بقولنا الله واحد أحد الفرد الصّمد، وقد وصف الله تعالى نفسه بالأحدية  
على لسان رسوله الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حينما سُئِلَ عن الله  
فقال: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ}65، وبالمقابل لا يمكن أن يتعدد  
فلو كان هناك العديد من الآلهة أو كان هناك حتى إلهًا آخرًا فما كان هو  
الأوّل كما هو، ولتضاربت الأمزجة والقدرات ففسد الكون وأختل نظامه  
وذهب كل إله بما أراد، قال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا  
فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}66، وهو الأوّل والأوحد الذي  
تعددت صفاته وأفعاله فهو القادر على فعل كل شيء في آن واحد فلا  
يقف الزمان ولا المكان عائقًا أمام إرادته وقدرته عزّ وجلّ، قال تعالى:  
{فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ}67.

وبما أنّ الله فردٌ صمد لا يتعدد فمن البديهي أن يكون أوّلًا فليس هناك  
من يسبقه أو من يليه، فحكمه لا يتوارث بل هو ملكٌ أزلي لا ينازعه فيه  
أحد، وليس هناك من يشبهه ولا يُقَارَن به ومن كان على ذلك فهو  
الأوّل بلا منافسٍ له ولا منازع.

والأوّل هو الذي لا تأتي الأعداد قبله ولا يتأثر بالإضافة والنقص،  
فالواحد هو الأوّل الذي يؤثر فيما سواه ولا يتأثر بما سواه، فالعدد واحد  
عندما نضيفه إلى نفسه أو نكرره مرتين يتكون العدد اثنين وبزيادة واحد  
إلى الاثنين يتكون العدد ثلاثة وبذلك تكون النتيجة أنّ العدد واحد هو

---

64 الأحاد والمثنائي لابن أبي عاصم، 3، ص 217.

65 الإخلاص 1، 2.

66 الأنبياء 22.

67 البروج 16.

المركب والمركب لـ الأعداد التي بعده وهي تتأثر به زيادة فيكون عددا جديدا أو نقصا فيكون عددا سابقا، فمثلا العدد ثلاثة عندما ننقص منه واحد ينتج العدد اثنين وفي حال زيادة واحد على العدد ثلاثة يتكون العدد الجديد أربعة، وبهذا يكون الواحد هو الجزء الأول وبأولويته يكون مؤثرا في تركيب الأعداد، في حين أنه لا يتأثر بها لأنه غير مركب، ولو كان العدد واحد مركبا لتغير وتبدل من حال لحال آخر بدخول المؤثرات عليه سلبا وإيجابا.

وبهذا فإن الله هو الأول الذي لا يتغير ولا يتبدل بل هو ثابت أزلي، ولو لم يكن ثابتا كما هو لما ثبت نظام خلقه كما أراده فلا يمكن لأي مخلوق أن يتدخل في هذا النظام أو يدعي أنه يستطيع أن يفعل مثله أو يغير شيء منه، قال تعالى: {أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {68، وقال تعالى أيضا مبينا عجز المخلوق عن فعل أفعال الخالق: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ {69.

<sup>68</sup> البقرة 257، 259.

<sup>69</sup> الحج 73.

ومن الملاحظ أنّ كلّ ما كان مركبا من أجزاء متداخلة فإنه لا بدّ أن يتفكك ويعود إلى أصله الأوّل وهي أجزائه الأوّلية التي تكوّن منها أساسا إما بقوّة فاعلة خارجة عنه أو أن يصيبه الضعف نتيجة تقدم السن، أو العطل نتيجة كثرة العمل، فمثلا الماكينة الكبيرة والرئيسية في المصانع والمعامل تتركب من عدة أجزاء وأجهزة متداخلة ومتكاملة ومن مجموعها تتكون هذه الآلة الكبيرة، وبسلامة كل جزء من هذه الأجزاء يمكن لهذه الآلة أن تقوم بوظيفتها التي صُنعت من أجل القيام به قياما تاما وإنجازها على الوجه المطلوب، ومن البديهي أنّ قوّة وجوده هذه الآلة تتأثر في حال تلف إحدى الأجزاء المكونة لها، والصانع لهذه الماكينة يمكنه إصلاحها تفكيكها وإتلافها إذا أراد ذلك، بدون أي إرادة للماكينة أو تدخل منها في ذلك. لأنّ الإنسان الصانع للماكينة بالنسبة لها هو الثابت وهي المتغيرة، وبذلك فإن الثابت يمكنه أن يتصرف فيما هو أقل منه في دائرة النسبية أمّا المتغير فيفتقد لذلك لأنّه لا يستطيع أن يؤثر فيما هو أعلى منه في هذه الدائرة.

فصاحب الشركة بالنسبة للموظف فيها هو ثابت والموظف متغير فالثابت يمكنه أن ينهي عقد المتغير فيها ولا يمكن للمتغير أن يفعل نفس الشيء معه، والله المثل الأعلى.

فما بالك بالثابت المطلق وهو الأوّل المطلق الذي لم يسبقه أوّل الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد الصمد الباقي الذي لم ولن يتغير فالواحد كما عرفنا لا يتغير ولا يتبدل بحال من الأحوال، وهو الصمد الباقي على حاله، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ} 70 فالله هو واحد لا إله سواه، وقد زاد الله تأكيدا على هذا المعنى وهو معنى البقاء والثبات والأوّلية والأحادية بقوله: (لم يلد) أي أنّه لم يتغير من حالة العزوبة إلى

---

70 الإخلاص 1. 4.

حالة الزواج أو من حالة اللا أبوة إلى حالة الأبوة ومن حالة الفردية إلى حالة الثنائية، فالابن عادةً يحمل من جينات والده الوراثية فيكون بذلك شبيها له في شكله وأفعاله، والله تعالى منزه عن الشبه والمثيل فمن ذا الذي يشبه الأول أو يدعيه!

وبقوله (لم يولد) تأكيد قوي على أنّ الله تعالى واحد لا يتركب من أجزاء ولا يتجزأ إليها، فالولادة عملية تحتاج إلى أبوين موجودين من قبل وجود المولود، أو على الأقل إلى أم لتحمله ومن ثم تلده كما كان من معجزة مولد نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، لذلك فالمولود لا يمكن أن يكون أولًا لأنه دائما مسبق بالوالدين وهما السبب القريب لولادته على اعتبار أن السبب البعيد للولادة هو الله وإرادته بإتمام وتكليل عملية التزاوج هذه بإنجاب الولد، فكم من عملية تزاوج لم يكن نتاجها الإنجاب لعدم إرادة الخالق لذلك، قال تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} 71.

وكذلك فالولادة تقتضي أن يكون المولود مركبا من خليتين أساسيتين هما الخلية الحيوانية المذكرة والخلية الحيوانية المؤنثة وبتحاد كل منهما يتم تشكيل الخلية الملقحة الأساس الأول للمولود، فإذا بقيت كل من الخلية الحيوانية المذكرة أو المؤنثة مفردة فإنه لا يمكنها أن تكون جنينا دون أن تتحد مع الخلية الثانية، وعلى ذلك فالله تعالى بقوله: (لم يولد) فإنه ينفي عن ذاته العلية التركيب والتجزئ وبنزها عنهما فيكون ذلك دليلا على أوليته وثباته وبقائه وصمديته على اعتبار أن المركب يتحلل ويتلاشى وهذه سنة كل المخلوقات من دون الخالق عز وجلّ أمّا غير المركب فهو الباقي الابدّي ولا يكون ذلك إلا الأول المطلق الواحد الذي لا يتركب

71 الشورى 49، 50.



وهو الله جلّ جلاله وفي ذلك قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى  
وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} 72.

ولا يمكن أن يكون هناك أول آخر في دائرة المطلق فالأول المطلق هو الله  
عزّ وجلّ ولا مثيل له ولا شبيهه أو نظير في الأوليّة أو غيرها من صفاته  
وأفعاله الإلهية، وبذلك قال تعالى: {وَمَ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، والكفء  
هو المساوي وبذلك لا يوجد من يساوي الله في أي شيء أو حتى يدانيه  
فيها.

أمّا الأول في دائرة النسبية فيمكن أن يتكرر ويتعدد، فالأول في فعل ما،  
قد لا يكون أولاً في فعل آخر وقد يكون معه أول آخر في نفس الفعل  
وهذا يكثر في نطاق الأول بالإضافة، وهو الأول الذي يستمد أوليته من  
طاعته وعبوديته للأول المطلق الذي أوجده على وجه هذه الأرض من  
أجل رسالة عظيمة وهدف سامٍ هو إعمار الأرض، واستخلفنا في هذه  
الأرض قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً  
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ  
وُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 73 وقال أيضاً: {يَا دَاوُودُ إِنَّا  
جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى  
فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ  
بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} 74 وسيدنا داوود عليه الصلاة والسلام خليفة لله  
حيث اصطفاه الله هو وجميع الأنبياء والرسل وختمهم بسيد الخلق سيدنا  
محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين، وترك للباقي من العباد حرية اختيار  
أن يكون خليفة له بإتباعه الأوامر واجتناب النواهي، أو عدم اختيار  
ذلك بارتكابه للمعاصي والشور.

---

72 الرحمن 26، 27.

73 البقرة 30.

74 ص 26.

والاستخلاف لم يكن لكل من خلق الله ويخلقه، فالخلاف لا يكون فيها من لا يتصف بصفات الله عزّ وجلّ قولاً وفعلاً وأن يكون هذا المستخلف ربّانيا فلا يمكن أن يكون الكافر والظالم والكاذب والخائن خليفة للحقّ العادل المجيد الودود.

وعليه فالخليفة لا بدّ أن يكون أوّلاً في طاعته لأوامر الله تعالى وأن يكون مجال التسابق والأولية بينهم هو هذه الطاعة والانصياع التام للأوّل المطلق، وألا يكون مجال تسابقهم وأوليتهم في مسابقة غناء أو رقص أو قتل وإسراف في الرذائل والشور مما يتسابق فيه الناس الآن فلا يحصلون من وراء هذه المسابقات التي لا يراد بها وجه الله تعالى إلا على مضیعة للنفس والوقت وغضب الخالق عزّ وجلّ.

ولكن ما الحكمة من معرفتنا بأن الله هو الأوّل. الحكمة في ذلك أنّه في معرفتنا بهذا الاسم وإيماننا به توضيح من الخالق لهذا المخلوق بأنّه مهما علا وتقدم واخترع وأبدع في الدنيا فإنّ هناك من هو قبله والأوّل عليه في كل شيء، ويؤكد الأولوية للخالق في كل ما شيء ويبقى الإنسان مسبق بهذا الإله في كل ما يقوم أو يفكر به، وهذا من شأنه أن يصل بالإنسان إلى التواضع، والمراقبة، والضعف، وفي ذلك توضيح:

أوّلاً: التواضع:

مهما ارتفع شأن الإنسان في الدنيا فإن اسم الأوّل في حقّ الله يرجعه إلى ميدان التدبر ودائرة التواضع، فبماذا ارتفع شأنه أو اسمه. هل حصل له ذلك لقوّة أو لعلم أو لجاه وسلطة. فإن كان قويا فهو ضعيف لقوّة الله لأنّه الأوّل في القوّة والأسبق، فالإنسان الذي تميز بقوته البدنية على الكثير يصبح مغترا بها ونراه متفاخرا بقوّته، يرمق غيره أحيانا بنظرات التغطرس والغرور، ولكن إذا التقى صدفة مع من هو أقوى منه من البشر تراه قد انكمش على نفسه وخفف من تغطرسه لعلمه بأن هذا الذي أمامه يفوقه قوّة، فما بالك بالقوي الأوّل الذي يفوق كل شيء إذا

التفت قليلا إلى التمعن في اسم الأول في حق الله تعالى لأدرك أنه الأول حتى في القوّة، فهو الذي يفوق كل شيء قوّة، بل وأنه قادر على سلب هذه القوّة من غيره لأنّه هو مالکها ومعطيها لمن شاء، فمن الممكن أن يتعرض هذا المغتر بقوته لحادث فتزول عنه هذه القوّة ببتّر أحد أعضائه مثلا أو إصابته بشلل جزئي أو كامل، أو حتى عند تقدمه بالسن وترهل عضلاته ماذا سيتبقى من قوته العضلية. فالقوّة التي كان يملكها من الخالق لها وله القوي الجبار الذي لا حد لقوته ولا نهاية لها، فقوته ليست كقوّة الإنسان إنما هي قوّة مطلقة تعاقب وتحاسب وتخلق وتراقب، قال تعالى: { كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ } 75. وقد أمرنا الله بالتواضع وعدم الاختيال والتكبر على الآخرين في أكثر من آية قال تعالى: { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } 76 فيأمرك الله هنا أيها الخليفة بأن لا تعرض بوجهك عمن تكلمه تكبرا واستحقارا له، وأن تتواضع مع كل الناس في كل ما تفعل.

وإن كان تفاخر الإنسان بعلمه فأين علمه من علم الخالق السابق بعلمه كل علم، هو العليم الذي لا حدود لعلمه المطلق فالخالق هو المعلم الأول لكل أمورنا، فلا علم لنا إلا ما أَرَادَهُ اللهُ لَنَا.

وإن تفاخر بالجاه والسلطة يكفي أن يفكر من الذي وهب له هذا. أو أن يقارن بين ما يملك هو وما يملك الملك الحقّ. فسيخرج بنتيجة واحدة وهي أنّ ما يملكه لا يصل حتى لنقطة في بحر ملك الخالق المطلق، وهذا لأنه الأول فهو المعطي ممّا لديه وهو الوهاب لمن يريد بما يريد، فالملك الأول لكل شيء هو للأول الخالق المالك، والملك الذي يأتي بعد ذلك

<sup>75</sup> الأنفال 52.

<sup>76</sup> لقمان 18 . 19.

في الدنيا لأشخاص محدودين هو ملك زائل ومحدود، ومن الممكن أن يزول عنهم بمجرد أن يشاء المالك الأول، قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 77، فالأولوية لله تعالى في كل شيء تمنحه القدرة والحق المطلق في التصرف والإرادة فلا مجبر له عز وجل ولا رقيب عليه.

وإن كان سبب تفاخره لشكل جميل وخلقاً حسنة فلا تلبث أن تزول بتوالي السنين وتقدم العمر، أو أنها تزول بجاذب عارض إذا شاء الخالق، ويبقى الإنسان على الحال التي أَرادها الأول لها أن تكون عليه إما عقاباً وإما ابتلاءً وفي كلا الحالتين ليس على الإنسان فعل أي شيء أمام قدرة الخالق عز وجل.

والخليفة بالإضافة هو من كان التواضع لبنة أساسية في أساس تركيب شخصيته، فهو صفة لا يمكن ألا تظهر في تصرفاته أو أن تقبع داخله دون إحساس الآخرين بها، وقد اتصف به كل الأنبياء والرسل والصالحين، لأنه من المستحيل أن يجتمع حب الله وحب العباد مع التكبر والغرور في قلب واحد.

والأول في الخلق مدرك لما سيكون عليه الناس من تضارب في النفوس والشخصيات لذلك فقد خلق في الأرض والسماء دلائل ماثلة أمام أعين كل الناس من شأنها أن تُشعر الإنسان بضعفه وضآلته فلا ينظر لنفسه ولغيره نظرة رضا وتواضع، قال تعالى: وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} 78، فلا يحتاج الإنسان إلى أكثر من نظرة يوجهها إلى الجبال الشاهقة التي هي من خلق الخالق ليتراجع عن ما يستشعره من غرور وتكبر في الدنيا، هذا الشعور الذي لا يمكن

---

<sup>77</sup> آل عمران 26.

<sup>78</sup> الإسراء 37.

أن يتمكن من نفس خليفة الله بالإضافة، الذي يكون لديه من الإيمان ما يردعه عن الكبرياء والغرور، فهو دائم التفكير في خلقه وتكوينه وهو على درجة من العلم تكفيه هذا الشر، فعلم الخليفة وإدراكه لكل ما حوله من شأنه أن يرقى به عن هذا الشعور المريض الذي يؤدي بصاحبه إلى التعاسة والخسران.

فإذا وجدت شخصاً يمسك بيد عاجز بكل حب وتواضع ليعينه على السير في الطريق، أو إذا وجدت شخصاً يجالس يتيماً أو ضعيفاً يسمع شكواه وينشغل بجمه، أو وجدتته رغم مركزه المرموق إلا أنه ذو نفس شفافة تتوق لحب الناس جميعاً ومساعدتهم هنا تكمن بعض ملامح الخليفة بالإضافة.

وإذا عمرت الأرض فبالأيدي المترابطة ولا ترتبط الأيدي البشرية إلا إذا تواضع الغني والمسؤول والسلطان والملك لكيلا يتكون حاجز بين النفوس بسبب تكبر بعضهم وغرورهم.

وأساس إدراك التواضع هو إرجاع كل نعمة تحل بنا من مال أو أولاد أو علم أو جاه أو قوة أو جمال أو غيرها إلى المعطي الأول وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا المفهوم الذي عاش به الأنبياء والرسل أجمعين، كقول سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في الآية الكريمة: { فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }<sup>79</sup>، حين يصل الإنسان إلى هذه المرحلة من التيقن من فقرنا إلى الله نكون قد وقفنا على أرض ثابتة لن نزل بنا في بئر التكبر والغرور، بل شعورنا بالتواضع يعري حقيقة احتياجنا لخالق عز وجل.

ثانياً: المراقبة:

---

<sup>79</sup> القصص 24.

من المعروف أنه عندما يشعر المرء أنه مراقب ممن هو أعلى شأن ومكانة منه فإنه يحافظ على التزامه إما خشية وإما احترام وإما الاثنين معا، إذن فوجود الرقيب ينتج عنه انضباط الشخص الذي يعود عليه وعلى من حوله بالفائدة، فكيف إذا أدرك المرء أن الرقيب الأول هو الخالق! ومن فضل العلم على الإنسان أنه يفتح مداركه لوجوب مراقبة النفس وإلزامها أحيانا بما تستصعبه وتعويدها على وجود رقيب ومحاسب، وأن كل المساحات في الدنيا ليست ملعبا لكي تلهو فيها وتتمرد، إذ أن المعرفة بالشيء تُبطل الجهل بالتأخر، والإنسان يدرك أنه إذا ترك نفسه دون أي رقابة فإنها ستذهب إلى ما تهوى دون رادع أو محاسب لها في الدنيا، فتتحكم فيه الشهوات وتذله المغريات لعدم وجود ما يردعها أو يمنعها من الخوض في تلك الأمور.

ومن شأن اسم الأول أن يمدنا بالسبب الكافي لضرورة مراقبة الذات والتحكم فيها، فهو المراقب الأول للنفوس في هداها وفي ضلالها، فلا أحد من الممكن أن يفلت من هذه المراقبة، وبالتالي لا يمكن أن يفلت أحد من نتيجة هذه المراقبة التي يتولاها خالق النفوس والعالم بها، قال تعالى: **قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} 80،** فالآية السابقة توضح لنا عدة أمور هامة منها:

1- أنّ الخالق ربط ما بين عملية الخلق والعلم بما يخالج النفس وذلك للتأكيد على أنه خالق النفوس، ومراقبها بعلمه ودقته وقيوميته على

---

80 ق 16 . 21.

ذلك، فهو الأوّل في علمه بما في الأنفس والضمائر فلا تخفى عليه خافية، وكيف ذلك وهو العليم بما في الصدور من خير أو شر.

2- رصد الخالق لما في النفوس البشرية يؤكدّها قرّبته من صاحب النفس عينه، والقرب تأكيد أيضا على الحرص على مراقبة كل صغيرة وكبيرة.

3- السائق والشهيد هما إثباتان على عمل الإنسان في الحياة الدنيا سواء كان خيرا فله من يدونه وإن كان شرا فله من يدونه، وهذا تأكيد ثالث على حرص مراقبة الخالق لخلقه وتسجيل أعمالهم وذلك لغرض الحساب، فمعنى الحساب مفهوم من قدوم السائق والشهيد يوم الحساب لكشف الأعمال.

والمراقبة لا تأتي ولا تصح إلا من القائم على الأمر، فمثلا القائد يراقب جنوده، والأب يراقب أبناءه، والمدير يراقب موظفيه، والأستاذ يراقب طلابه، والخالق يراقب كل أولئك العباد مهما كانت مكانته لأنهم مولاهم والمحاسب لهم يوم يقوم الحساب، ولا يصح حساب بلا مراقبة تبدأ مع الإنسان وتنتهي مع نهاية حياته، والمراقب بالتالي لا بد أن يكون متقدما الجميع في القدرة والعلم والحكمة، وأن تكون مراقبة لا تنتهي بنهاية الخلق أو عند حد معين أو زمن معين، بل لا بد أن يكون قائما حيا أزليا، قال تعالى: { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } 81.

فبما أنّ الخالق له أولوية المراقبة فوجب بذلك علينا أن نتسابق بمراقبة أنفسنا أمام الله تعالى المحاسب لنا ولكل ما نقوم به من أقوال وأفعال، والخليفة بالإضافة من كان سباقا في مراقبة ذاته، والأوّل في الحكم على ما يصدر منه من أقوال وأفعال، ممّا يساعده على أن يكون الأوّل في وزن

---

81 المائدة 117.

حياته والوصول إلى حياة كريمة يرضاها الله وترضاها نفسه، وأن يكون على يقين أنه لم يُخلق سدىً بل أنّ هناك امتحانا سيجريه وحسابا سيلاقيه وأنه إذا طلب الفوز والنجاح داوم على مراقبة ذاته وحثها على المكرمات ونهاها عن المنكر والرذائل من القول والفعل ونأى بها عن كل ما هو دافع للخسارة والهلاك، قال تعالى: {يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْقَةً مِنْ مَمِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} 82.

ثالثا: الضعف:

هذا الضعف المحمود الذي لا بدّ أن يستشعره كل إنسان أمام المولى عزّ وجلّ، وبالمقابل يستشعر أيضا سلطة الخالق عليه كونه جل وعلا الأول في علمه وحكمته وقوته وقدرته وحسابه، فمن شأن ذلك أن يعيش هذا الضعف الآدمي تجاه القوة الإلهية العظيمة التي بدأت خلقه.

والمؤمن الحقيقي هو من يردعه هذا الضعف عن استغلال سلطته وقوته عن التحكم واستغلال من هم أدنى منه مرتبة، بل يكون حاضرا في ذهنه أنّه ليس الأوّل ولو كان كذلك في مركزه في الحياة الدنيا وأن هناك من هو الملك والمهيمن عليه، قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} 83.

والضعف له نوعان:

أوّلا: ضعف محمود وهو الضعف المتصف به خلفاء الله، وهو ضعف يلزم الخليفة تجاه الخالق، فلا يتكبر ولا يتجبر في الأرض بما أعطاه ومنحه الخالق عزّ وجلّ، هو ضعف جميل من شأنه أن يشعر الخليفة بمدى قوّة

82 القيامة 36 . 40.

83 الحشر 23.



المولى وسلطته عليه. وعليه كلما استشعرت بالضعف أمام خالق العباد  
ازددت قوّة أمام العباد.

ثانياً: ضعفٌ مذموم وهو الضعف الذي يصيب الإنسان تجاه عدة أمور  
منها: الضعف أمام مغريات الدنيا وزينتها فلا يملك نفسه أمامه بل تملكه  
نفسه وتتحكم فيه، فتتهوي به إلى مستنقع الرذائل والفساد، أو الضعف  
أمام إنسان آخر يملك سلطة أو قوّة تفوقه فلا يستطيع النطق بالحقّ بل  
يشعر بالخوف أمامه أكثر من شعوره بالخوف من الخالق العظيم.

فخليفة الله من ينمي خوف الله في قلبه لردع أي مفسدة قد تجره لها  
الحياة الدنيا، فهذا الخوف من الله تعالى من شأنه أن يزرع في قلبه قوّة  
وشجاعة يستطيع أن يكون فيها الأوّل والمتقدم في فعل وقول الحقّ،  
والأمر بالعدل والخير والنهي عن المنكر.

والأوّل في حقّ الله يتضمن صفات وأفعال أخرى في حقه مثل:  
هو الأوّل في علمه:

هناك فرق كبير بين علم محدود مقيد له حد معين يقف عنده وبين علم  
مطلق لا حدود له، والعلم في حقّ الله تعالى هو علم لا حدود له وفوق  
كل علمٍ آخر، قال سبحانه وتعالى: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} 84،  
فلا يرتفع علم عن علم الله لأنّه الأوّل في علمه فاستحقّ الكمال، والأوّل  
استوجب أن يشمل علمه بالماضي والحاضر والمستقبل، وأكبر دليل على  
أنه الأوّل في علمه أنه يعلم بالأشياء قبل حدوثها فكيف لا يعرف وهو  
الخالق والمدبر لكل شيء. وهذا هو علم التقدير والغيب في حقّ المولى  
عزّ وجلّ، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا  
فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ  
تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} 85، وكذلك قوله تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي

---

84 يوسف 76.

85 لقمان 34.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْعَيْبِ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ {86، فأين علم الإنسان الذي يمكن أن يصل لهذه الدرجة من العلم والإدراك ولو كان عالم العلماء جميعاً. والناظر في سير هذا الكون والنظام الذي خُلِقَ عليه لأدرك أن الخالق هو الأول لعلمه، فهناك فرق بين الشريعة التي أنزلها الله تعالى والتي من المفترض أن يسير عليها الكون وبين القوانين التي وضعها الإنسان، فالأولى تحفظ الحقوق ولا تتغير بتغير الأشخاص أو الأزمان أو الأمصار والثانية لا تلبث أن تتبدل حسب توافقها مع المصالح والأهواء.

والإنسان يجب أن يكون عالماً بأنه محاسب على جهله إذا كان نتيجة تكبره أو إعراضه أو تلاهيه، أما من كان الجهل خارجاً عن إرادته فهو غير محاسب، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ {87، أي أن العلم بالشيء شرط لاستحقاق الإنسان العقاب، فالعلم أولاً وقبل أي شيء والجزاء ثانياً لرفع الحجّة.

والدليل الثاني على أن الله هو الأول في علمه أنه يستطيع أن يوقف علمنا عند حد معين قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ {88، فالله قد أوقف مداركنا عند بداية المخلوقات عند العرش والماء، أما ما قبل ذلك فهو في علم العليم المطلق لأن ذلك من لوازم اتصافه بصفة الكمال، فلن تفيدنا أي شيء معرفتنا بما قبل ذلك، وهذا يدل على محدودية علم المخلوق في هذا الكون الذي خلقه الله بعلم

---

86 النمل 65.

87 القصص 59.

88 هود 7.

حكمة مطلقين، فالأول في الملك والخلق هو الأول في العلم والحكمة، وهما بلغ علم الإنسان ومداركه فإنه يبقى مداره الذي يتجول فيه خياله محدود بإرادة الأول سبحانه وتعالى، وهذا ينطبق على جميع ما خلق الخالق، قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} {89}، فبالرغم من أن الملائكة مخلوقات قريبة من الله تنفذ جميع أوامره وتسبح له وتطيعه إلا أن الله تعالى لم يجعلها ذات علم مطلق بل أنه حدد لها ما يجب أن تكون على علم به وحجب عنها ما أراد.

وقد خص الخالق العلم بالأولوية، إذ أن أول ما أنزل من القرآن الكريم على الرسول - صلى الله عليه وسلم - كلمة (اقرأ) والقراءة هي سبيل المعرفة والفهم وهي أول طرق الهداية والصلاح، قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} {90}، إذن المعلم الأول هو العليم عز وجلّ للبشرية بما فيهم الرسل والأنبياء، لأنه المدرك الأول لكل ما نعلمه وما لا لم نصل إليه بحواسنا، وهذا طبيعي في حقّ العليم الذي لا يعزب ولا يغيب عنه أي شيء، فلا يعجز عن إدراك أي شيء سرا كان أو علنا فهو الأول في الإدراك والعلم بقدرته سبحانه وتعالى، ولذلك فإن كل علوم الخلق التي تم اكتشافها والوصول إليها وما لم يتم الوصول إليها بعد هو المحيط به قبلهم لأنه المقدر للمستقبل والخبير فقد أحاط علمه بالظواهر والبواطن والسر والعلن والممكن والمستحيل وبكل الأزمان والأماكن فلا يخفى عن علمه وإدراكه أي صغيرة أو كبيرة، قال تعالى:

---

<sup>89</sup> البقرة 31، 32.

<sup>90</sup> العلق 1. 5.

{قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 91.

يجب أن يكون الخليفة من السابقين للعلم والمعرفة، العلم الذي يبحث عليه  
العليم لما فيه خير هذا المتعلم، هذا العلم الذي يسير بالخليفة إلى  
الاستقامة كأن يكون من الأوائل في معرفة صفات الخالق وما حرم وحلل  
وما يقرب العبد من ربه وما يبعدة عنه، وأن يقوده هذا العلم للبحث عن  
مفاتيح حسن الخلق الذي من شأنها أن تبعده عن الغرور والتجبر والظلم،  
وأن يكون من أوائل أتباع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في قوله:  
"بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ" 92، وحديث رسول الله عليه الصلاة  
والسلام يوضح أمراً هاماً، إذ أنه يبين أن الأخلاق أولاً من خلق الله  
تعالى يضعها فينا ويأتي الرسول عليه الصلاة والسلام ليكمل ويهذب ما  
بدأ الله به، وذلك مدعاة لنا بالإيمان بأن الله هو الأوّل في خلق كل  
شيء.

الأوّل هو الحي المطلق:

والمقصود بالحياة في حقّ الله هي الحياة الأزلية والبقاء الابدي، وهي  
بالطبع غير الحياة على الأرض التي لها أوّل تبدأ بها ولها آخر تنتهي إليه،  
فالخالق هو الأوّل الأزلي الباقي لا نهاية له، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} 93، فارتباط الحياة بدوام القيام دليل على تكامل الحياة  
لديه عزّ وجلّ، وعظمة وجلال الخالق الأوّل عزّ وجلّ، وكذلك قوله  
تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدْئُوبِ  
عِبَادِهِ حَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

---

91 آل عمران 29.

92 موطأ مالك ج 5، ص 386.

93 آل عمران 2.

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا {94، وفي هذه الآية دلائل بيّنة على أزلية حياته وهي:

أ- طلب من العبد أن يتوكل عليه، وبالطبع لا يمكن أن نتوكل على من لا حياة له أو من كانت محدودة حياته، لأن التوكل هو اعتماد تام على الأوّل جلّ جلاله حيث لا أوّل غيره يمكن التوكّل عليه، وبالتوكل الصادق على الله تعالى تكون الإجابة المحقّقة لأفعال الخير الحسان.

ب- نفي الموت عن جلاله تأكيد على دوام الحياة فلا يمكن أن يجتمع الفناء والحياة معاً، لأن كل منهما مقابل للثاني، وفي انتفاء الموت عنه إثبات صريح لحياة المولى الأزلية.

ج - خبرته بذنوب عباده تدل على مراقبته الدائمة، وقيامه على أمور الخلق جميعاً والمراقبة تتطلب الحياة التي تصل ما بين الخالق والمخلوق، إذ أن المخلوق يعمل ويقدم والخالق يراقب لكي يحاسب، هذه المعادلة المتوازنة هي في الحقيقة تتضمن أولوية الخالق في الحساب والجزاء.

د- عملية الخلق لا تتم إلا ممّن كان قائماً وحيّاً من قبل القيام بهذه العملية أصلاً، وهذه العملية بالذات تؤكد اسم الأوّل في حقّ الله تعالى، إذ أنّه لا يمكن أن يكون المخلوق سابقاً للخالق، والمتأمل في هذا الكون يصل إلى حقيقة أزلية وألوية وجود الله تعالى قبل أي شيء آخر، قال تعالى: {أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِينًا {95.

ولا يكون خليفة الخالق إذا لم يكن قلبه حياً بذكر الله، وأن لا يكون الأوّل في إحياء كل أشكال الخير والمعروف في نفسه أوّلاً وفيمن حوله ثانياً، فحياة الخليفة تكمن بدرجة إيمانه وحبّه للمولى عزّ وجلّ، قال

---

<sup>94</sup> الفرقان 58، 59.

<sup>95</sup> الإسراء 51.

تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} 96، فخلفاء الله كانوا وما يزالوا يتسابقون إلى مرضاة المولى وبذل كل ما لديهم من أجل أن يسارعوا إلى حب ولقاء الله عز وجل، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهُنَا سَابِقُونَ} 97.

الأول هو القيوم:

نلاحظ دائما أن رب الأسرة هو القائم على أمور عائلته، ينظر إلى احتياجاتهم ويراقب زلاتهم ويحثهم على المنفعة والفائدة، لأنه المسؤول الأول عنهم في الدنيا، وكذلك نجد أن رب العمل يشعر بمسئوليته الأولى تجاه موظفيه، فيهتم بشؤونهم وينظر إلى أمورهم نظرة اهتمام ورعاية مما يجعله دائم الاطلاع على أمورهم، فكيف بالذي هو الأول على كل أول وفوق كل العباد.

فمسئولية الخلق تتطلب ربًا يكون هو الأول في مسئوليته عنهم هذه المسئولية التي لا يمكن القيام بها إلا من كان عظيما وسابقا لكل شيء لا ينشغل بشيء عن شيء، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} 98، فقد ربط الله قيامه على أمور عباده بالحياة الأزلية التي لا نوم ولا كسل ولا خمول فيها، مما يجعله عالما بأدق التفاصيل راعيا لكل الخلق في آن واحد، فاستحق بذلك أن يكون ربًا عظيما واحدا لا يتعدد.

---

<sup>96</sup> الواقعة 10 . 16.

<sup>97</sup> المؤمنون 60، 61.

<sup>98</sup> البقرة 255.

ولأنّهُ كان الأوّل استحقّق رعاية الخلق والقيام على أمورهم وكان له إحيائهم وإماتتهم وقتما يشاء وكيفما يشاء، فمن له الحقّ في التدخل في أمور الغيب وتقدير الأشياء سواه عزّ وجلّ.

وعلى خليفة الله أن يكون حاملاً لمسئوليات عدة، تبدأ من نفسه، ويعلمه أن كل جوارحه سيكون مسؤولاً عنها، وتنتهي في حمله لمسئولية هذا الكون بأكمله الذي حمل أمانته، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} 99، فهو المسؤول الأوّل عن هذه الأمانة، لذلك لا بدّ أن يُثبت كفاءته في تحمل هذه المسئولية بالاستقامة وبالإصلاح والتعمير وبالأمْر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يفرط في هذه الأمانة أو يهمل فهو الخاسر الأوّل في الدنيا والآخرة عند الخالق سبحانه وتعالى.

هو الأوّل في الرّحمة:

ورحمته واسعة عظيمة أزلية لا تتغير حسب الزمن والمكان، وما أمّا أوّلية وأزلية فقد وسعت كل شيء وعمت الخلق جميعاً، فرحمته مطلقة لا يتدخل فيها أي أحد من خلقه، قال تعالى: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا يُدْعَى إِلَيْكَ قَالَ عَدَايَ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} 100، فرحمته أعم وأشمل للمتقين الذين يسعون لنيل رضاه وحبه والقرب منه، فهناك رحمة عامة للبشر أجمعين تتمثل في حسن خلقتهم التي خلقهم الله بها وبنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وبرزقهم، أما المؤمنين فقد خصهم الأوّل برحمة لا يستحقّها إلا من كان تقياً صالحاً، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

<sup>99</sup> الأحزاب 72.

<sup>100</sup> الأعراف 156.

وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا {101}.

فقد بدأ الخلق جميعا برحمته، بالرغم من غناه عن كل ما خلق في الدنيا، وهو البادئ برحمة الناس عامة والمسلمين خاصة، فبداية الرحمة من عنده هي إرسال الرسل للهداية، وهو رحيم بقبول توبة التائب ورجوع العاصي. والرحمة تستوجب أن يكون المرحوم ضعيفا، والرحيم قويا لأنه البادئ بهذه الرحمة والمالك لها بالمطلق.

فعلى الخليفة أن يرحم نفسه أولا بإبعادها عن الضلال فينجيها من النار ويفوز بالنعيم، ويرحم من حوله ثانيا بحفظهم من لسانه ويده وبنصح الضال منهم، وأن يكون رحيفا بجميع ما خلق الخالق من كائنات حية ومن أرض حية تنمو تثمر من أجله ورحمةً به من الخالق عز وجل. هو الأول في القدرة:

بما أنه الأول خالق الخلق فتطلب ذلك أن يكون قادرا على كل أمر، وأن يستسهل كل صعب، فكل ما نجده نحن البشر أمرا مستحيل الحدوث يتحول إلى ممكن بأمر من الأول.

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا {102}، وكل إرادة للخالق تُنفذ بلمح البصر إذ أنه الأول في الإرادة والمشئمة، قال تعالى: { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } {103}، وهذا أعظم دليل على

<sup>101</sup> الأحزاب 41 . 43.

<sup>102</sup> الفرقان 45 . 49.

<sup>103</sup> النحل 40.



أن الله تعالى هو الأوّل، لأنّه إن لم يكن كذلك لاحتاج إلى جهد ووقت ومعونة لتنفيذ ما يريد، لكنه عزّ وجلّ تجلّى بعظمته عن كل ذلك. ولكننا نجد أنّ بعض النّاس تتناسى هذه القدرة بتجاهلها فضل الأوّل فيما وصلت إليه من ابتكارات أو اختراعات أو اكتشافات، وكأنّ هذا الشخص له الفضل الأوّل في الوصول والقدرة على ذلك! فهل تفوق قدرة المخلوق على قدرة الخالق. ما لهم كيف يفسرون الأحداث ويفهمون ما قد وهبهم الأوّل لهم من قدرات بسيطة بالنسبة لما عنده تعالى.

وهو الأوّل في خلق المخلوقات جميعاً فكانت له القدرة المطلقة عليهم ولا يمكن لأيّ أحد مهما علا شأنه في الدنيا أن يخرج من هذه دائرة قدرة الأوّل عليه، ومن ثمّ وهب الله تعالى بعض القدرات الثانوية للإنسان لكي يبدع بها في الحياة، وأوّل هذه القدرات هي:

التحكّم في النفس:

فالخليفة هو من يروض نفسه أوّلاً على محاربة ما تشتهيه على حساب الغير، بذلك يستطيع أن يصل إلى تصالح بينه وبينها فترضى وتناهى عن الفساد وتحسن فن الإنصات للخالق الذي كرمها وإذا أنصتت النفس للخالق صلحت وطاعت وفازت، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَمَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} {104}، والفوز لها هي الجنّة تنعم فيها.

أمّا إذا أعرضت النفس عن الخالق ضاعت في ظلمات الشرور والمهالك، فكان لها سوء العقاب وخسارة المآب، قال تعالى: {انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا لَا

---

<sup>104</sup> النازعات 40، 41.

يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا  
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا  
يَشْعُرُونَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ  
رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {105

القدرة على تحصيل العلم:

وجني الفائدة منه لتعود عليه وعلى من حوله، فلا بد أن يكون على  
معرفة بأن البشر هم عبارة عن فرع ولا بد أن يرجع إلى الأصل إلى الأول  
عز وجل ليتم الجزاء، قال تعالى: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ  
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} {106،  
فالرجوع لا يتم إلا من التابع إلى المتبوع ومن الفرع إلى الأصل.  
هو الأول في الغنى:

بما أنه الأول فهو المعطي لكل شيء وبعطائه هذا هو غني عن أي شيء،  
قال سبحانه تعالى: {قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ  
هَدَىٰ} {107، وقال تعالى أيضا: {وَرَبِّكَ الْعَظِيمِ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ  
يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ  
آخَرِينَ} {108، الآية السابقة منه نفهم أن الله تعالى:

أ- غني عن كل شيء، والغنى يأتي دائما من انعدام الحاجة للغير ولا يأتي  
ذلك إلا إذا كان المدبر الأول لكل الأمور، فلن يضر الله تعالى كفر كافر  
قال تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ  
تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ

105 الأنعام 24 . 27.

106 يونس 4.

107 طه 50.

108 الأنعام 133.

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {109}، فانعدام الحاجة تثبت أولوية الخالق في كل أمر.

ب- كل ما خلق الخالق فقير إليه تعالى، فالغني من الناس هو بفضل ما عند الله والفقير منهم هو بسبب منع الخالق عنه، فالله تعالى يغني الإنسان بالمال والحكمة والقوة والرحمة لأنه تعالى فوق كل الخلق.

وخليفة الله إذا وصل إلى هذه الدرجة من العلم فإنه بالتأكيد استغنى عن كل من يُعْتَقَد أنهم متحكمون بأموره، وبهذا الغنى يكون الخوف منهم وخشيتهم قد فارقا قلب الخليفة لمن هو مستحق لهذا الخوف وهذه الخشية، فحاجتك إلى الله تنتفي معها أي حاجة أخرى لأي شيء آخر، قال تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} {110}، والعيش بهذا الغنى يُسعد المرء فلا يتذلل لأي كان من البشر مهما وصلت مكانته لكي ينال ما يريد، فتغلب كرامته وعزة نفسه كل العقبات والصعوبات.

هو الأول في خبرته:

لا يملك الخبرة إلا من كان أولاً في كل أمر، فالخالق هو الأول في الخلق لذلك تبع ذلك أن يكون خبيراً بصيراً بمن خلق، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} {111}، ففي الآية السابقة توضيح وتوثيق لخبرة الخالق الدقيقة في عبادته، إذ أنه لم يجعل رزقهم واحد لسبب وهو أنه بما أن الله هو الأول في خلق البشر فهو الخبير بنقاط ضعفهم، قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} {112}، فهو إذن على علم تام ومطلق بأن نقص المال تعذيب لمن

---

109 الزمر 7.

110 آل عمران 109.

111 الإسراء 30.

112 الكهف 46.

أحبه وملكه، ولكن هذا الإنسان إذا كان ممن يحسنون فهم المصائب لما  
تعسرت حياته، لأن في فهم المصيبة فهم لرسالة الخالق له بالاستقامة  
والثبات وهذا مجد ذاته أكبر مكافأة له من الله عز وجل.

ولا أحد يستطيع أن يعلم بخبرته البشرية أي الأمور التي يملكها أو التي  
يفتقدها فيها خير له أم شر، لذلك على المرء أن يترك أمره أوله وآخره  
للاول المطلق يتصرف كيفما يشاء به فهو الخبير بما ينفعنا وإن بدا لنا غير  
ذلك، قال تعالى: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ  
أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} 113.

فكما أن خبرته مطلقة فمعناه أن كماله مطلق كما ذاته، فالخالق لم  
يكتسب شيئا ناقصا بل الكمال لديه في كل أمر وكل صفة وهذا لا  
يكون إلا لمن كان أولا في المقدمة دائما لا يسبقه أحد أبدا.

وخليفة الله لا بد أن تكون لديه عين خبيرة وقلب خبير بما هو نافع وبما  
هو ضار، فالصلاح للإنسان لا يأتي هدية من أحد بل هو نعمة من الله  
تعالى علينا إذا سعينا إليه والسعي لا بد أن يكون على دراية لا عن تبعية  
عمياء دون معرفة، قال تعالى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا  
كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} 114، وقال  
تعالى أيضا: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِي اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
يَدْعُوكُمْ لِيُعْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ  
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثُونَا بِسُلْطَانٍ  
مُبِينٍ} 115، هذه التبعية التي تلغي العقل وتُسقط الروح في بئر الجهل  
والضلال.

هو الأول في العظمة ولا مقارنة:

---

<sup>113</sup> الفتح 11.

<sup>114</sup> الأعراف 70.

<sup>115</sup> إبراهيم 10.

وعظمته هذه لا تتجزأ ولا تنتهي بزمن أو بموطن، بل باقية أزلية كما الله تعالى، يرينا إياها في كل ما حولنا، قال تعالى: {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا نُصَدِّقُونَ أَفْرَائِيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} {116}، فالأول تعالى هو من بدأ الخلق بإبداع، فكان عظيما في خلقه، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِذَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} {117}، كذلك قوله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} {118}.

وعظيما في رحمته، هذه الرحمة التي بدأت بخلقه للكون برحمته وللإنسان أيضا الذي هداه السبيل للفوز بالنعيم، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي

116 الواقعة 57 . 74.

117 البقرة 164.

118 السجدة 7.

جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { 119، وبما أنه الأول في فتح أبواب رحمته فهي رحمة مطلقة لمن استحقها وهي رحمة تزرع الأمل في قلب كل إنسان أراد أن يستند إلى المولى ويلتجأ إليه عز وجل، لذلك فهو المتحكم بها يوزعها كيفما يشاء بعلمه المطلق وعدله الكبير ولا أحد يستطيع أن يتدخل فيها، قال تعالى: { مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } 120.

وعظيما في عقابه، هذا العقاب الذي لا يمكن أن يعاقب به أي إنسان مهما امتلك من سيادة أو سلطان، لأن الخالق هو أول من خلق العقاب لمن استحقه بذلك كيف يكون للمخلوق أن يصل إلى أن يكون له هذا العقاب في الأرض، وقد جعل الله العقاب الحقيقي والخالد يوم الحساب لأن الدنيا ليست دار بقاء ولا يستحق أن تكون كذلك، قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ وَمَا كَادِرٌ مَا حِسَابِيهِ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ خُدُوهُ فَعُلُوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ } 121.

وعظيما في مكافأته للمتقين، ورحمته فمهما قدم الإنسان من خير وحب لله لا يمكن أن يرقى إلى مكافأة الخالق له، لأنه الأول في كرمه وحبه ورحمته، ولذا فالأول دائما سابقا لغيره بيدته للشيء، قال سبحانه وتعالى: { يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ

119 الصافات 76.

120 فاطر 3.

121 الحاقة 25 . 33.

هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}122، وكذلك قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي  
جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}123.  
ولا بدّ للخليفة أن يستحقّ أن يكون عبدا لهذا الربّ العظيم الذي بدأ  
الكون بعظمته وسينهيه بعظمته عزّ وجلّ.

هو الأوّل في سمعه وبصره ولا مقارنة:

فبصره وسمعه مطلقان لا حد زماني أو مكاني لهما، وهو الأوّل في سماع  
كل ما في الظاهر والباطن فلا تخفى عليه شيء في الأرض ولا في  
السّماء، وهو الأوّل في إدراك كل شيء ببصره اللا محدود، وإحاطة كل  
شيء بسمعه المطلق، فكان له بذلك العلم المطلق بكل شيء بالسر  
والعلن وبما في الصدور وما تنطق الألسن، لا يخفى عليه شيء، قال  
تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ  
يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}124، وقوله تعالى كذلك: {أَلَمْ تَرَ  
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا  
هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ  
مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ  
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ  
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ  
فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ  
الْمَصِيرُ}125، وسمعه وبصره يشمل المسلم والكافر والمذنب والتائب بل  
يشمل كل ما خلق سبحانه وتعالى ولا يقتصر على البشر، بل إنه تعالى

122 الحديد 12.

123 التوبة 72.

124 المجادلة 1.

125 المجادلة 7، 8.

الأول في إحاطة الخلق بسمعه وبصره، وبالتالي علمه يشمل كل شيء، فلا يختلط ولا تختلف عليه الأصوات ولا تتشابه، ولا ينشغل سمع عن سمع فهو الأول المطلق في سمعه.

والخليفة من كان سمعه لله وفي الله وكذلك بصره، لا يجعلهما يقودانه للضلال والمعصية، فينتهي بسمعه عن كل ما هو مؤذٍ ومُفسِد، ويغض بصره عن ما حرم الله ونهى، فيكون بذلك بصره لله وسمعه لله، وطاعته لله رب العالمين، والسمع مرسل الإيمان إلى العقل والقلب فبه يدرك كل منهما الحق، قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} 126، فالسمع من الدعائم الأساسية للعلم الذي يصيب العقل فينيره وينأى عنه التخبط في ظلمات الضلال، فيكون سماعاً لكتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} 127، وإذا أدرك الخليفة أن الله هو الأول في بصره تمسك بمراقبة نفسه ومحاسبتها قبل أن يحاسب من الآخرين في الدار الدنيا أو أن يحاسبه الله يوم يقوم الحساب، ولهذا يمضي الخليفة في الدنيا خائفاً من أن يراه الأول في ما لا يجب أن يكون عليه، وإذا وصل الخليفة إلى أن يعيش متيقناً بأنه على مرأى من الخالق عز وجل فلا يستهين بذلك بل يداوم على مراقبة نفسه وإلزامها بما أمر الله سبحانه وتعالى، وأن يكون نظره موجهاً إلى ما في ملكوت الله من إبداع وعظمة وقدرة، قال تعالى: {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} 128،

---

126 الحج 46.

127 الأعراف 204.

128 يونس 101.



وقال سبحانه تعالى أيضا: { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } 129.

الأول هو إجابته:

إجابته للدعوات تسبق حتى رجاء الإنسان بذلك أحيانا، وتأتي رحمة له ومنجاة من أي كرب، قال تعالى: { أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } 130، والخالق هو الأول في حبه لإجابة عباده الصالحين ودليل ذلك قربه منهم وسماع دعواتهم في أي حال وأي وقت، قال تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } 131، فمطلوب من العبد الدعاء بقلبٍ ملؤه الرجاء والضعف والحاجة للخالق عز وجل، فيهديه هذا الخالق المحيب الذي لا يرد من لجأ إليه الإجابة، قال تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } 132.

وهو الأول في زرع الأمل في قلوب اليائسين واخضرار القلب بمغفرة الخالق للذنوب، فهو المحيب لكل عائد عن ذنبه مستغفر خائف من بطشه عز وجل، قال تعالى: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } 133.

وخليفة الله من كان مجيبا لدعوة الخير أينما كانت، فلا ييخل بما عنده من معرفة وعلم على من طلبه بل يجيبه بما أراد، وأن يكون من دعاة الأمر بالمعروف استجابة لقول الله تعالى في كتابه الكريم: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

129 الذاريات 20، 21.

130 النمل 62.

131 غافر 60.

132 البقرة 168.

133 البقرة 160.

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ  
أَمَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ  
الْفَاسِقُونَ} 134، وألا يكون مجيبا لدعوة الضلال والفساد يلهث وراء  
دعوة الملذات ومغريات الدنيا التي تفسد عليه آخرته.

يجب على الخليفة توحيد الخالق والإيمان بأن بدايته ومرجعه إلى الأوّل  
الذي لا سابق له، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا  
مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا  
وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا  
كَانُوا يَكْفُرُونَ} 135، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ  
أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ} 136.

وبما أنّ الله هو الأوّل الذي لا ثاني ولا حتى لاحق له عزّ وجلّ فاستحقّ  
بذلك التعظيم والإجلال، فمن حقّ الخالق علينا أن يكون نعظّمه  
ونقدّسه، لكننا نجد في بعض الأشخاص ابتعادا وتلاهي عن ذلك، ومن  
العجيب أننا نجدهم متوجهين بذلك الشعور لجهات أخرى لا تستطيع له  
شيئا إذا أراد الله بهم أمرا، فنجدهم يستشعرون بالرهبة الممزوج بالضعف  
والحاجة تجاه من يعلوهم مكانة في العمل أو في أيّ مجال آخر، بالرغم أنّه  
يجب أن يتذكروا أنّهم ليسوا بأوائل في أي شيء بل الله هو الأوّل بعبأته  
لهم هذه المراكز، فهو بذلك المستحقّ الأوّل لهذا الاحترام وهذه الرهبة  
والطاعة بالوحدانية والعبادة والقيام بأفعال الخير الحسان.

134 آل عمران 110.

135 يونس 3، 4.

136 الروم 27..

ومن آثار اسم الأوّل في حياة الخليفة ما يلي:

1- أن يكون الأوّل في الخير: فلا يرضى الخليفة أن يكون من أواخر الداعين والساعين إلى الخير، أو المانعين له، أو الغافلين عنه بالفساد والشور التي تملأ قلوب الكثير من البشر المتبعدين عن حب ورضا الخالق، فتراه في مجال عمله محورا للمعروف وأساسا له لا يجتمع مع دعاة الفساد والردائل إلا كي يدعوهم للخير والتوبة لعلهم يستجيبون، زارعا في كل أرض يحط بها أملا للفلاح وبدوورا للخير والرضا والصلاح، ولا يتأتى ذلك إلا بالتالي:

. أن يسعى للصلح في أي خصام فيكون بذلك الأوّل في السلام، كما حثنا رسولنا الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يَجُلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ" 137، فالسلام لا يعني كلمة تخرج من الفم فقط بل هي ملامسة القلوب بالإحساس بحلاوة الرجوع للحب والصفاء، والمصافحة تعني ارتقاء الإنسانية فوق كل شيء آخر، وفيها دعوة لنشر الأمن والسلام بين كافة المسلمين ولو علم المسلمون معناه الحقيقي لما بخل مسلم بالسلام على آخر ولما خطر ببال أحدهم خاطر معيب في حق أخيه البادئ بالسلام، والخالق يجب أن يعم السلام بكل معانيه بين الخلق أجمعين.

وأن ينطق بالحقّ لأن الحقّ موطن الخير، فلا يصمت حينما يجب أن يتكلم بالحقّ فتضيع بذلك الحقّ وتعم الفوضى ويسير الناس في ظلمات جهل الحقّ والواجبات.

---

<sup>137</sup> صحيح البخاري ج 19، ص 22.

وعلينا أن نفرق بين السلام الذي يؤسس على المحبة والإرادة والحق والعدل، وبين الاستسلام الذي يؤسس على تنازلات تحت الضغوط غير المتوازنة.

وطوبى لمن كان سباقاً للخير داعياً له، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} {138}، ولما كانت هذه مكافأة الداعي للخير ذلك مدعاة لأن ندرك مدى عمق أثره في المجتمع بصفة عامة وفي نفس الإنسان بصفة خاصة، فلا يمكن لداعي الخير إلا أن يبدأ بإصلاح وتهذيب نفسه فأسوأ شيء أن تدعو لمكرمة أو فضيلة أنت تفتقد إليها. ومن شروط رضا الأول علينا واستجابة دعواتنا أن نكون من المسارعين في الخير، لا أن نكون ممن يتباطؤون في فعل الخير أو يغفلون عن أدائه.

2- أن يكون الأول في الالتزام والحرص على رضا الله تعالى وأن لا يكون من أواخر من يسعون إلى الله بكل ود وحب، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ فِي الْحَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} {139}، وكذلك قال تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} {140}، فاستجابة دعوة المسلم مرهونة بإسراع العبد لفعل الخير والعمل عليه.

---

138 التوبة 71، 72.

139 المؤمنون 60، 61.

140 الأنبياء 90.

3- أن يكون أول الصابرين عند حلول المصائب، التي يكون مجلوها فيصلا لمن كان مؤمنا حقا ومن كان ضعيف الإيمان، فعند بداية نزول المصيبة نجد هناك من يحتسب أمره للخالق ويصبر، ونجد من لا يحتمل ذلك فيغيب عنه الصبر والتحمل فيسعى لطلب العون من غيره، كاللجوء لبعض الشيوخ والأولياء.

لكنّ الخليفة هو من وكل أمره الله في أول الأمر وآخره، قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} {141}، فيما أنّ الدنيا كانت دار امتحان وبلاء للإنسان فهو معرّض فيها لحلول مصيبة عليه في أي وقت أو حتى أن تتوالى المصائب وتتكاثر الهموم فوقه، ولكن في فهم حكمة المصيبة يكمن قوّة الإيمان وصبر الإنسان، وهي بمثابة رسالة من المولى عزّ وجلّ لهذا الإنسان، وبالمقابل فالإنسان يختار الرد الذي يناسبه للرد على هذا الرسالة، والفائز منهما هو من كان رده على هذا الرسالة كما جاء في الآية القرآنية السابقة، فكانت للمصيبة الأثر الإيجابي الفعّال في حياة المؤمن الصادق.

4- أن يكون أول المضحين بالنفس والمال في سبيل الله: إذا تيقن الإنسان أنه وما يملك لله فلن يرضن بشيء في سبيل الله تعالى، بل سيرخص عليه كل ما ملك في الحياة الدنيا ونفسه معها، قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} {142}، وكذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ

<sup>141</sup> البقرة 155، 157.

<sup>142</sup> الحديد 10.

تِجَارَةٍ تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَعْفِرُ لَكُمْ  
ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي  
جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّوهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ  
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} 143، فالإسراع بالجهاد بالنفس والمال يأتي بالبشرى  
والخير على المسلم، لأنه يستحق ذلك بمسارعته وراء رضا المولى وحبه.

#### 5- الإسراع في الاستغفار:

تحاصرنا الزلات والأخطاء أينما اتجهنا، فالإنسان بطبعه كثير الخطأ  
والزلات سواء كان في حق ربنا الكريم أو في حق أنفسنا أو في حق  
الآخرين، وعندها نكون بحاجة لمن يشد على أيدينا ويدلنا على طريق  
الصلاح، ولا أعظم ولا أفضل ولا أسبق من الله تعالى في ذلك، لكن  
علينا أن نسرع إليه أولاً بقلبٍ يحبه ويتمنى رضاه ومغفرته، بقلبٍ خاشع  
خائف من خالقه عز وجل، قال تعالى: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ  
وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ} 144، فعمر الإنسان  
محدود والذنب مفعور إن شاء الله إذا أسرع العبد في الاستغاثة بالله  
والاستغفار من ذنبه والرجاء بقبول توبته.

#### 6- أن يكون أول المستعدين للقاء الأول:

أكثر الناس يعيشون اللحظة الراهنة فقط مستمتعين بها تأخذهم النشوى  
بعيدا عن الواقع الذي يجب أن لا يتناسوه، فيتوه عن باهم رحيلهم عنها  
في أية لحظة شاء رب العالمين ذلك، والخليفة هو من كان يعيش الحاضر  
بتعقل مع دمه بالمستقبل الذي سيرحل فيه بالتأكيد عن الدنيا فيعد لهذه  
اللحظة كل ما يحتاجه من انضباط مع الخالق وحب له ومسارة في  
مرضاته، لأنك العبد إذا أحب الله تعالى أعطاه الله الأمان بذلك من

<sup>143</sup> الصف 10، 13.

<sup>144</sup> المائة 39.

عذابه، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ يَقْتُلُوا آلَهُمْ وَإِنَّا لَمَكْتُومُونَ} 145، فقد استحق الأمن بإيمانه الصحيح، هذا الإيمان الذي ثبت في قلبه محبة المولى عز وجلّ ومحبة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: "أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَعَدَدْتَ لَهَا قَالَ: حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" 146.

فبذلك كله يكون خليفة الله على خلق طيب وهذا ما سعى إليه خالقنا العظيم من بعث رسولنا الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذي أوضح الصورة التي يجب أن يكون عليها المؤمنون حين قال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} 147، بما أنّ رسولنا الكريم قدوة لنا فلا بدّ أن نكون من أوائل المتصفيين بحسن الخلق.

والأخلاق قابلة للتغيير والتحسين فهي مرآة النفس البشرية، فلا يقوم الإصلاح المرجو في أرجاء الأرض إلا بتهديب هذه النفس وتقويمها وردعها، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} 148، فأما الإصلاح لها وبها وإما الفساد لها وبها، فالنفوس البشرية متباينة حسب استيعاب كل إنسان لرسالة خلقه في هذه الأرض، فمنهم من أحب حمل الأمانة بوعي كامل وفهم عميق لهذه المسؤولية، ومنهم من أتلف هذه الأمانة وأضاعها في أحضان الدنيا فضاع بضياح هذه الأمانة العظيمة.

وفي معنى اسم الأوّل رسالة لكل متجبر وظالم بأن هناك الأوّل في القوّة والجبروت فهو الأعلى والأجل والأعظم، وهو المعيد لهم لحسابهم وعقابهم

---

<sup>145</sup> الأنعام 82.

<sup>146</sup> صحيح مسلم ج 13، ص 91.

<sup>147</sup> القلم 4.

<sup>148</sup> الشمس 7، 8.

فيقفون بين يديه يوم الحساب ضعافا وجلين، ولنا في القرآن الكريم عبر وقصص تثبت ضعف الإنسان أمام قوة الله، فكم كانت قوة فرعون وتجره إذ أنه جعل نفسه إلهًا بما وصل إليه من غرور وجبروت على الناس، قال تعالى: { اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَىٰ } {149}، وكأنه ملك الأرض والخلق بقوته، أو كأنه الأوّل في قدرته وعظمته! لكنّ الله تعالى رد عليه جحوده وكفره وأظهر له ولمن حوله مدى ضعف الإنسان أمام عظمة الأوّل، ليكون عبرة للبشرية جمعاء، قال تعالى: { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعَافِلُونَ } {150}، فقد خلق الإنسان ضعيفا أمام الخالق عزّ وجلّ محتاجا لمن هو أقوى منه، يستند إليه دائما ليشد أزره، ولو أنّه خلق قويا لاستغنى بقوته وشقي ولكن الله تعالى خلقنا ضعفاء ليرحمنا من انتقامه، ويا سبحان الله حتى ضعف الإنسان نعمة من نعم الله تعالى لأنّها تجعلنا نفتقر ونعود إلى الأوّل وهنا تكمن السعادة الحقيقيّة.

والإنسان قوة إذا آمن بالقوي المطلق واستند على قوته في الكلمة والفعل والأمر والنهي، وفي الإدراك والتدبير وفي التفكير والتذكر حتى يتعظ بكل معطيات القوة.

149 النازعات 16 . 26.

150 يونس 90 . 92.



والخليفة هو من أوائل من وصلوا إلى الخالق مطمئنين به راضين بحكمه، وهو من كان شاغلا نفسه بالحق فلم تشغله نفسه بالباطل، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} {151}، فما أكثر ما نجد أنفسنا تائهين في الحياة الدنيا لاهتين خلفها لا ندرك مدى الخسارة التي تنزل بنا.

وكان اسم الأول في حق الله تعالى يحمل في معناه رسائل للعباد جميعا ويخاطب الإنسان قائلا: إليك يا عبدي فتدبر هذه الرسائل:  
الرسالة الأولى:

إنّ مرحلة الطفولة رسالة لمرحلة الشباب، والشباب رسالة لمرحلة الكبر والعجز، إذ أنّ أول القوّة ضعف وبداية الضعف قوّة، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} {152}، والله حكمة في ذلك ليعيش الإنسان جميع المراحل والأعمار بمختلف الشعور والأحاسيس التي من شأنها أن تتدربّ ذاته على التواضع عند امتلاك القوّة والصبر عند الضعف، وبعلمه المطلق عزّ وجلّ أدرك أنّ الإنسان يحتاج إلى رسالة تلفت نظره إلى أنّ الحياة لا تدوم، فالشباب حيوية ونشاط وحب للحياة فإذا دام للإنسان وصل به إلى التكبر والغرور وتناسى آخرته بحماس شبابه، وفورة القوّة وتأججها في نفس الشباب ستلهي البعض عن عجزهم عن فهم رسالة الشباب تلك فلا يقرؤون إلا العنوان دون النظر في محتوى الرسالة الإلهية الموجهة لهم، لأنّ الخالق أراد منا أن نكون قوّة للحقّ والعدل والمحبة وأن نتوجه إلى الخالق شاكرين وحامدين هذه النعمة التي أنعمها علينا، فلا تذهب قوانا سدى في الشرور والمفاسد، بل يجب أن نطوعها من أجل الخير وإعمار الأرض التي

---

151 الأنعام 82.

152 الروم 54.

هي أمانة لدينا تحملناها منذ بدء الخليقة إلى يوم الحساب فلا مفرّ من المحاسبة على التفريط فيها وإهمالها بالفساد، وفي الشباب قوّة تدعم هذه الأمانة وتعين على حملها والمحافظة عليها بالدعوة للحقّ والعدل والمحبة والسّلام، فالدنيا لا تقوم ولا تصلح إلا بهذه الهمم الجبارة التي لا تخشى إلا خالقها عزّ وجلّ وباستقامة الشباب تستقيم الحياة وتصلح، وإذا تم ذلك تحققت رسالة الشباب على الأرض وكانت عوناً للحقّ لا عوناً على الحقّ كما يحدث في بعض الحالات، إذ يكون موعد الإنسان مع الشباب هو موعد للتكبر واللهو والفسوق، فتضيع معه الرّسالة ويضيع بضياعها هو، وهناك حالات أخرى يكون الموعد بدخول سن الشباب دعة للاستقامة وهؤلاء هم من يحسنون قراءة الرسائل ويدركون المعنى الجوهرية لها، لا من يتفاخر بقتل العضلات وتوزيع الشرور بقوّته وغروره الفاسد الذي يجلب الدمار والهلاك لنفسه ولمن حوله، لذلك فالشيخوخة تأتي ختماً نهائياً للشباب وذرورة الحماس، فيكون الهدوء بعد العاصفة والتأمل بعد الضجيج فيسكن الإنسان لذاته ويرجع إليها محاسبا أحيانا ومعاتبا أخرى، حينها يكون قد وعى جزءاً من الرّسالة وبدأ بالندم على ما فات إذا كان ممّن يتأججون بنار الطيش والرغبة في الاستمتاع بالحياة بالشكل الخاطيء.

الرّسالة الثانية:

العقاب رسالة لكل ضعيف النفس أمام الشهوات ومغريات الدنيا، فبداية الذنب قد يكون خطأ صغيراً ثم يبدأ الإنسان تصاعدياً تجاه الأكبر من الذنوب، ورسالة الخالق عزّ وجلّ لكل مذنب هي العقوبة كي يرتدع ويتوب ويقنع عما كان فيه من أذى لنفسه ولمن حوله وهي في جوهرها رسالة رحمة، إذ أنّ إحلال العقوبة من شأنها أن تحدّ من اندفاع الإنسان اللاعقلاني نحو الجريمة والمعصية وفي هذا الحد رحمة للإنسان، قال تعالى:

{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} 153، فالبشر بطبيعتهم يميلون نحو السلام وحب الحياة والعقوبة إذا تم تطبيقها حقًا فإنها تكفل لهم الحياة الكريمة التي يتمنوها، لكن في بعض الأحوال يتغلب الشيطان بوسواسه على طبيعة الإنسان التي خلقه الله تعالى عليها وهي ميله للسلام والحق، فيتغلب الشر بذلك على الخير في نفسه، ويصبح عبدا للشر والضلال اللذان يقودانه لخسارة نفسه ورضا ربّه عليه، وبذلك يخسر الدنيا والآخرة، فتأتي العقوبة كرادع له ورسالة تحمل عقابا قد يكون أحيانا روحيا قبل أن يكون عقابا جسديا، وإذا طُبقت العقوبة بالشكل الصحيح وصلت الرّسالة في الوقت الصحيح وبالشكل الصحيح، فهذه الرّسالة تنطوي على مضمون حب الخالق للسلام والعدل، ومن كان محبا لهما فقد أحبه الله لذلك، ولا بدّ أن يكون أوّل طريق الإصلاح هو عدم التسبب والتراخي في العقوبات، بل بتنفيذها بالشكل المحدد لا زيادة ولا نقصان في حدود تقوى الله تعالى.

الرّسالة الثالثة:

يكفي أن يتأمل الإنسان في كيفية حياة نبتة صغيرة قد نمت بين الجبال الشاهقة والجو القاسي الذي قد لا يحتمله العديد من الأشجار الضخمة ليستوعب رسالة الخالق له بالدعوة بالتعايش فيما بيننا باختلاف ألواننا وأجناسنا ومراكزنا، فلا يمتنع غني في التعامل مع من هو أقل منه غني ولا يرفض صاحب سلطة أو مركز مرموق أن يناسب إنسان عادي المركز أو متواضع المكانة لأنّ الفيصل الوحيد بين البشر في القانون الإلهي هو تقوى واستقامة الإنسان بغض النظر عن جنسه أو لونه أو شكله، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } 154، إذ

---

153 البقرة 179.

154 الحجرات 13.

أنّ الإنسان من الممكن أن يقرأ الدعوة للتعارف والمحبة من هذه النبتة البسيطة التي قد تنمو وتكبر وتذبل دون أن تشير لأيّ معنى إذا لم ينصت الإنسان لرسائل الطبيعة التي ترسلها لنا بأمرٍ من الخالق عزّ وجلّ.

وأروع ما يكون إذا خاضت البشرية هذه التجربة التي لا خسران فيها، إذ لا خسارة في تجربة الحب الجماعي والأخوة والصدقة أن تكون بديلا للنزاع والضعينة بين البشر.

فأول هذه الرسالة هي الدعوة للمحبة وآخرها حب التعايش جنبا لجنب مع بعضنا البعض فيسعد الصحيح العليل بزيارته والغني الفقير بمساعدته والشباب الشيخ بمساندته وغيرها من صور التعايش التي تدعو لها هذه الرسالة الإلهية.

الرسالة الرابعة:

الموت رسالة للحياة، والحياة رسالة للموت، فكل منهما بداية للآخر فلا تبدأ كل منها إلا بالآخر، قال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 155، فرسالة الحياة تبدأ بإحياء الإنسان من شيء ميت، وبقدرة الخالق عزّ وجلّ ثبت فيه الروح وتذب فيه الحياة، ويولد هذا الإنسان وينمو ويكبر متناسبا أصل حياته وبداية خلقه لاهيا في الدنيا لاهثا خلف أيامها، ثم يأتي الموت لتبدأ حياة جديدة مختلفة عما كان فيها، حياته هذه تبدأ للحساب، قال تعالى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 156، وقال تعالى أيضا: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} 157، وهذه الرسالة هي أصل كل الرسائل الأخرى، فالله هو الأوّل في الإحياء والإماتة والحساب، وهو بذلك يرسل للإنسان بأن

---

155 البقرة 28.

156 الروم 11.

157 الجاثية 15.

يكون أولاً في محاسبة نفسه في الحياة، بل بمحاسبة نفسه كل ليلة على ما قدم في نهاره من خير أو شر، وأن يكون ميزانا لأفعاله وأقواله، فأول الناس في الحكم على نفسه هو الإنسان نفسه لأنه غير قادر على خداع ذاته وغشها الأمر الذي قد يستعمله مع من حوله.

وأول كلمات هذه الرسالة الاستقامة في الحياة طريق النجاح، وأول درجة يعتليها الإنسان للصعود إلى الأدمية هي تحقيق رسالة الخالق لنا في الأرض على الشكل الصحيح، فالحياة لا تدوم لكنك تختار فيها أي المكانين ستقيم إقامة أبدية إما الجنة وإما النار، كل إنسان حسب ما سبق أن قدم في حياته، حتى الرسل والأنبياء لا يمكن أن تكون حياتهم أبدية على الأرض بل كل منهم وله أجل قد أتاه لأن الخلد للأول المطلق والآخر المطلق، قال تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنُنَّا وَإِنَّا نُرْجِعُونَ } 158.

الرسالة الخامسة:

أول الشرور هو العصيان والغرور، قال تعالى: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } 159، فما من مفسدة أو ضلال إلا وكان الشيطان وراءها، فأول وأصل الشرور

158 الأنبياء 34، 35.

159 ص 73 .81.

والضلال هو العصيان والتكبر على أوامر الخالق عزّ وجلّ، فما من عاصي ولا متكبر إلا وكان خاسرا لأنه بخسران رضا وحب الله يكون قد خسر كل شيء آخر، ومن عصيان وتكبر الشيطان وحقّده تولدت الوسوسات التي تؤدّي بالناس إلى طريق الضلال والهلاك، وتنشر في الأرض الشرور والمفاسد، التي نهانا الله عزّ وجلّ عنها، والتي تبيح للإنسان أن يكون تابعا للشيطان، الذي يأمر التابع له بالفحشاء والمنكر فيضله عن طريق الحقّ الذي أراده الله أن يكون عليه: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } 160، فبذلك كان الشيطان أول ساعٍ للشر والضلال بعصيانه لأوامر الله تعالى، وتكبره عن السجود للإنسان بالتالي تولدت الشرور الأخرى كالطمع والبخل والكذب والنفاق وغيرها من وسوساته للإنسان بغرض تضليل بني آدم عن طريق الحقّ والخير، فبداية بذرة الشر أنبت العديد من أصناف الشرور التي استولت على بعض النفوس البشرية الضعيفة، بالرغم أنّ الأول بالإطلاق كان سباقا بتنبيه بني آدم لهذا الشر وتحذيره له من الابتعاد عنه، قال تعالى: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ } 161، وكذلك قال تعالى: { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَاهُمَا

160 النور 21.

161 يس 60 . 62.

بِعُرْوٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ  
وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْنَا لَكُمَا إِنَّ  
الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ {162}، فالله كان أولاً في توضيح الخير من  
الشر للإنسان، فكان أولاً بهدأيته له ورحمته به بتعليمه التمييز بين الحق  
والباطل وأولاً بإهدائه العقل للتمييز قبل كل شيء آخر، فكان خيره  
وكرمه وحكمته سابقة لنزعة الشر التي دعا إليه الشيطان للانتقام من  
البشر بإغوائهم، لذلك فقد انقسم البشر إلى قسمين، أولهما:

تابع للأول المطلق ومطيع له في أوامره وهذا هو الناجي والفائز بسباقه  
لحب الأول وتغلبه على وسوسات الشيطان، فيكون بذلك الخليفة الذي  
أراده الخالق عز وجل في الأرض حافظاً لها راعياً حقها.

وثانيهما: تابع للشيطان يُملي عليه ما يؤدي به للهلاك والخسران، مبعداً  
عن حب المولى عز وجل لاهتأ وراء ملذات ومفاسد هي سبب هلاكه،  
قال تعالى: {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ  
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ} {163}.

فالفائز من الفريقين هو الخليفة الذي وجد سعادته بالقرب من الأول  
المطلق، بعد أن بحث عنها وسعى إليها، فكان الله الأول في رحمته به  
وهدأيته له وحفظه من كل الشرور، ومكافأته بجنة الخلد التي وعد بها  
خلفائه الذين سعوا في الأرض بالخير والصلاح، منفذين إرادة الخالق عز  
وجل، فكان الخالق عند وعده لهم، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ  
خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ  
إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} {164}، وأيضاً قال تعالى: {أَمْ

---

162 الأعراف 19 . 22.

163 الأعراف 30.

164 الأنعام 165.

مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَتْلَةٌ  
مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ {165}.

فجميع رسائل الأوّل عزّ وجلّ يدركها خلفائه الذين رضا الله عنهم ورضوا عنه، فأتم الله عليهم نعمته، فأدركوا الحياة كما أرادهم المولى ولم تدركهم الحياة، فكان سمعهم من سمع الأوّل، وبصرهم ورحمتهم كذلك، وما يزال خلفاء الأوّل يتسابقون على الفوز بحب الله ونيل رضاه وما يزالون يتوافدون لرحاب الله يختارون لذلك أقصر الطرق وهي حبه وحب رسوله الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فهذا الحب هو سبيل الاستقامة، والاستقامة سبيل النجاح، والنجاح هو الفوز بشرف خلافة الأرض كما أرادنا الأوّل عزّ وجلّ.

والخليفة الحقّ من كان أوّلاً في فتح أبواب الخير وأوّل في إغلاق أبواب الشر بما استطاع، فيقذف الأوّل المطلق في قلبه نور البصيرة الذي به يدرك الخليفة حب الخالق وأمانه.

الأوّل هو الآخر وهو البداية والنهاية، ولأنّه البداية والنهاية فهو الذي لم يكن من بعده آخر، وهو الباقي الدائم الذي يوحد ولا يتعدد، ولأنّه الباقي فكل شيء هالك إلا وجهه، ولأنّ الحياة منتهية إثباتاً، فإن ذلك يعني أنّ كل مخلوقاتها منتهية، وبما أن كل مخلوقاتها منتهية، والمخلوقات كم عددي، إذن كل كم في الدنيا مُنتهٍ حتى حبات الرمل، وقطرات الماء ورذاذه.

إنّ الحياة الدنيا التي نود التعرف عليها والتطور فيها لن تكون باقية إلى ما لا نهاية، بل إنها منتهية. ولأننا نعرف إثباتاً أن للحياة نهاية فلا نتفق مع الذين يقولون غير ذلك. فلا تحليل إلا لوجود، ولا تحليل إلا بوجود، ولكل شيء بداية ونهاية، وهكذا يستمر الوجود، والتفكير، والتغيير،



والتحليل إلى النهاية، وأنّ الذين يعتقدون في وجود اللامتناهي رياضياً، هم كمن يلهث وراء السراب من أجل أن يروى ظمأه. ولهذا يحدث الاختلاف مع البعض الذين يجللون القضايا والمسائل الرياضية، وهم معتقدون في وجود اللامتناهي، ومن أجل ذلك أطرح السؤال الآتي:  
هل اللامتناهي موجود.

قد تكون إجابتهم بنعم، وقد تكون بلا، فإذا كانت الإجابة بنعم. فإنهم فتحوا لنا المجال بأن نطالبهم بإثباته، وإذا أثبتوه، أثبتوا أن له بداية ونهاية، وإذا كانت له بداية ونهاية، فإنه أصبح موجود (المتناهي)، ولم يكن اللامتناهي، أمّا إذا كانت الإجابة بلا، إذن نفوا وجود اللامتناهي. وبما أنه أصبح غير موجود، إذن لا حجة لهم علينا، ولنا عليهم حجة.

والمنطق العلمي وخاصة الرياضي منه، لا يعترف بمسلمات إلا بعد إثبات. وعليه إذا اعتبروا إن اللامتناهي مسلمات، فإنهم اعترفوا بأنه مثبت، وإذا كان مثبتاً كان موجوداً، وبما أنه موجود، إذن له بداية ونهاية، وإذا كانت له بداية ونهاية، فإنه لم يكن اللامتناهي. يقول الله تعالى في سورة الحديد: (هو الأوّل والآخر) سبحانه وتعالى أنّه البداية التي لم يكن من قبلها شيء، والآخر بلا نهاية الذي جعل للنهار بداية ونهاية، وللليل بداية ونهاية، وللعمر بداية ونهاية، وللتفكير بداية ونهاية، ولكل الوجود بداية ونهاية. وعليه إذا كان لكل شيء بداية ونهاية، والأعداد شيء، إذن للأعداد بداية ونهاية. وإذا سلمنا بأنّ لكل بداية ونهاية، وان للأعداد بداية، إذن لا بدّ وان تكون لها نهاية، ولكن هل تستطيع قدراتنا العقلية المحدودة (التي لها بداية ونهاية) أن تكتشف هذه النهاية، أو لا تكتشفها. هذه مسألة تتعلق بمدى استخدامنا لقدراتنا العقلية، التي تتطور وتتغير عبر الزمن إلى النهاية، فما نعتبره استحالة اليوم، قد لا يكون كذلك غداً. ولذلك لا مكانة في العلم للأحكام المطلقة مسبقاً.

اللامتناهي رياضيا لا وجود له إلا افتراضا، وبما أنه افتراض، إذن لم يكن مثبتا بعد، فالافتراضات العلمية التي تصاغ بهدف دراسة المواضيع ليست يقينية. بل أنّها احتمالية شكية، قد تثبتها الدراسة وقد تبطلها. وإذا كان لكل كم نتيجة محددة ودقيقة، على سبيل المثال: إذا كان أيّ كم هو نتيجة حاصل الجمع، أو الطرح، أو القسمة، أو الضرب، وسواء في الترتيب أو التكعيب، أو غيرها من المسائل الحسابية، وبما أنه بالإمكان الحصول على هذه النتيجة كحاصل للعمليات الحسابية السابقة، إذن لا مكان بينها إلى اللامتناهي إلا افتراضا. وبما أنه كذلك، إذن لا مصادق لوجوده. وإلا هل هناك كم حسابي يقبل القسمة والجمع والطرح، ولم تكن له نتيجة (نهاية). لا وجود لذلك. ولهذا اللامتناهي على قيد الوجود لا وجود له إلا افتراضا.

إنّ افتراض وجود اللامتناهي، مثل الافتراض الذي يقول (يظل المستقيم مستقيما مهما امتد). هذا الافتراض لا مصادق له، لأنّ المستقيم إذا امتد إلى مهما، لا يمكن أن يكون مستقيما، بل يكون دائرة وهكذا حال أيّ مستقيم يتدئ بنقطة وينتهي بنقطة.

يقول أرسطو يجب التمييز بين اللامتناهي بالقوّة. وبين اللامتناهي بالفعل، وهو يقر بوجود الأوّل، وينكر وجود الثاني. وهذا يعني عدم اعترافه بوجود اللامتناهي إلا نظريا، أما واقعا فلا وجود له. وهذا حال الفكر اليوناني عامة الذي ينظر إلى العالم على أنه متناه. وعليه أتساءل: كيف يؤمن أرسطو بوجود اللامتناهي بالقوّة، ولا يؤمن بوجود اللامتناهي بالفعل. إذا كان المتناهي موجودا بالقوّة يكون بالضرورة موجودا بالفعل. وإذا لم يكن موجودا بالفعل، فلا وجود له بالقوّة. وإلا هل يحقّ لنا أن نقول أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي في حقيقتها من الناحية الفعلية لا تنهى عن الفحشاء والمنكر. إذا كانت كذلك فإنها لم تكن الصلاة. الصلاة هي التي تنهى عن ذلك بالقوّة والفعل. وإذا وجدنا

مسلمًا يصلي ولم ينته عن ارتكاب الفواحش والمنكرات، فالعيب هنا لم يكن في الصلاة، بل العيب في المصلي الذي لم يدخل الإيمان قلبه بعد. ولما يدخل الإيمان قلبه سينتهي عن ارتكاب كل ذلك، وتكون الصلاة في هذه الحالة حقيقة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

وفق المنطق العلمي لكل بداية نهاية، والذي لا بداية له ولا نهاية لا يقبل القسمة ولا الجمع ولا الطرح بنتائج دقيقة ومحددة، وليس له منتصف أو مركز يحدد نزوعه وتشتته مما يجعله معدوم التعامل الحسابي.

ونورد القضايا المنطقية الآتية عن المتناهي واللامتناهي:

القضية الأولى:

كل ما له بداية له نهاية.

للمتناهي بداية.

إذن للمتناهي نهاية.

هذه القضية منطقية وفقا للمسلمات الحسابية التي تم التعرف عليها والبرهنة بها.

القضية الثانية:

كل ما له نهاية له بداية.

اللامتناهي ليست له نهاية.

إذن اللامتناهي ليست له بداية.

هذه قضية منطقية صادقة. وذلك لفقدان اللامتناهي معطيات الإثبات، وهي البداية والنهاية.

القضية الثالثة:

كل ما له بداية ونهاية يقبل التعامل الحسابي.

المتناهي له بداية ونهاية.

إذن المتناهي يقبل التعامل الحسابي.

القضية الرابعة:

كل ما له بداية ونهاية يقبل التعامل الحسابي  
اللامتناهي ليست له بداية ونهاية  
إذن اللامتناهي لا يقبل التعامل الحسابي.  
هذه قضية صادقة إثباتا.

وبناء على هذه القواعد هل للزمان بداية ونهاية. نعم، للزمن بداية ونهاية،  
حتى وأن لم نعرف تاريخ بدايته ونهايته. لأننا نعرف من الزمان ما هو  
ماض، وما هو حاضر، وما هو مستقبل. وهذا يدل على قبول الزمان  
للقسمة والجمع والطرح. يقول الله تعالى في سورة يونس عليه الصلاة  
والسلام: {ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار}. وبما أنّ  
النهار جزء من اليوم، والساعة جزء من النهار، ألا يكون النهار واليوم  
جزءان من الزمان. ولأنّ الإجابة بنعم فتكون البرهنة أيضا بنعم، إن  
للزمان بداية ونهاية، ونحن الذين لم نتمكن من معرفتهما. لأننا لم نؤت من  
العلم إلا قليلا. وفي هذا الأمر أقول كل متعدد متناهي وكل ما ينتج عن  
القابل للتعدد متناهي إلا الواحد الذي لا يتعدد باعتباره هو الأول  
والآخر.

وعليه يكون الزمان متناه مصداقا لقوله تعالى في سورة الأعراف:  
{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا  
لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ  
كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يَعْلَمُونَ} 166. ربّي، الأوّل والآخر. وهو الواحد الذي لا يتعدد،  
وبالتالي لا يقع في شك الفلاسفة والرياضيين المتجادلين على النهاية  
واللانهاية. ولهذا قدرات الله لا تحصى ولا تعد بالقدرات البشرية المخلوقة،

---

166 الأعراف 187.

ولا هي موضع مقارنة، ولا يمكن أن تدخل في حساباتنا المتناهية بقصورها أمام قدرته. وهكذا دائما المخلوق أقل قدرة من خالقه.

وبناء على ذلك هل للأعداد بداية ونهاية. الأعداد مهما كبرت فإنها تبتدئ بواحد وتنتهي بواحد، إذن الواحد هو البداية، والنهاية، وإذا لم نصل بقدراتنا العقلية إلى معرفة وجود النهاية العددية، فإن ذلك لا يعنى إثبات عدم وجودها، بل انه دليل على قصور قدراتنا العقلية، والفكرية، التي لم يستخدم منها إلا القليل جدا من سعتها الإدراكية، والاستيعابية، وهذا يتطلب منا عدم اليأس، ويدفعنا إلى البحث الجاد، والتقصي الدقيق، من أجل التعرف على نهاية الأعداد، كما تعرّفنا على بدايتها، ولذلك لا يأس {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} 167. والآخرة هي التي تكتمل بها البداية، وتنتهي، كما تبتدئ الأعداد (أي أعداد) بواحد، وتنتهي به، ممّا يجعل الواحد ككل، أو كجزء هو البداية والنهاية.

وما لانهاية، هو الذي لا يشاهد، ولا يحس به، وهو احتمال، لم يخضع للإثبات، وإذا عرفناه أصبح نهاية، والأعداد سواء بالسلب، أو بالإيجاب تستمر في تضاعف إلى النهاية (نهاية الشيء المعدود، أو نهاية الذي يقوم بفعل العد) ولا يبقى إلا الأول الواحد الأحد.

ومثالا على ذلك: إذا اتجه أحد المتخصصين في دراسة الرياضيات من نقطة معينة على الأرض في اتجاهها مستقيم، فإنه بالضرورة يصل إلى النهاية، لأن لكل بداية نهاية، ولكنه لو انحرف قليلا، أو كثيرا عن خط سيره، فإنه يجد نفسه مستمرا في اتجاهه، دون أن يمر بنقطة النهاية، وكأن الأرض ليست دائرية، وهكذا في كل دورة على الأرض إذا لم يصل إلى

نقطة البداية التي وضعها أو أنطلق منها، وفي هذه الحالة قد يحكم على الأرض بما لانهائية، وهو يعرف مسبقاً أنّها منتهية.

وعليه أتساءل: هل في دراستنا للأشياء والمواضيع في دائرتها، أو فلحها المنتهى، تكون غير منتهية. نحن نعرف أنّ كل شيء ندرسه، أو خاضعاً للدراسة، لا يخرج عن حيز من الزمان، والمكان، وهو أيضاً لا يخرج عن حيز تفكيرنا وقدراتنا العقلية. إذن كل ما ندرسه ونبحث فيه، هو في إطار محدود، مع فارق حدوده مع غيره، إذا قورن به، وبما أنّ ما ندرسه في إطار محدود، ألا يكون لم ندرسه حدود ونهايات. إذا قمنا بإحصاء عدد سكان الصين على سبيل المثال، فمهما كان عددهم فإن له نهاية، لأنّ المكان الذي استهدفناه محدد، إذن مسبقاً نعرف أن لعدد سكان الصين نهاية، مع أنّنا لا نعرف عددهم بعد. وإذا قمنا بتعداد سكان العالم، وحيواناته، وطيوره، وأسماكها، ونباتاته، وحتى حبات رملها، ألا نصل إلى النهاية. بالتأكيد سنصل، لأنّ كل هذه الكائنات في رقعة جغرافية محددة بالكرة الأرضية المتناهية، إذن لا بدّ وأن تكون لها بداية ونهاية، مع العلم أن بعض الذين سيشاركون في التعداد قد ينتهوا قبل أن يعرفوا النهاية، وإذا خرجنا بقدراتنا العقلية إلى التعرف على ما هو خارج الأرض، فإنّنا سنعرف بقدر ما تستوعبه عقولنا وتفكر فيه، ولا نستوعب ولا نتعرف على ما هو خارج عنها. وبما أن لكل شيء بداية. إذن لا بدّ وأن تكون له نهاية. وبما أن التطور شيء (سواء كان مادياً أو مجرداً) إذن لا بدّ وأن تكون له بداية ونهاية. وعليه لا وجود في الحياة الدنيا إلى ملا نهاية، بل الوجود إلى النهاية، وهذا يستوجب التعرف على شيئين:

الأول المتعرف عليه بالمتعرف به:

عندما يكون الموضوع معرفة سابقة سواء كانت هذه المعرفة مادية أو فكرية، فيكون هو المتعرف عليه، ويكون هذا الموضوع هو المعرفة التي يتم استيعابها بالعقل وهو المتعرف به. فالمتعرف عليه لو لم يكن له بداية

ونهاية ما عرفناه معرفة علمية، ولهذا عندما تتوفر المعلومات عن الموضوع، يمكن التعرف عليه بالعقل باعتباره المتعرف به.

الثاني: غير المتعرف عليه بالمتعرف به:

عندما يتمكن العقل من البحث والتقصي العلمي يمكن أن يتعرف على الجديد بالمتعرف به (بالعقل)، في حدود القدرات والاستعدادات كبدائية ونهاية أدراكية. وغير المتعرف عليه هو الذي لم يُكتشف بعد حتى يعتبر معرفة علمية ولهذا يُعتبر بالنسبة للمدركات العقلية مجهولا، والعقل معروف كوسيلة للتعرف به، وعندما يتعرف العقل (المتعرف به) على الجديد يصبح غير المتعرف عليه معروفا.

إنّ المعرفة الممكنة هي المعرفة المتاحة، أمّا المعرفة غير الممكنة هي المعرفة غير المتاحة. مثل معرفة اليوم الآخر في الحياة الدنيا، هي معرفة نظرية فقط، ولا يدركه إلا المؤمن الذي يدرك الله (الأوّل والآخر). وفي الوقت ذاته لا يعرفه عمليا لأنّه غير قابل للمشاهدة والملاحظة، وهذه معرفة غير متاحة. وهذه التي أطلقنا عليها (غير المتعرف عليه بالمتعرف به). وكل معلومة لم يتم التعرف عليها بعد وهي في الإمكان تندرج تحت (المتعرف عليه بالمتعرف به) إلى النهاية. وكل معلومة يعجز الإنسان عن معرفتها تندرج تحت (غير المتعرف عليه بالمتعرف به)، وذلك لقصور العقل (المتعرف به) عن إدراكها، وهذه نهاية للفكر الإنساني وذلك لمحدودية قدراته ومدركاته. كل شيء عرفناه يكون هو المتعرف عليه. وكل شيء هو موجود ولم نتمكن من التعرف عليه سواء في الأرض أو في السماوات أو ما بينها، يكون غير المتعرف عليه.

عندما يتأمل المفكر في المجرد يمكن أن يتعرف على الجديد. القوانين الفيزيائية التي أصبحت بين أيدينا في المعامل والمختبرات هذه نُقّلة من مجرد إلى مجرّب (خاضع للتجريب) في مثل هذه الحالة أنتقل العقل من غير المتعرف عليه إلى المعرفة. أمّا إذا انتقل العقل من المتعرف عليه إلى

معرفة أخرى جديدة مثل النظر إلى الإبل والجبال والأرض كمتعرف عليها، وانتقل منها إلى معرفة الكيفية التي بها خلقت تكون المعرفة الجديدة معرفة مجردة تمت معرفتها بالمعرفة المجربة التي تشاهد وتلاحظ. إذن المشكلة هي عدم التعرف، وإذا عرفنا، عرفنا النهاية كما عرفنا الله الأوّل والآخر، وإذا لم نعرف، ليس معنى ذلك أن للأشياء مالا نهاية، بل إنّ للأشياء نهايات ولكن لم نعرفها بعد، وإذا لم نتمكن من معرفتها، فإنّ ذلك لا يعنى مالا نهاية، بل يعنى قصور قدراتنا عن معرفته إلا الله ندرکه بآياته دون أن يكون مشاهدا.

وإذا كانت للأرض بداية ونهاية إثباتا من خلال معرفة مساحتها، وحجمها، ألا يكون لما عليها، بداية ونهاية. وبما أن لانطلاق الرصاصة من فوهة البندقية، إلى الهدف الذي يمكن أن تصل إليه، بداية ونهاية، ألا يكون لما بينهما أيضا بداية ونهاية. وإلا كيف نقبل بأنّ لها بداية ونهاية في الحالة الأوّلى، ولا نقبل أن يكون لها في الحالة الثانية (الحالة المحصورة بين نقطة الانطلاق، ونقطة إصابة الهدف) وهكذا يعتقد البعض بقولهم عندما تتجزأ المسافة المقطوعة إلى أجزاء، تتجزأ هي الأخرى إلى مالا نهاية. إنهما مسألة خيالية لا يمكن أن تتفق مع الواقع المشاهد، والمقاس، أو أنّها أضحوكة خيالية، وإلا كيف تكون لانطلاق الرصاصة، بداية ونهاية، وتكون المسافة بينهما (بين نقطة الانطلاق ونقطة الوصول إلى الهدف) غير منتهية.، وهكذا لكل الأشكال الهندسية، بداية ونهاية من خلال تحديد مساحتها ومحيطاتها وأحجامها المحددة لها، فكيف هي الأخرى تكون محددة ومعروفة بدقة ثابتة، بداية بوحدة القياس، ونهاية بوحدة القياس، ويكون لما بينهما مالا نهاية.

هل المسافة العددية المحصورة بين 1، 2، التي تتجزأ إلى أجزاء هي الأخرى تتجزأ إلى درجة أطلق عليها مالا نهاية، هل هذه المسافة تساوى المسافة بين 2، 3، وتساوى المسافة بين 3، 4، وهكذا بقية المسافات



بين الأعداد إلى النهاية. بالتأكيد أن العدد 1، هو البداية لما يأتي من بعده من أعداد، ويكون العدد 2 نهاية للأعداد الجزئية التي أتت بعد العدد 1، وهكذا إلى النهاية، إلا الأوّل والآخر هو واحد أحد يعد ولا يتعدد، ولأن المسافات المحصورة بين الأعداد متساوية، باعتبارها محددة، وبدقة واحدة، إذن لا بدّ وأن يكون لها بداية ونهاية. وإلا هل يمكن أن يكون للشيء الواحد بداية ونهاية، ويكون للمحصور بينه مالا نهاية.، وإذا لم تكن للأعداد المتجزئة (المحصورة بين الأعداد الصحيحة، بين 1، 2، 3، الخ) نهايات لا يمكن أن نصل لأيّ عدد صحيح.

الكون بما فيه من يابس وماء وهواء وخلاء، أثبت العلماء أنّ له بداية، والتي عرفوها بالانفجار العظيم، ومنهم من اعتبرها النقطة الصفرية التي بدأ منها الامتداد، وعرفوا حديثاً أن للامتداد العظيم أيضاً نهاية يقف عندها، ويعود منها إلى نقطة البداية الأولى بالانكماش، ومع أنّ العلماء الروس هم الذين اثبتوا ذلك حديثاً، إلا أنّ الله عزّ وجلّ قد قال في الكتاب الحكيم في سورة الأنبياء: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} 168 السّماء التي بسطت كانبساط أوراق الكتب وسجلاتها أثناء لحظة الانفجار العظيم، والتي امتدت إلى ما عرفناه، وما لم نعرفه بعد، ستطوى بقدرة الخالق الأوّل كما تطوى أوراق الكتب وسجلاتها، إلى أن تنتهي إلى الحجم الذي بدأت منه، وكأنها ذرة، ثم تنتهي إلى ما يراد إليها أن تكون عليه بقدرة الخالق العظيم الذي قال في سورة العنكبوت: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 169 فإذا عرف الإنسان الكيفية التي عليها نشأ الخلق (الذي تكوّن أو تأسس أو بدأ عليها)، يعرف بالضرورة أن

168 الأنبياء 104.

169 العنكبوت 20.

لهذا الخلق لا بدّ من نهاية، لأن معطيات تكوين الخلق محددة بعمر زماني لا بدّ وأن تنتهي إليه، وهكذا تنتهي أعمار المخلوقات بمختلف أنواعها، وأجناسها وفصائلها، وخصائصه وقوانينها. وهذا ذكرني لحديث جرى بين أحد أساتذة الفلسفة من السودان الشقيق وبينني حينما سألته أين مكان الإقامة. فقال: مؤقتاً في طرابلس. فسألته: ودائماً أين. فقال في الخرطوم. فقلت له ألا تعتقد إن وجودك مؤقت أينما كنت. فقال نعم لكل بداية نهاية.

إن التفكير الإنساني في حالة تطور ونضج، وتغير بالسلب والإيجاب حسب الموقف والظرف، ولهذا لا ينبغي أن يوضع على التفكير الإنساني سقف ليحد منه، بل ينبغي أن يُحَفَّرَ على التفكير الحر، ليكون مبدعاً ومنتجاً ومتطوراً. وعليه نقول إن التفكير الابداعي المتطور لا حدود ثابتة له، ولكن له نهاية.

الأول هو الواحد البداية والنهاية:

تبتدئ الأعداد بواحد فيكون الصدارة، وتختتم به ويكون النهاية، وجميع الأعداد هي مواليد الواحد خلقاً، فلولا الواحد الأول ما عرفنا الاثنين اللذين يتكونان من  $1 + 1$ ، والواحد دائماً مستقل عن كل واحد من حيث أنه واحد، ومن تكرار الواحد القابل للتكرار والمثيل تتكون الأعداد والأرقام ممّا خلق الأول المطلق، تكرار 1، 1، 1 بالجمع تساوى ثلاث، وثلاث بطرح واحد تساوى اثنين، وهكذا، إذن أي عدد لا يمكن أن يكون هو المقصود إذا سحب منه الواحد، أو أضيف إليه، على سبيل المثال إذا كان العدد المقصود هو 4 أو 5، أو 9، فإنه لا يمكن أن تتكون هذه الأعداد إلا بالواحد، وإذا سحب من كل منها تصبح، 3، 4، 8، وهكذا تنتهي هذه الأعداد وغيرها ويبقى الواحد الدائن جلّ جلاله، وإذا انتهى الواحد كعدد انتهى الوجود أو الموجود، وكانت النهاية، ولم تكن ما لانهاية.

إذن بالواحد تكون البداية، وبه تكون النهاية، وأي عدد لا يمكن أن تكون له بداية ولا نهاية إلا بالواحد، فالرقم 8 بدايته واحد، ويستمر الواحد في تضاعف إلى أن يصل إلى الرقم أو العدد 7 وإذا إضافة واحد إلى 7 يجعلها 8 ويكون نهاية لها، إذن الواحد هو البداية والنهاية بالنسبة إلى العدد 8 وإلى أي عدد.

وعلينا أن نفرق بين الواحد الذي يتعدد والأول الذي لا يتعدد، فالذي يتعدد يتعدّد بالمقارنة والمثيل والشبيه، والذي لا يتعدد ليس له بمقارن ولا مثيل ولا شبيه، إنه الأول المطلق جلّ جلاله.

وعرف الرياضيون الأعداد الصحيحة المتكون جميعها من الواحد، وهي 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9. وهكذا تتكرر الأعداد وتتكاثر في حركة دائرية، من العدد 1 إلى العدد 9، ممّا جعلها تنتهي عند 9 وتستأنف الدورة العددية بالواحد. إذن لهذه الأعداد بداية ونهاية. وبعد التعرف على الصفر كنقطة بداية افتراضية، تكونت دائرة عددية أخرى تبتدئ بالعدد 10 الذي يتكون من تزواج الصفر مع الواحد، والذي عرف بالعدد الموالي للعدد 9، وبداية دائرة عددية جديدة تنتهي عند العدد 19، وتبتدئ دائرة أخرى بالعدد 20 وتنتهي عند العدد 29 وهكذا تبتدئ الأعداد وتنتهي في دوائر عشرية، إلى أن تتضاعف وتصل إلى الدائرة المئوية، التي تنتهي بدائرة الألف، وتبتدئ بعدها دوائر العشرة آلاف وتنتهي، والمائة ألف، والمليون وتنتهي، وهكذا تتضاعف الأعداد وتتكاثر، وتستمر الدوائر بداية ونهاية، ولا يمكن أن تبتدئ دائرة إلا وأن تنتهي، ومن يعارض ذلك نقول له لو أعددت طول حياتك لن تجد دائرة عددية تبتدئ ولم تنتهي. وكل دائرة لا يمكن أن تبتدئ إلا بواحد، ولا تنتهي إلا به، وإلا هل يمكن أن تنتهي دائرة العشرات، أو المئات، أو غيرها بدون الواحد. العدد 99 مئوي، لا يمكن أن يكون إلا بالواحد، ولا تقفل دائرته (تنتهي) إلا بزيادة واحد، والعدد 999 ألفي، هو الآخر

لا يمكن أن يكون إلا بالواحد ولا ينتهي إلا به. على سبيل المثال: إذا شاهدنا سباق جرى على مضمار ملعب كرة القدم الذي مساحته تساوى طوله  $\times$  عرضه، فتكون مساحته محدودة (منتهية) وطوله بالأمتار له بداية ونهاية ولا تتجاوز 400 متر تقريبا، فإذا بدأ السباق من نقطة الصفر الافتراضي وقطع المتسابقون مساحة 5000 متر طولي، فهل يعنى ذلك أن طول مضمار كرة القدم تمطط إلى أن أصبح يساوى 5000 متر. وإلا كيف قطع المتسابقون هذه المسافة الطولية. بدون شك أنهم قطعوها نتيجة تكرار عدد الدورات على المضمار، الذي يساوى طول المضمار ضرب عدد الدورات عليه، والتكرار لا يزيد طول المضمار ولا ينقصه، لأن طوله محدد، وله بداية ونهاية. وكل من له بداية ونهاية له منتصف، ويتجزأ إلى نقاط، لأنه متكونا منها (من نقاط)، فالمستقيم على سبيل المثال مهما امتدّ بدايته نقطة ونهايته نقطة، وتقترب نقاط البداية والنهاية في حالتين:

الأولى: الحالة الموجبة:

كلما زاد طول المستقيم، أو الخط الرياضي والهندسي المتشكل (المرتمس) في الاتجاه الموجب، كلما اقترب من نقطة البداية التي انطلق منها، والتي سيتصل بها عندما يستمر في اتجاهه إلى النهاية ويرسم دائرة، وكلما نقص، نقص عن الاتجاه الموجب، وزاد ابتعادا ولم يرسم دائرة.

الثانية: الحالة السالبة:

كلما نقص طول المستقيم، أو الخط الرياضي والهندسي المرسوم في الاتجاه السالب، كلما اقترب من نقطة البداية التي انطلق منها، والتي سيتصل بها عندما يصل إلى النهاية (في حالة العودة)، وكلما زاد، زاد عن الاتجاه السالب، وزاد ابتعادا.

لا عدد إلا لكم، ولكل كم نهاية، فإذا كان الكم بشر، فإن للبشر بداية ونهاية، وإذا كان الكم حيوان، أو نبات، أو سمك، أو طير، أو أي جماد،

فإن لكل ما ذكر بداية ونهاية. وعليه إذا كان كل ما يعد له بداية ونهاية،  
ألا يكون للعدد نهاية. ومن يخالف أنّ للأعداد نهاية، أطلبه إثبات ذلك  
(إثبات مالا نهاية).

وعليه كل الأعداد تزيد وتنقص وتتكرر بالواحد، وبما أنها كذلك إذن  
تبتدئ وتنتهي به، وإذا أصر البعض على أن للأعداد مالا نهاية، اطرح  
عليهم السؤال الآتي: ألا يكون بين كل الأعداد ما تسمونه بما لانهاية.  
إذا كانت الإجابة بنعم، إذن لا يمكن أن يحصل الانتقال من عدد لآخر  
على الإطلاق، فالمسافة بين الصفر الافتراضي، والواحد تساوى ما  
تسمونه مالا نهاية، والمسافة بين الواحد والاثنين كذلك وهكذا. ومع  
ذلك أن التوليد العددي يزداد نتيجة التكرار من الواحد ككل والواحد  
كجزء، والواحد كمتجزئ، 1، .01، .001، .0001، .00001،  
.000001، .0000001، ويستمر التوليد العددي إلى النهاية، وإلا  
لا يمكن أن نصل إلى العدد صفر ولا العدد 2. وإذا كانت الإجابة بلا.  
إذن اعترفوا أنّ للأعداد نهاية، وهى الواحد ككل، وكجزء، وكمتجزئ،  
والذي جعل الرياضيين يؤسسون نسب التقريب عليه، وجعلهم يطوون  
المسافة في تنقلهم من عدد إلى الذي يليه، ولهذا كل الأعداد تتولد من  
الواحد وتعود إليه، إذن الواحد هو البداية والنهاية وهو الأول والآخر.  
وأنّ الله تعالى يعلم بكل كم وعدد كما جاء في سورة مريم سلام الله  
عليها: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ  
أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} 170 كل ما خلق في  
السموات والأرض معلوم عدده عند الله، وبما أنّ كل الأعداد تم  
إحصائها من عنده، إذن كل الأعداد لها نهاية، وكل الأعداد يتم التعامل  
معها فرادى (واحدا واحدا)، ولهذا كل الأعداد تعود إلى الواحد الأول.

ونحن نعرف أن لكل شيء نهاية، ولكن لم نعرف متى تكون نهايته، ولا كيف تكون، ولكن للرحمن كل شيء معلوم، مصداقا لقوله تعالى في سورة الجن: {لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} 171. إن الله سبحانه وتعالى أحصى كل شيء تعدادا أي كل ما خلق معروف له كمّا وعددا. وكل من يحمل في معناه واحد تكون له صورة وشكل كالإنسان، والغزالة، الطير، الشجرة، البحر، الجبل، السمك، إلا الواحد الذي خلق الواحد، لا يمكن أن تكون له صورة ولا شكل، إنه الأوّل والآخر جلّ جلاله. وكل مخلوق لا يمكن أن يشاهد خالقه، أو صانعه، فالإنسان الذي صنع القلم، أو المقعد، أو الحاسوب، أو السيارة، أو الطائرة، يمكنه مشاهدتها بنظره السليم، وهي لا يمكن أن تشاهده، ويمكنه استخدامها أو التخلص منها في أي وقت يشاء، وهكذا المخلوقات بالنسبة لخالقها الذي يشاهدها ولا تشاهده ويحييها ويميتها متى يشاء وفي أي مكان كيفما شاء.

وعليه الواحد هو الحقيقة التي لا تتمركز الجموع إلا به، ولا تشتت إلا به، ولا تبدئ أو تنتهي إلا به، لأنّ الجموع هي تكرار الآحاد، أو التقائها على قيم، أو في مضامين. والقيم هي المضمون الذي تكونه الجموع، ويحتويه الواحد، وكلما زاد الواحد في الاتجاه الموجب كلما كان للتطور شأن ومعنى، وكلما زاد الواحد في الاتجاه السالب كلما حدث الانكماش والتخلف. وكلما نقص الواحد في دائرة النسبية من الاتجاه السالب كلما ازداد الأمل. وكلما نقص الواحد من الاتجاه الموجب كلما حبط العمل. ولهذا تصف المجتمعات كل من التطور العمراني والتطور الثقافي والتطور العلمي بالتطور الموجب، وعند زيادة أيّ وحدة أو مفردة على ذلك تعد على سلم التطور الموجب، وأيّ نقص من ذلك يعد على

سلم التأخر. وتصف المجتمعات في ذات الوقت كل من التطور في الانحراف والجريمة، والتطور الاستهلاكي بالتطور السالب وعند زيادة أي وحدة أو مفردة على ذلك تعد على سلم التأخر، وأي نقص من ذلك يعد على سلم التطور الموجب.

وعليه قد يتساءل البعض: ما هو الفرق بين العدد، والمعدود، والعداد (الذي يقوم بفعل العد). وهل هذه متناهية. العدد هو المقدار وجمعه أعداد، وهو المجرد من التمييز، فعندما أكتب على سبيل المثال: 1، 2، 3، 4، 5، 6، أكتب أعدادا، وهذه الأعداد عندما تكتب على كميات أو كائنات تميز وتصبح هذه الكميات أو الكائنات هي المعدودة، ويكون الذي أحصاها بهذه الأعداد هو أعداد، فإذا قلت أنا ألعاد نكون أنا المعدود من الآخر، وبما أنني معدود من الآخر فيكون الآخر متناهيًا وتكون لي نهاية. إذن ألعاد والمعدود شيء واحد ولا فرق بينهما إلا أنا وأنت، أمّا العدد فهو فكرة ذهنية مجردة إذا لم يوحد مع معدود، وعندما نفرق بين ألعاد والمعدود من جهة والعدد من جهة أخرى نكون قد فرقنا بين الفكرة المفترضة والواقع المثبت، وبما أن ألعاد والمعدود متناهيان، فكذلك العدد، وذلك لأنه يقع في دائرة الممكن، ولا يقع في غيرها، ولأنه يقع في دائرة الممكن إذن هو متناه. ولأنّ الزمان والحركة متناهيان ولا شيء من الموجودات يقع خارجهما، فإذن كل ما يقع فيهما متناهٍ وفقا للقضية الآتية:

الزمان والحركة متناهيان

والعدد يقع فيهما

إذن العدد متناهٍ

وبما أن كل الأعداد تبتدئ بواحد وتنتهي به، إذن من أين أتى غير المتناهي. فالأعداد 1، 10، 100، 1000، 10.000، 100.000، 1.000.000، 10.000.000، 100.000.000

1000000.000000، 1000000.000000، وغيرها من الأعداد  
التي تُكتب أو تُعد، كلها متناهية، وأن لم تكن متناهية فلا تُكتب، وإذا  
كانت كذلك فمن أين أتى افتراض غير المتناهي. وبما أنّ العدد متناه  
والعاد والمعدود كذلك، فهل يؤدي المتناهي إلى مالا نهاية. إذا كان  
المتناهي كما بالجمع أو الضرب أو التربيع والتكعيب فلا بدّ وأن يؤدي إلى  
كم، وكذلك إذا كان بالطرح أو التقسيم فلا بدّ وأن يؤدي هو الآخر إلى  
كم، والكم متناه، إذن المتناهي لا يؤدي إلا إلى متناه.



من

## صفات النبي آدم

### 1 . عدم الكمال:

ارتكاب الخطاء بالنسبة لأبونا آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن غاية في ذاته، بل لأنّه بشر، ولأنّه بشر فهو مُعَرَّضٌ لأن يصيب ويخطأ، ولا عيب في ذلك، ولكن العيب أن يتمسك الإنسان بما يرتكبه من أخطأ، ولهذا فأبونا آدم عندما اكتشف أخطائه عمل على تصحيح مواقفه من الخطيئة فاستغفر ربّه فتاب عليه وغفر له ذنبه.

وارتكاب الأخطاء لا يكون إلا دليل على عدم الكمال؛ فالكمال لله وحده، ولأن الأمر كذلك؛ فلا بدّ وأن يكون الذي ليس له كمال من أن يخطأ كما أخطأ أبونا آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والأخطاء هي التي تأتي من ورائها المفسد في الأرض وقتل النفس بغير حقّ، ولذا فإن بعض من أبناء آدم ورثوا على غير كمال صفة الإفساد في الأرض وقتل النفس التي حرّم الله بغير حقّ. قال تعالى: {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ} 172، وامتد ارتكاب الأخطاء إلى بعض من ذريته مصداقا لقوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِبِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا} 173.

الأخطاء انحرافات في الاتجاهات السالبة قيما، ولذلك فالأخطاء تُرتكب من قبل الذين لا يُرشدون في تفكيرهم أو لا يحسنون التدبير، والخطأ الذي لا عمَدَ فيه يُكفّر عنه فيصح وقد يُغْتَفَر، قال تعالى: {وَمَا كَانَ

172 المائدة 29، 30.

173 الجن 6، 7.

لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا حَطَا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ  
وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ  
مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ  
مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ  
تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا {174.

وعليه فالأفعال العمدية لا يُكفَّر عنها ولا تُغتفر إلا أن يشاء الله.  
ولأنَّ أبونا آدم بشر فهو معرض للوسوسة التي هي واحدة من أوجه عدم  
كمالهِ، فالوسوسة خيارات على غير حق، وتزيين لما هو باطل، الغاية  
من ورائها الإفساد والعصيان ومحاولة التحييد عن الصبغة التي يريدُها الله  
لما خلق من خلق متميّز على حُسن التقويم، ولذا فهي عمل من أعمال  
المكائد التي يقوم بها المكيدين والمكارين والحاسدين والضالين والذين هم  
بربهم يكفرون، قال تعالى: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ  
عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى فَاكْأَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا  
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ {175.

بدون شك هناك علاقة قوية بين الوسوسة والضعف وبين الضعف  
والطمع وبين الطمع والظلم وإلا لِمَاذا لم يحمَد الإنسان ربّه على ما  
أعطاه من نعم لا تُحصى، قال تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ  
الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ  
الظَّالِمِينَ {176؛ فكيف لأبونا آدم ألا يطيع الأمر بأن ينتهي عمّا نهاه الله  
عنه وهو ألا يقرب تلك الشجرة المنهي عنها.

ألم يكن النهي (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) عنها  
اختباراً يستوجب النجاح والتوفيق فيه؟

174 النساء 92.

175 طه 120، 121.

176 الأعراف 19.

هل كان أبونا آدم لم يعرف دلائل النهي ودلائل المفهوم الذي عليه كلمة  
(الظَّالِمِينَ)؟

لا يمكن لنا القول بذلك فهو الذي علّمه الله أحسن التعليم مصداقا  
لقوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ  
أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا  
عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ  
بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا  
تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا  
إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} 177.

ومع أنّ آدم وحواء هما في الجنة ساكنين إلا أنّ الإغواء من إبليس كان  
وكأنه على الحقيقة؛ فآدم كما يعلم من يقسم بالله لا بدّ أن يكون صادقا،  
ولكن الذي جعل آدم مفاجأ، كيف يكون القاسم بالله ولا يكون  
مصحوبا بالصدق؟

قال تعالى: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ  
سَوَآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ  
تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ  
فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ  
الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ  
لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ} 178.

وبعد أن عرف آدم ما ترتّب على ما فعل وزوجه عرف أن إبليس ضالا  
وموسوسا بغير الحقّ ومحرضا على كل أعمال الإفساد أينما وجد وحل،  
ومع من وجد وإن كان من وجد معه قارئاً للقرآن إن لم يستعد بالله، قال  
تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ

177 البقرة 31. 34.

178 الأعراف 20. 22.

سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ {179}.

الوسوسة انسياق في متاهات التفكير الإغوائي الذي ينسجه إبليس في أذهان البشر وعقولهم مع إدراك الموسوس بالشيء أن الموسوس به خارج عن دوائر الفضائل والقيم التي تؤدي إلى تحقيق مكارم الأخلاق واتباع الطاعة لله الواحد القهار.

وللتمييز بين ما نُفكر فيه وبين ما يوسوس به في عقولنا هو أن التفكير يؤدي إلى خير الموجب والوسوسة تؤدي إلى شر السالب.

## 2 . غوى:

"الغِيَّ الضَّلَالُ وَالْحَيْبَةُ غَوَى بِالْفَتْحِ غَيًّا وَغَوِيَّ غَوَايَةً، وَرَجُلٌ غَاوٍ وَغَوٍ وَغَوِيٌّ وَغَيَّانٌ ضَالٌّ، وَفِي الْحَدِيثِ مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعْصِمَهَا فَقَدْ غَوَى" 180.

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ:

وما أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشُد غزيرة أرشُد 181

الإغواء تقديم المغريات بغير حق، ومن يقبل بذلك يجد نفسه على غير سبيل الحق، ولذا فالإغواء تزيين الباطل بمظاهر الحق كتزيين الكذب بمظاهر الصدق مما يجعل الإنسان تاركاً للنهي الذي فيه خير كثير كما ترك أبونا آدم نهي الله له بان لا يقرب زوجته تلك الشجرة التي قاسمهما إبليس بشأنها حتى أكلا منها دون أن يلتفتا إلى أمر النهي العظيم (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأرهمما الشيطان عنها فأخرجهما مما

---

179 النحل 98 . 101.

180 لسان العرب، ج 15، ص 140.

181 المصدر السابق، ج 15، ص 140.

كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ  
وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ).

{وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ} 182. الإغواء لا يتم إلا من الآخر غير المهتدي  
بالحقّ للحقّ سواء أكان من ذات النوع أم من غيره، وغوى آدم صلّى الله  
عليه وسلّم جاءه بمسببات من الغير (من إبليس) لعنه الله تعالى، والغى  
مفسدة للقيم والأخلاق وفيه ضلال عن الهداية وعن اتباع الحقّ، وهو  
عدم الانتهاء عن الاقتراب من المنهي عنه، ولذا فهو في مقابل المعنى  
الدلالي للرشد الذي يُمكن من التدبّر والاختيار الصائب.

والإغواء انسياق وراء ما لا يجب الانسياق وراءه؛ فأدم الذي انساق وراء  
وسوسة الشيطان ضلّ السبيل الذي من أجله خلق ليكون خليفة، ولهذا  
كانت نتيجة اتباعه لوسوسة الشيطان أن ضلّ ضلال بعيداً فأخطأ خطأ  
عظيماً.

المستوى الإغوائي: قبل الحديث عن هذا المستوى نقول أن الله سبحانه  
وتعالى أتم نعمته على آدم فحذره من الخطر الذي يحيق به وبزوجه وعلى  
وجهين:

الأوّل: أشهده بالرؤية المباشرة والسمع المحض ما كان من كره إبليس  
لأدم وحقّده عليه وتكبّره، ثم التصريح بالتوعد الإغواء لأدم وذريته، وهي  
عبرة كان الأوّل لأدم أن يعتبر بها.

الثاني: أنّه لما كان الله يعلم بنسيان آدم وقلة اعتباره بالآيات كان تحذير  
الله له من وساوس الشيطان التي يقصد بها إغواء الخليفة ليتبين فيما بعد  
عدم أحقيته بالاستخلاف، وإلى جانب التحذير كانت عوامل الطمأنينة  
على المعاش، فلا يجوع ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى وهذه هي أهم  
حاجات آدم وزجه التي أغناه الله بها عن الحاجة إلى من سواه مصداقاً

---

182 طه 121.

لقوله تعالى: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى} 183.

من هذه الآيات يتبين:

تنبيه الله وتحذيره لآدم من الشيطان حاصل بعد معصية إبليس. حصّن الله آدم بالكفاية المادية، فلم يكن محتاجا لشيء مادي على الإطلاق.

نّبّه الله آدم إلى طبيعة المحذور ثمّ ترك له الخيار.

لكن أمرا يفرض التساؤل تبينه الآية الكريمة، يقول الله سبحانه وتعالى: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} 184.

هنا يأتي التساؤل:

لماذا اختار إبليس أن يغوى آدم بالخلود وليس بأمر آخر؟

نقول إن إغواء إبليس لآدم كان بوعده أن يدلّه على الخلود لسبب جدلي مهم وهو أن إبليس وآدم كانا يعلمان أن الموت حقّ واقع لا محالة على كليهما، وهذا مؤكّد من خلال سلوك كل منهما، فقد عصى آدم ربّه معتقدا أنه سينال الخلود هذا يعني أنّ آدم كان يعلم أنّه سيموت ويخاف ذلك، لأنّ الحياة والموت خلقا في آن واحد مصداقا لقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ} 185،

183 طه 117-119.

184 طه 120-123.

185 تبارك 2.

وكان ممّا أنبأ به آدم، فقد أخبر بالحياة ولم يخبر بالخلود فهو إذا مخبر بغير ذلك، (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى)، بينما طلب إبليس التأخير (لولا آخرتني)، طلبا جدليا من الله إذ ربط بين التأخير وإغواء بني آدم.

قبل الدخول في تفاصيل هذا المستوى نعتقد أن من المهم فهم حقيقة غواية إبليس، وذلك لان إبليس نسب غوايته إلى فعل الله سبحانه وتعالى كما أخبر المولى عزّ وجلّ (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) يدل على أنّه أضاف إغواءه إلى الله تعالى، وقوله في آية أخرى: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} 186، يدل على أنّه أضاف إغواء العباد إلى نفسه. فالأوّل: يدل على كونه على مذهب الجبر.

والثاني: يدلّ على كونه على مذهب القدر، وهذا يدل على أنّه كان متحيرا في هذه المسألة، أو يقال: أنّه كان يعتقد أنّ الإغواء لا يحصل إلا بالمغوي فجعل نفسه مغويا لغيره من الغاوين، ثم زعم أن المغوي له هو الله تعالى قطعا للتسلسل، واختلف الناس في تفسير هذه الكلمة، أمّا أصحابنا فقالوا: الإغواء إيقاع الغي في القلب، والغي هو الاعتقاد الباطل وذلك يدل على أنّه كان يعتقد أنّ الحقّ والباطل إنّما يقع في القلب من الله تعالى.

الوجه الثاني: في تفسير الإغواء الإهلاك ومنه قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} 187، أي هلاكا وويلا.

بقي الآن أن نقف على طبيعة هذا الإغواء لكي يتلمس المؤمن طريقه بعيدا عن مسالك الإغواء. ولن نجد أدل من حوار إبليس نفسه - كما أخبر عنه المولى عزّ وجلّ دليلا يجلي الغموض عن مسالك الإغواء وعلى النحو الآتي:

---

186 ص 82.

187 مريم 59.

. (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) أي بقدرتك عليّ ونفاذ سلطانك في لأقعدن لهم على الطريق المستقيم الذي يسلكونه إلى الجنة، بأن أزين لهم الباطل، وما يكسبهم المآثم، وفيه أبحاث:

البحث الأول: المراد منه أنه يواظب على الإفساد مواظبة لا يفتر عنها، ولهذا المعنى ذكر القعود لأنّ من أراد أن يبالغ في تكميل أمر من الأمور فقد حتى يصير فارغ البال فيمكنه إتمام المقصود ومواظبته على الإفساد هي مواظبته على الوسوسة حتى لا يفتر عنها.

والبحث الثاني: إن هذه الآية تدل على أنه كان عالماً بالدين الحقّ والمنهج الصحيح، لأنه قال: (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) وصرط الله المستقيم هو دينه الحقّ.

البحث الثالث: الآية تدل على أن إبليس كان عالماً بأنّ الذي هو عليه من المذهب والاعتقاد هو محض الغواية والضلال، لأنه لو لم يكن كذلك لما قال: (فِيمَا أَعُوَيْتَنِي)، وأيضاً كان عالماً بالدين الحقّ 188، ولولا ذلك لما قال: (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ).

. التزيين: قال تعالى: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَعُوَيْتَنِي لِأَرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَعُوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } 189.

والتزيين: التحسين، أي جعل الشيء زينا، أي حسنا. وحذف مفعول لأزوينّ لظهوره من المقام، أي لأزينن لهم الشر والسيئات فيرونها حسنة، وأزوينّ لهم الإقبال على الملاذ التي تشغلهم عن الواجبات 190، وتزيين إبليس هو في حقيقته تزييف وذلك بطمس الحقيقة أو جزءا منها فيخفي الشائن ويظهر المحاسن، وهو يخالف مبدأ التزيين الإلهي الذي تنص عليه

---

188 تفسير الرازي، ج 7، ص 55.

189 الحجر 39.

190 تفسير ابن عاشور، ج 7، ص 480.



الآية الكريمة، {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} 191.

. الاحتناك: {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} 192.

لأستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم: حنك الدابة واحتنكها إذا جعل في حنكها الأسفل حبلا يقودها به. وقال البعض: لاستأصلنهم وأهلكنهم بالإغواء من قولهم: احتنك الجراد الأرض إذا أهلك نباتها وجردها ما عليها واحتنك فلان مال فلان إذا أخذه وأكله 193، يلاحظ في هذا اللفظ إذلال كبير لآدم وبنية حيث يدعي إبليس لعنه الله أنه قادر على قيادتهم كما تُقاد البهائم إلى غير هدى فلاحتناك هنا جاء على المعنى المجازي ويقصد به الحقيقة، "ويغفل إبليس عن استعداد الإنسان للخير والهداية استعداده للشر والغواية. عن حالته التي يكون فيها متصلا بالله فيرتفع ويسمو ويعتصم من الشر والغواية، ويغفل عن أن هذه هي مزية هذا المخلوق التي ترفعه على ذوي الطبيعة المفردة التي لا تعرف إلا طريقا واحدا تسلكه بلا إرادة. فالإرادة هي سر هذا المخلوق العجيب 194.

. الاستفزاز: {وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ} 195، وفي اللغة الاستفزاز هو: "الاستخفاف، واستفزني فلان: استخفني حتى خدعني لما يريد" 196.

. الأقران: (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ).

. المشاركة: (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ).

---

191 الحجرات 7.

192 الإسراء 62.

193 تفسير الألوسي، ج 11، ص 8.

194 تفسير الظلال، ج 5، ص 32.

195 الإسراء 64.

196 تفسير اللباب، ج 10، ص 340.

أما المشاركة في الأموال فهي عبارة عن كل تصرف قبيح في المال سواء كان ذلك القبيح بسبب أخذه من غير حقه أو وضعه في غير حقه ويدخل فيه الربا والغصب والسرقة والمعاملات الفاسدة، وأما المشاركة في الأولاد فذكروا فيه وجوها عديدة من أبرزها الدعوة إلى الزنا<sup>197</sup>.

. الوعود الكاذبة: {وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} 198.

تتعدد وعود إبليس ونعتقد أنّ وعوده غالبا ما تلاحق الحاجات المفقودة عند الإنسان؛ فيدخل من خلالها إلى قلبه شيئا فشيئا حتى يجد له نقطة ضعف يستمكن له فيها موقعا ينطلق فيه إلى جر هذا الإنسان إلى المعصية. "ولعل أشد الوعود إغراء الوعد بالعتق والمغفرة بعد الذنب والخطيئة؛ وهي الثغرة التي يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب التي يعز عليه غزوها من ناحية المجاهرة بالمعصية والمكابرة. فيتلطف حينئذ إلى تلك النفوس المتحرجة، ويزين لها الخطيئة وهو يلوح لها بسعة الرحمة الإلهية وشمول العفو والمغفرة"<sup>199</sup>.

وبعد فإنّ مستويات الحوار تعدد بتعدد الإرادات، فبينما كانت إرادة الملائكة هي الطاعة والتسليم لله عزّ وجلّ، أراد إبليس أن يسير في طريق المعصية، بينما كانت لآدم إرادة الاختيار فهو بين ذلك وذاك مصداقا لقوله تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} 200، وقوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} 201.

---

<sup>197</sup> تفسير الرازي، ج 10، ص 86.

<sup>198</sup> الإسرائ 64.

<sup>199</sup> تفسير الضلال، ج 5، ص 33.

<sup>200</sup> البلد 10.

<sup>201</sup> الشمس 710.

### 3 . رِقَّةُ العزم:

العزم شدة تحمُّل وصبر على اتباع الحقِّ، وهو الصلابة في الرأي عند رجاحته وفي الفعل عند أدائه حيث لا تردد لدى من يكون له عزمًا فيما يقال ويُفعل بإرادة وعزيمة، أمَّا رقة العزم فهي المؤدية إلى الميل إلى الضعف والوهن لا الميل إلى القوَّة والعزم والحزم، قال تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} 202.

رقة العزم ضعف والضعف مخالف للقاعدة التي خُلق الإنسان عليها وهي القوَّة، فالإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم هو مخلوق بالقوَّة على القوَّة، ولهذا جعل خليفة في الأرض ليصلح ولا يفسد ولا يسفك الدماء بغير حقِّ، وعليه الإنسان في الأرض هو الأقوى على جميع المخلوقات ولذا فهو المستخلف فيها، أما قوله تعالى خُلق الإنسان ضعيفا، هو قول الحقِّ إذا فكَّر الإنسان أن يقارن قوته بقوة خالقه عزَّ وجلَّ فهو الضعيف، ولذا فالإنسان بإيمانه يقوى وبإسلامه يقوى وبإصلاحه يقوى، وبشركه وكفره وطغيانه وعصيانه يضعف.

نقص العزم لا يليق بالإنسان، ولهذا إن رق عزمه ضعف وطمع وقلل من شأنه أمام من اصطفاه خليفة ويريده قويا ووارثا في الدارين.

ومع أنّ الله عزَّ وجلَّ قد أنذر آدم من الشيطان إلا أنه لم يأخذ بما أنذر به من ربِّه فوسوس له الشيطان فعوى عن اتباع الحقِّ، قال تعالى: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى} 203.

قول الله تعالى لم يكن مغريات بالنسبة لآدم فهو الحقُّ لأنه في الجنة، ولهذا كل ما قاله الله تعالى لأبونا آدم هو أمامه ماثلا ومع ذلك اتبع وسوسة

202 طه 115.

203 طه 117 . 119.

الشیطان الذي هو للإنسان عدوا مبينا مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ 204.

وعليه فإن رقة العزم جعلت أبونا آدم غير مسيطر على نفسه لتكون على الأمر المنهي عنه طاعة الخالقها، ومع أن السيطرة المطلقة خص بها الله تعالى نفسه الجليلة إلا أن في دائرة النسبية والممكن المتوقع وغير المتوقع ينبغي أن يكون الإنسان الذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم على درجة عالية من قوة العزم دون أن يسيطر على غيره بغير حق، وذلك لأن أمر السيطرة المطلقة بيد المسيطر المطلق جلّ جلاله، وفي مقابل ذلك يكون التذكير في دائرة الإرادة للذين هم غافلون عما يجب أداءه أو فعله، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ 205.

فقوله تعالى: (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) فالأمر على الاختصاص يتعلق بالله عز وجل؛ أي أن أمرك يا محمد يتعلق بتذكير الناس بآيات الله تعالى أمّا أمر السيطرة فبيد المسيطر جلّ جلاله، ولأنه المسيطر كان أمر العذاب الأكبر بيده وحده فيوم الحساب سيجازي الله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بجنات النعيم ويجازي الكفار والمشركين الذين ضلوا عن الهداية بنار جهنم فيها خالدون.

وعلى الخليفة في الأرض أن يسيطر على أمره بعزم وحزم فلا يجعل الانفلات في لسانه ولا في عمله ولا سلوكه وأن يتقي الله في كل قول وكل فعل وكل عمل وكل سلوك ولا يظلم أحدا.

وسيطرة الخليفة دائما في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع تؤسس على الاعتراف بالآخر وتقديره واحترامه واعتباره دون اعتداء على حقوقه أو

---

204 الإسرائ 53.

205 العاشية 21 . 26.

منعه من أداء واجباته أو حرمانه من حمل مسؤولياته؛ فالخليفة هو الذي لا يُفترق بين الناس بل يحثهم ويُحَفِّزهم على التعاون والوحدة التي بها ينالون المراتب العليا في البناء والأعمار وفي كل ما يحقق لهم التقدم ويصون القيم والفضائل التي تُرضي الخالق والمخلوق، والذين لا عزم لهم هم ضعفاء الإرادة الذين تميل أنفسهم طمعا في غير وجه الله عز وجل.

#### 4. مُخَيَّرٌ:

التخيير فعل إرادي لا إكراه فيه ولا يكون إلا بعد التبيين لما يجب أن يُتَّبَع ولما لا يجب اتباعه، ولذلك فالتخيير فعل بيني (بين الإتياع والامتناع) فإن شئت اتبعت وإن شئت امتنعت فالأمر بين يديك مع وضوح تام للمترب على فعل الإقدام وفعل الإحجام، ولذا لا إكراه ولا إكراه من احدٍ على أن تقدم أو أن تحجم عن الإقدام فأنت الذي إنشأ قبل وإن لم يشاء رفض.

فأبونا آدم كان في الجنة متروك الأمر أن يأكل ما يشاء متى ما يشاء دون تحديد أو منع من الأكل، قال تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا} 206.

(اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ) تعني الاثنين، وبما أنّ الأمر مؤسس على الثنائية (أي ثنائية) فهو في حقيقته مؤسس على الاختيار أو أنه يستوجب إقرار للتخيير، ولهذا كان أمر الله مؤسسا على التخيير الذي يُمكن الإنسان من التمييز والتفضيل والأخذ بالأحسن والأجود المفيد والنافع.

التخيير قيمة إرادية حيث لا إكراه، فمن حُيِّر بإرادة اختار بها سبيل حياته أو مماته أو الاثنين معا، ومن لم يُخَيَّر فهي (خُطِي كُتِبَتْ عليه مشاها)؛ فالتخيير مبني على الاعتراف والتقدير لا على الإكراه والإكراه مصداقا لقوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} 207،

206 البقرة 35.

207 البقرة 256.

وقوله تعالى: {وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} 208 وقوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} 209، وقوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} 210.

ومع أنّ الله قد بيّن لأدم وزوجه المنهي عنه إلا أنّهما ووفقا للإرادة هما الذين اختارا الأكل من المنهي عنه، ومع أنّ الله قد بيّن لهما عدوهما إلا أنّهما اتبع ما وسوس به لهما عدوهما، قال تعالى: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا بَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى} 211.

## 5. تهيؤة للتعلّم:

التهيؤ هو تحفّز لإظهار ما هو متهيئ للظهور، والتهيؤ هو الحالة التي يبدوا عليها المخلوق في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن الموجب والسالب. ولذا؛ فالتهيؤ نضج، كنضج الثمار لتجنى أو تقطف، والبلوغ عند الإنسان الذي به يتهيأ للزواج.

والتهيؤ صورة لتحفّز القوى الكامنة في الأشياء قبل الاستعداد لفعل مخصوص، فهو حركة بعد سكون، يقظة بعد غفلة، وهذا التحفّز ما هو إلا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، فتصبح المتوافقات في أشد حالات التلازم، وتكون المتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة تحفّز قصوى فيكتمل التهيؤ مرحلة قبل الاستعداد.

---

<sup>208</sup> الشورى 38.

<sup>209</sup> آل عمران 159.

<sup>210</sup> الكهف 46.

<sup>211</sup> طه 117. 119.

وفي اللغة التهيؤ "هيا الهيئة والهيئة حال الشيء وكَيْفِيَّتُهُ وَهَيْئاً الأَمْرَ تَهْيِئَةً وَهَيْئاً أَصْلَحَهُ فَهُوَ مُهَيَّأٌ"<sup>212</sup>.

وللتهيؤ صورتان:

1- التهيؤ القبلي: تهيؤ الابداع، شيء لم يسبق وجوده فاكتشف بأسباب الحاجة بعد تَمَكُّنٍ وغوص وبحث وتقصي وتأمل مُعَمَّقٍ. والتهيؤ القبلي يسبق الصورة، أي انه المؤسس لها، فالصورة أو الشكل الذي نحن عليه كان متهيئاً لدى الخالق قبل أن نخلق، وهكذا كل ما خلق كان التهيؤ سابق لما خلق، ولأن الأمر كذلك فكل متهيئ بالأمر (كن) يكون صورة بإصدار أمر الكينونة التي يكون عليها متهيئاً. وعلى المستوى البشري نحن لا نخلق شيئاً (لا نصنع) شيء إلا بعد تهيؤ صورته لنا قبل أن يكون صورة ماثلة، فالسكين على سبيل المثال: لو لم تنهياً لنا صورته ما كانت له صورة، وبذلك في عقولنا يتهيأ السكين من حيث كونه صلب ومتين وحاد أحد الطرفين وله مقبض يمسك به وذلك من أجل وظيفة، وهكذا المقعد والطائرة وكل ما صنعنا ونصنع. وعليه التهيؤ سابق على القول والفعل وبدونه لا يكون القول ولا الفعل، وبذلك يحدث التهيؤ هو محدث الفعل.

2. التهيؤ البعدي: وهو التهيؤ الذي يلاحق الصورة، تهيؤ استدعاء، أي أنّ المعرفة سبق تلقيها وبالتالي يمكن أن يتم استدعاء صورة ما تعرّفنا عليه سابقاً أو ما تمت معرفته.

والبحث في مفهوم التهيؤ لا يُعد من علم ما وراء الطبيعة وإن كان يدخل فيه شيء من ذلك، إلا أنه بحث في التجريد وإن كانت مرتكزاته واقعية، وطالما أنه تجريدي فإنه يحتل المكانة الوسطى بين الواقعي والميتافيزيقي.

---

<sup>212</sup> لسان العرب، ج 1، ص 188.

إذا نستطيع أن نحدد لحظة التهيؤ من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ أنّ التهيؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرة بين العقل والعاطفة وذلك عندما تستثار الغريزة بدفع من العاطفة وهنا يكون الإنسان في وضع التهيؤ، والذي يحجب التهيؤ عن الاستعداد وصولاً إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكم به لحين اتخاذ القرار.

وأما مصدر التهيؤ بالنسبة للعقل فهي الأفكار المكتسبة المكونة للعقل، إذ أنّ العقل هو الاتزان في سلسلة الأفكار السالبة والموجبة، كما أنّ الإرادة هي سلسلة الأفعال المماثلة سلبيًا وإيجابيًا.

ولذا؛ فالتعلم والتعليم لا يتم إلا بعد تهيؤ لذلك، والهيئة هي الحالة التي يكون المتهيئ عليها؛ فهل هو مترقبًا ومنتبهًا وواعيًا ومدركًا لأمره وما يدور من حوله أو ما يدور في عقله ونفسه؛ فالله تعالى هو الذي جعل آدم متهيئًا لأن يتعلم السمّاء كلها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>213</sup>، فكانت له العلوم ولغاتها المتنوعة، وكذلك الأسرار التي من ورائها، ولهذا فإنّ تعدد لغات البشر والأب واحد هو أنّ الأب له كلّ اللغات التي بها تنقل العلوم والمعارف وبها تخاطب العقول والأنواع والأجناس وبها تترايط ثقافات الأمم والشعوب، وعليه كل الأديان وبأيّ لغة نزلت هي من لغات آدم التي علّمه الله.

ولأنّ الأفكار هي التي تغذي العواطف، وكلما تكاثرت الأفكار في قضية ما اشتدت العاطفة ودفعت الغريزة إلى ممارسة نشاطها، وممارسة نشاط الغريزة بدفع من العاطفة انطلاقًا من الفكرة يؤدي إلى التهيؤ، لذلك فإنّ المتهيئات كامنة في العواطف بتعدد الأفكار؛ فعندما يكون العقل في أوج نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة سُبات بحيث لا نشعر بوجودها، وأما إذا اشتدت العواطف فإنّها تستدعي معظم أفكار

---

<sup>213</sup> البقرة 31.



عقلها الخاصة بالحدث بمؤثرات خارجية عن طرق الإدراك الذي ينعكس شعورا داخليا يوجب العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل، ولكن عند أبونا آدم فالأمر غير ذلك، أمره مؤسس على الفعل (كن) فكان على ما هو عليه مهيبا ليتعلم من علم العليم المطلق جلّ جلاله، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} 214.

الملائكة الذين لم يتهيئوا لما هيا عليه آدم لم يعلموا ما علمه آدم من أسرار عظيمة من الخالق الأعظم، ولذا فالملائكة غير مهيين علما لتقبل أن يكون آدم خليفة الله في أرضه وهم بعلمهم المحدود كانوا يعتقدون أنهم الأفضل المهيا لهذه المهمة، ولكن الله يعلم أنهم غير المهيين لذلك، بل المهيا لذلك هو آدم الذي يعلم من علم الله الذي علمه إياه ما لم يعلمه الملائكة الذين أجابوا قولا (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

ولأنّه عزّ وجلّ هو العليم الحكيم قال للمتهيين علما (آدم) أنبئهم؛ فأنبأهم بما لم يكونوا يعلمون (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ).

ولأنّ الملائكة هم المتهيئون لطاعة أمر الله سجدوا لأمر الله طائعين إلا إبليس كان متأبياً مستكبراً وهو من الكافرين الذين لم يكونوا متهيئين للسجود لأدم طاعة لأمر الله (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ).

وعلى المستوى البشري العام فإنّ نشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرًا يناسب قوة العواطف، وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوته ونشاطه، وعند صرف النظر عن الفكرة المنشطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي تدفع التهيؤ للظهور إلى حين ظهور المؤثر الخارجي مرة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذاكرة.

إنّ السبب في قوة العقل وسيطرته على عواطفه هو ذوبانها فيه، وذلك عندما يمتص قوى تلك العواطف الفكرية، كما أنّ سيطرة العواطف على العقل وتعلُّبها عليه هو ذوبانه فيها بامتصاصها أغلب أفكاره المقيدة للإرادة، ولحظة الصراع الناتجة عن الأفكار بين العقل من جهة والغريزة بدفع من العاطفة من جهة ثانية إنّما هي لحظة التهيؤ الذي يواجه حاجز الإرادة التي هي مرحلة بعد التهيؤ؛ فلا تهيؤ إلا بإرادة، ولا إرادة إلا بتهيؤ، ولكن يظل لكل مصطلح خصوصية في المفهوم والدلالة حتى وإن اشترك مع غيره أو أتحد.

وعليه نقول:

الإرادة قرار، والتهيؤ تحفُّز للقول أو الفعل الذي بشأنه يتخذ القرار، ولذا؛ فالتهيؤ دائماً يسبق ليدفع لاتخاذ القرار الذي بدوره طبيعياً لا يتخذ إلا بإرادة. فالتهيؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأن يقال بإرادة كما تهيؤ آدم ليقول المعجزات التي أمره الله بها لتقال للملائكة والجن، ولذلك فالتهيؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يفعل، ولكن ليس دائماً الاستعداد وإن سبقه تهيؤ يؤدّي إلى القول أو الفعل، وذلك بأسباب

حدوث الاستجابة قبل القول والفعل، كأن ينتقل الخصم الذي بسببه كان التهيؤ والاستعداد للانتقال تفاديا لتوتر المواقف التي لا تحمد عقباها، أو لحدوث غير المتوقع في الزمان والمكان المفاجئ وأن يتم التسامح في دائرة الاعتراف بالذنب ووجوب المغفرة والتسامح، أو أن يحدث الله أمرا { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ } 215.

وهذا ما يفسر لنا قوة العقل بعد تسلطه على العاطفة وفرض سيطرته عليها، وكذلك العواطف أقوى ما تكون عندما تكبح جماح العقل وتحجّمه وتخضعه لسيطرتها كما هو حالها عندما استمع آدم لوسوسة الشيطان وتبع إغوائه تضليلا، مما جعل الغريزة والشهوة والضعف تمتد في نفس أبونا آدم صلى الله عليه وسلم فأكل من تلك الشجرة المنهي عنها، وفي مثل هذه الحالات أعظم ما يكون التهيؤ على أشده عندما يصطدم بالإرادة وشدة العزيمة التي هي باب الأفعال في الكبح أو السماح.

ولولا فرض العقل سيطرته على العواطف لما كان له النشاط المعهود من الحدة والانتباه بعد تسكين العواطف واختفائها مؤقتا، وعندما يأخذ العقل من نشاط العواطف تزداد ضعفا ويزداد هو قوة وانتباها.

هذا التبادل العكسي بين العقل والعاطفة إنما جاء نتيجة المادة المشتركة التي تغذي كلا منهما على حدّ سواء، ألا وهي الأفكار. ويتجلى ذلك في اتحاد العقل والعاطفة أو موافقة العقل للعاطفة كالحب والرّحمة، ولذا فالمنطق يفرض التطابق الإيجابي ولذلك يكون الإنسان سريع الاستجابة في مثل هذه المواقف لتطابق العاطفة والعقل عند كل تطابق من الاستنتاج الإيجابي، وحينها تسمح الإرادة للتهيؤ إلى أن يخرج إلى الفعل على وجه السرعة، وفي مثل هذه الحالة يصبح الأمر على العكس من المواقف التي يكون الاستنتاج فيها سلبيا أو ذا ضررٍ على صحة أو

---

215 الشورى 17.

مستقبل الإنسان، لذلك يتأخر اتخاذ قرار الإرادة بسبب التردد لأنّ العقل يستغرق في الاستنتاج للوقوف على إيجابية النتائج، وفي هذا الموقف يكون التهيؤ في أطول أعمارهم إذا قسنا ذلك بالزمن، قبل أن تخدم العاطفة أو تسمح الإرادة بخروج التهيؤ إلى الاستعداد تلبية لنداء الغريزة. وعليه فإنّ التهيؤ يمتد بين الحين والآخر بين العقل والعاطفة والغريزة، فالجوع على سبيل المثال يؤدي إلى سيل اللعاب وارتخاء المعدة وهو تهيؤ ناتج عن الجوع، وعاطفة الحزن عند اشتدادها تدفع غريزة البكاء للتهيؤ، وكذلك عاطفة الفرح والسرور تهيؤ غريزة الانشراح والابتسامة والانبساط، ولكن العاطفة تدفع الغرائز إلى التهيؤ وهنا يتدخل جزء من العقل بإرادة للسماح أو عدم السماح بالخروج لهذا التهيؤ إلى وضع الاستعداد ثم الفعل.

#### 6. الإنباء خارج النوع (إنباؤه للملائكة والجنّ والإنس):

آدم صلّى الله عليه وسلّم هو أوّل الخلق البشري أي: لم يسبقه أحد من نوعه الإنساني، وهو المكلف من عند الله ليُنبي من سبقه بالخلق من الملائكة والجنّ مصداقا لقوله تعالى: { قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } 216، وهكذا قد أنبت حواء التي هي من جنسه.

إمّا الأنبياء من بعد آدم صلّى الله عليهم وسلّم فهم أنبياء من داخل النوع الواحد مصداقا لقوله تعالى: { وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا حَلَا فِيهَا نَذِيرٌ } 217.

الإنباء إبلاغ بمعلوم لمن لا يعلمه، والإنباء بالمطلق لا يكون إلا من العليم، والإنباء في دائرة النسبية لا يكون إلا من عالم، ولهذا؛ فالنبا عظيم

<sup>216</sup> البقرة 33.

<sup>217</sup> فاطر 24.

لبلاغة النص والمضمون الذي يحمله ويكون من ورائه خير كثير وسلامة وأمن.

إنّ معظم النصوص القرآنية التي تحدثت عن هذا الجانب تشير إلى أنّ الجن خلقت قبل الإنس، منها ما هو قطعي الدلالة في الوضوح مثل: قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ} 218.

وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} 219.

ومنها ما تكون دلالاته استنتاجية في تقديم السابق على اللاحق مثل: قوله تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} 220. وقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} 221.

وما اجتمع ذكر الإنس والجن في آية إلا تمّ تقديم الجن على الإنس دلالة على أسبقيتهم في الخلق سوى آية واحدة لا يُحتمل فيها تقديم الجن على الإنس، لاختلاف الموضوع وتحديد الزمان من خلال المكان، فالمكان هو الأرض، والزمان بعد بعثة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وذلك في:

قوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} 222.

---

218 الحجر 26-27.

219 ص 71-74.

220 الرحمن 33.

221 الذاريات 56.

222 الجن 6.

وعليه فالجن والإنس نوعان مختلفان من الخلق، لكل منهما أصله الذي ينسب إليه ومادته التي خلق منها.

فهل هذا الاختلاف أدى إلى التصادم والصراع؟

أم أنه حسد من الجن للإنس؟

أم كلاهما معاً؟

إنّ إبليس هو من الجن بدليل قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} 223. ومع ما ذكره المفسرون والعلماء من شمول إبليس في السجود مع الملائكة تكريماً لآدم صلى الله عليه وسلم على أنه منهم؛ فلنا في ذلك رأي مغاير قائم على الأدلة والحجج المنطقية بأنه ليس من الملائكة في شيء لما يأتي:

1 . اختلاف مادة الخلق بين الجن والإنس والملائكة، والأدلة والنصوص في كتاب الله تعالى وفي الأحاديث النبوية الشريفة على ذلك أشهر من أن تذكر، ولذلك يخرج إبليس منهم.

2 . قوله تعالى (تتخذونه وذريته) فهو له ذرية ويتناسلون، بينما الملائكة خلقوا فرادى لا يتكاثرون إلا بالخلق، أي، بفعل (كن فيكون النافذ).

3 . الملائكة خلقوا للعبادة والطاعة لا يعصون الله ما أمرهم، والجن والإنس منهم الذين يستكبرون ويعصون، ولأن إبليس ليس من الملائكة فقد عصى أمر ربه.

إن مادة خلق الجن والإنس مختلفة عن أجناس الخلق الأخرى، فقد خلق الجن من نار السموم، ومن مارج من نار، قال تعالى: {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ} 224.

---

223 الكهف 50.

224 الرحمن 15.

وَأَدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَبُو الْإِنْسِ وَهُمْ بَنُوهُ قَالَ تَعَالَى: { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ } 225.

وقوله تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ } 226.

وبناءً على ما تقدم فإن خلق الملائكة والجن والإنس، كل واحد من هذه الأجناس من مادة مختلفة عن الجنس الآخر.  
مصدر مادة خلق الإنس:

لقد خلق الله تعالى آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليكون خليفة في الأرض ويعمرها هو وذريته ويخلف بعضهم بعضاً في إصلاحها وعمرائها.  
فكيف خلق آدم ومما خلق؟

لقد أخبر الله تعالى ملائكته أنه سيخلق بشراً من طين، وأمرهم إذا سواه ونفخ فيه من روحه أن يقعوا له ساجدين، سجود تكريم لآدم وسجود عبادة لله، قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } 227.

سوى الله تعالى آدم من طين من حمأ مسنون، والتسوية هي الإقامة على أحسن وجه وأتمه، حتى إذا صار ذلك الطين صلصالاً كالفخار نفخ فيه من روحه فإذا هو إنسان حي تام. فسجد له الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس كان من الجن فعصى أمر ربه، ولم يسجد لآدم استعلاءً واستكباراً. وقد أعلم الله الملائكة أن هذا البشر الذي خلقه سيجعله في الأرض خليفة، قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

---

225 الأعراف 26.

226 الإسراء 70.

227 الحجر 28-29.

خَلِيفَةً} 228، ويكون له سلطان عليها. فيتصرف في مواردنا ليجعلها ملائمة لحاجاته، ويكون له فيها ذرية من نسله، يخلف بعضهم بعضا. فسأل الملائكة ربهم عز وجل سؤال استغراب مع العبودية والخضوع، وسؤال استفهام واستعلام؟ حيث قال تعالى: {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 229.

وبناء على سؤال الملائكة الاستفهامي أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لهم بعض ما لا يعلمون من حكمته في خلق آدم، فعلمه أسماء الأشياء، وطلب من الملائكة أن ينبئوه، فلم يعرفوا، وذلك في قوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} 230.

وعلى ذلك فإن آدم صلى الله عليه وسلم خلق من تراب.

ولكن أي تراب خلق منه؟

هل هو تراب الأرض؟

أم هل من الجنة؟

إن جميع الآيات القرآنية التي ذكرت دلائل الخلق على أنه من تراب، لم تحدد نوعية هذا التراب ولا مصدره، وجميع الآيات جاءت مسبقة ب (من) التبعية يليها كلمة (تراب) نكرة غير معرفة سواء ما كان منها له دلالة على خلق الإنسان من التراب، أم جاءت مثلا من أمثال القرآن

228 البقرة 30.

229 البقرة 30.

230 البقرة 31-32.



الكريم. فالآيات التي لها دلالة على خلق الإنسان من التراب، آية واحدة نصت على آدم صلى الله عليه وسلم وهي:  
قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} 231.

وبقية الآيات تتكلم عن أصل مادة خلق الإنسان بشكل عام منها:  
قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ} 232.

وقوله تعالى: {وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} 233.

وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا} 234.

وآية واحدة ذكر فيها التراب لضرب المثل وهي:  
قوله تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا} 235.

إن جميع الآيات التي ذكرت التراب مصدرا لخلق الإنسان أوردته بصيغة النكرة، والتنكير في اللغة له معانٍ كثيرة منها:

1. النكرة ما دلّ على شيئين فأكثر.
2. كلمة تراب جاءت كلها نكرة غير موصوفة ولا معرفة بالإضافة، وهو زيادة في العموم.
3. النكرة تدل على التعظيم والكثرة.

---

231 آل عمران 59.

232 الحج 5.

233 الروم 20.

234 غافر 67.

235 البقرة 264.

4 . النكرة تدل على التحقير والاستهانة.

5 . النكرة تدل على معنى الجنس.

6 . النكرات بعضها أنكر من بعض.

ولذلك فإنّ "الشيء أعم ما تكلمت به، والجسم أخصّ منه، والحيوان أخصّ من الجسم، والإنسان أخصّ من الحيوان، والرجل أخصّ من الإنسان، ورجل ظريف أخصّ من رجل. واعتبر هذا بوحدة: بأنك تقول: كل رجل إنسان، ولا تقول: كل إنسان رجل. وتقول: كل إنسان حيوان، ولا تقول: كل حيوان إنسان"236.

إذا ليس هناك تخصيص لتراب معين نستطيع أن نأخذ منه دلالة على أنّ آدم صلّى الله عليه وسلّم كان قد خلّق منه، غير أن التنكير الذي يعطي معنى شمول الجنس أنه وحدّ التراب وجعله لا يختلف عن بعضه سواء أكان تراب الأرض أم الجنّة، وعليه يمكن أن نقول إنّ التراب هو نفسه، ونستدل على ذلك من قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}237. فمادة التراب تعود إلى أصل واحدٍ عندما كانت رتقا قبل الفتق، فإن كانت القوانين الفيزيائية لا تساعد الإنسان في العيش على تراب القمر أو تراب المريخ، فهذا لا يعني بأي حال أن اختلاف التراب هو المانع، أو أن المريخ لارتفاع نسبة الحديد في تربته تحول دون ذلك، لأن من تراب الأرض ما يجوي من المعادن والأملاح بشكل يختلف من بقعة إلى بقعة أخرى.

ولذا: فالأجسام الخالية من الحياة المعهودة لنا في الإنسان والحيوان والنبات، تتأثر بالعوامل الكيميائية في الحياة الدنيا على الأرض مثل التفاعل والأحماض والتركيبات، في حال توفر العوامل الفيزيائية مثل الضوء والسرعة والإشعاع والضغط الجوي والقوّة والجاذبية.

---

<sup>236</sup> المقتضب، ج 1، ص 261.

<sup>237</sup> الأنبياء 30.

وعليه فإننا نرى التراب ترابا أينما وُجد لاتحاده في المصدر (الرتق) وعدم تأثره كما تتأثر الأحياء، ودليلنا فيما ذهبنا إليه قوله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} 238. وجاءت الأرض معرفة للذين يعرفون الأرض علما أن الآية تتكلم عن الجنة بعد يوم القيامة، "يريدون المكان الذي استقروا فيه فإن كانت أرض الآخرة التي يمشي عليها تسمى أرضا حقيقة فذاك، وإلا فإطلاقهم الأرض على ذلك من باب الاستعارة تشبيها له بأرض الدنيا" 239، والأرض التي يعرفونها تكون قد انتهت، وهذا يعني أنه لا خلاف ولا تغاير بين أرض الدنيا وأرض الجنة إلا بما جعل الله بأرض الجنة من نعيم.

وأما الآية التي جاء بها التراب معرّفا فقط فهي في قوله تعالى: {أَيُّسِكُّهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} 240؛ فهذا التراب هو تراب الأرض بعينه لأنه لا سبيل إلى تراب غير تراب الأرض كي يدسه فيه.

وأما قوله تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} 241. فالأمر مختلف هنا لسببين:

الأول: أنّ الخطاب في هذه الآية موجّه للفرع (الذرية) وليس للأصل (آدم صلّى الله عليه وسلّم)، بدليل ما سبقها في الآيتين اللتين قبلها وهو قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْزَعُوا أُنْعَامَكُمْ

238 الزمر 74.

239 تفسير الألوسي، ج 18، ص 32.

240 النحل 59.

241 طه 55.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى {242}. وعليه فمصدر الخلق والتكوين للذرية هو الأرض بالغذاء والطعام والشراب الذي بسببه كان لهم القدرة على التناسل والتكاثر.

الثاني: الذي يعزز ما ذهبنا إليه حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما من مولود إلا وقد ذرَّ عليه من تراب حفرة" 243. وحفرته هي التي يدفن فيها أو المكان الذي يبلى فيه لمن لا يدفن، وبهذا نستنتج أن خلق الأصل من تراب وخلق الذرية من الأرض التي كانت مصدر الطعام والشراب في إيجاد القدرة على التناسل.

ولذا فإنَّ الإنباء لآدم كان إنباء للملائكة والجن والإنس، ولأنَّه نبيا لخارج النوع ولنوعه فقد قال تعالى: { قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } 244؛ فالذين كانوا يبدون ويكتمون هم الملائكة والجن وليس بني آدم؛ فبني آدم في ذلك الوقت لم يُجَبوا بعد أي أتهم في ذلك الوقت لازلوا في ظهر أبيهم ولم يكونوا على الأرض يمشون.

## 7 . ابتلاؤه بالنسيان:

النسيان هو فقدان المعرفة بعد أن تم العلم بها أو الإعلام بها؛ فعندما تُمسح المعلومة من الذاكرة الحافظة لها يفتقد الإنسان تلك المعلومة ويعجز

---

<sup>242</sup> طه 53 - 54.

<sup>243</sup> حلية الأولياء، ج 2، ص 280.

<sup>244</sup> البقرة 33، 34.

عن استدعائها من الذاكرة، وحينها تصبح المعلومة التي كانت قابلة للاستدعاء لم تعد كذلك.

والنسيان لا عمدية فيه، فإن كان هناك تعمد لا يكون النسيان، بل يصبح التناسي لأسباب يعلمها ذلك المتناسي، أي مع أنّ المتناسي يعرف جيدا ما يسأل عنه إلا أنّه يتظاهر بنسيانه وكأنه لم يعلم بذلك أبدا.

ولأنّ النسيان، فهو الذي يحمل المعذرة فيه لمن نسي ما نسي، ولأنّ النسيان؛ فلا ذنب في ذلك، وبناء على هذه القاعدة؛ فإنّ أبونا وسيدنا آدم صلّى الله عليه وسلّم لا يلحقه الذنب العظيم في مخالفته لأمر الاجتناب بما أنّه قد نسي، فلو كان عن عمدٍ لكان الذنب عظيم، ولهذا كفر الله عنه خطيئة النسيان وتاب عليه وهدى، قال تعالى، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} {245}.

إذا النسيان فيه من السلبيات كما فيه من الإيجابيات، نسيان الألم موجب وعدم أخذ المواعظ منه سالب، نسيان الحق والعدل سالب، ونسيان الحقد والكره موجب وهكذا في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع تتكون مساحات أو فضاءات من السالب والموجب؛ فمن العيب أن ننسى ما وصى به نوح وإبراهيم ولقمان وموسى وعيسى ومحمد عليهم

---

245 طه 115 .122.

الصَّلَاة والسَّلَام، والحمد له تعالى أننا ننسى كل ما يؤدِّي إلى الأُحْزَان عندما يفقد عزيز بأسباب قضاءه وقدره، فلولا نعمة النسيان علينا لبقِيَ الجميع على حالة من الحزن طوال حياتهم بأسباب الموت التي هي حقٌّ ورحمة، ولأتمَّها كذلك؛ فكان النسيان رحمة.

ولأتمَّه النسيان فالله العفو يحب العفو، فهو الذي يقري من يُقري لكيلا ينسى ومع ذلك في مشيئة الله يكون النسيان لما يشاء أن يُنسى لتكون من بعده الدروس والمواعظ والحكم ليرشد من يريد له أن يرشد، ولهذا كان نسيان آدم درسا عظيما لبنيه من بعد لكي ينتهوا عمَّا نهى الله عنه، ولهذا أقرأ الله تعالى سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكيلا ينسى إلا ما شاء الله، قال تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى} 246.

## 8 . حاجته للتزواج:

التزواج ثنائية لا مفر منها؛ فهي ثنائية التكاثر وتكوين العلاقات التي تنمو المودة والمحبة فيها مصداقا لقوله تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} 247.

الزوجية مشبعة للوحدة وهي كالسترة التي تحمي العورة مصداقا لقوله تعالى: {هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ} 248، ولذلك فالزوجية مؤسسة على التحليل لا على التحريم. التحريم لباس للجوع والخوف، والتحليل لباس للتوافق والمودة والإيفاء، ولذلك لولا التزواج ما كُنَّا وما كان التكاثر سنة طيبة في خلقه، وما كان الأبناء قرّة أعين للآباء والأمهات.

## 9 . ميله إلى التكاثر:

---

<sup>246</sup> الأعلى 6، 7.

<sup>247</sup> البقرة 35.

<sup>248</sup> البقرة 187.

يقول الحق جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ {249}. بطبيعة الحال لو لم يكن التزاوج ما كان التكاثر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ {250}، أي: من كل المخلوقات خلق جلّ جلاله ذكر وأنثى، من الطيور بأنواعها ومن الأسماك بأنواعها ومن النباتات بأنواعها ومن الجن والإنس ذكورا وإناث. وفي مقابل ذلك قد يتساءل البعض: أين تزاوج البغال؟

أقول لولا الزوجين ما كانت البغال أي: لولا التي خلقت زينة وللركوب ما كانت ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ {251}، ولذا فمن تزاوج الخيل والحمير كان الضلع الثالث. ومع أنّ التكاثر يتطلب الزوجين الاثنین إلا أنه لا يُقفل دائما على وحدة النوع ولهذا جاء قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وعليه فقاعدة التكاثر هي الزوجين الاثنین، ولأجل البقاء الزوجي والتكاثر من بعد الطوفان قال تعالى: ﴿فُلْنَا اِحْمِلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اِثْنَيْنِ﴾ {252}.

## 10 . مستغفر الغفور:

قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ {253}. الميل إلى الاستغفار حتى بلوغه أخذ بالفضائل التي

<sup>249</sup> آل عمران 33، 34.

<sup>250</sup> الذاريات 49.

<sup>251</sup> النحل 8.

<sup>252</sup> هود 40.

<sup>253</sup> الأعراف 23.

تُرْضِي الغفَّارَ جَلَّ جلاله، والاستغفار لا يتحقَّق إلا بعد اعتراف بالخطأ والتراجع عنه، والتقليل من تكراره أو قطعه نهائياً، ولهذا؛ فالاستغفار مبني على الاستدراك والتخلي عن المواقف التي تم اتخاذها تحت ظروف يمكن أن تبرز، ولذا فلاستغفار سترة للخطيئة التي تغتفر.

### 11 . نيل التوبة:

قال تعالى: { فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } 254.

التوبة عودة للحق بعد حياذ عنه، وتتم التوبة بعد ندم على ذنب أو معصية اقترفت، وهي رجوع عن المعصية إلى الطاعة، ولذا؛ فالتوبة لا تتحقَّق إلا بعد ندم وعن وعي وثقة بالنفس بما تعمل من خيرات حسان، وعليه فالتوبة النصوح لا عودة بعدها ولا ندم.

### نسب آدم:

كل العباد تنسب لآبائها إلا آدم وزوجه وفقاً لقاعدة الخلق الشئاني ينسبان إلى الأصل الذي منه خلقا وهو الطين اللازب أصل الخلق أجمعين، وفي ذلك يقول الشاعر محمد بن الربييع الموصلي:  
النَّاسُ فِي صُورَةِ التَّشْبِيهِ أَكْفَاءٌ... أَبُوهُمُ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ  
فإن يكن لهم في أصلها شرفٌ... يفاخرون به فالطين والماء<sup>255</sup>  
وعليه فالنسب عودة للأصل الذي يعود المنتسب إليه فآدم هو الأصل لبني الإنسان أي: أنه أصل الخلق البشري أمّا أصل آدم فترايب ولهذا آدم أصل من أصل.  
وقد يتساءل البعض:

<sup>254</sup> البقرة 37.

<sup>255</sup> أسرار البلاغة، ج 1، ص 96.



كيف يكون الأصل واحد (آدم) ويكون الأبناء من بعده على ألوان  
تتعدد؟

بطبيعة الحال آدم من تراب والتراب لم يكن على درجة واحدة من اللون  
بل ألوان تتعدد، ولهذا فجميع مورثات الأرض انبثت في مكونات آدم  
الخلقية وتوارثت في جيناته من بعده في أبنائه فكان الأسود والأبيض  
والأصفر والأحمر. والله في خلقه شؤون.

والبدء بنبي الله آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (في موسوعة أعلام القرآن  
الكريم) فرض نفسه لأسباب:

1- الترتيب القرآني فقد ورد نبي الله آدم أول الأعلام صراحة في سورة  
البقرة.

2- أنّ آدم هو أول البشر (من طين) سكن الأرض.

3- أنّ آدم هو المكلف أولاً بالخلافة.

4- أنّ آدم هو الذي أختبر بالطاعة أولاً، وأنه الذي حورب أولاً من  
عدو يرى ولا يُرى.

5- لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أبدأوا بما بدأ الله بذكره" 256.

ومن المعتاد في كتب التراجم والأعلام أن يُبدأ بتعريف نسب العلم، ولكن  
يُخرج من هذا المعتاد أعلام:

اثنان بشكل تام.

والثالث بشكل جزئي:

الأول: آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: زوج آدم.

الثالث: عيسى ابن مريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

<sup>256</sup> تفسير الطبري، ج 3، ص 243، والمستدرک 2 270271، وصححه الحاكم والذهبي.

وإن كل نسب يعلو إلى الأب والجد إلى الأصل الذي انحدر منه إلا هؤلاء، وعلى وجه الخصوص في هذا الإعلام عن آدم.

والتساؤل:

هل آدم، يمكن أن يعلو النسابون بنسبه؟

أم يقفون عنده بداية ونهاية؟

أم لا بدّ من التحقّق من نسبه من مصدر ذي ثقة؟

وهنا تتداعى تساؤلات:

ما المصدر الذي يمكن الاعتماد عليه في نسب آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

هل من كتب التراجم؟

هل من عند النسابين؟

هل من التراث الشعبي؟

أو الأقرب للشعبي؟

هل من العهد القديم؟

أم من العهد الجديد؟

أم من كتب التفاسير التي اعتمدت بعض المصادر السابقة في التعريف

بآدم؟

بالتأكيد ليس من كل هذه المصادر.

لذا، سنضرب الذكر عنها صفحا، لا لأنها لا تفي بالغرض الذي نرمي

إليه فقط، بل لأنها تتضارب فيما بينها.

لذا، سنعمد إلى مصدر أمين هو مصدر قد انفتح للمرة الأخيرة وأغلق

إلى الأبد فسنبحث فيه وننهل منه ونتدبره تحليلا بعقل واع، وقلب

مطمئن لأنّه بلا شك سيهدينا ويهدي بنا إن شاء الله إلى استجلاء ما

طمست ملامحه، وهذا المصدر:

الملا الأعلى:

ومن المعتاد في الأنساب أن يأتي في السياق الآتي: (حدثنا فلان عن فلان عن فلان بن فلان)، أما الحديث عن آدم تعريفاً شابه في بعض الأحيان غوصاً في ماء آسن غير رائق ولا صاف يحوطه الإسرائيليات ويغلفه الشعبيات، لذا سيكون مصدرنا حديثاً غير مفتري نقلاً عن صادق أمين عن صادق أمين عن رب العالمين.

لهذا فآدم بهذه الخصوصية ليس له نسب ينقل عن بشر، إنما أخبرنا الله به في كتابه الكريم بما أنزله على نبيه الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، فنسبه قال الله فيه على لسان النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم منتقلاً من أصالة مصدره إلى حقيقة علمه بآدم صلى الله عليه وسلم: {مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِنَّ يُوْحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاحْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ} 257.

ومن هذه الآية (وغيرها ذات الصلة بآدم) نستبين الآتي عن آدم:

آدم بشر.

آدم بشر من طين.

آدم سويّ مسويّ.

آدم له روح منفوخة من الله.

آدم مسجود له.  
آدم مسمى من الله.  
آدم له عدو.  
عدوه توعده بالغواية.  
آدم له ذرية لها من العداة نفسه نصيب.  
آدم وراؤه علة لخلقه في السماء وغاية في خلافته على الأرض.  
لذا تتعدد أبوات آدم فهو:

- أبو الخلفاء.

أبو العاصين.

أبو النادمين.

أبو التائبين.

أبو المستغفرين.

أبو الطائعين.

أبو الطاغين.

أبو اللغة.

أبو الشرائع.

أبو العلوم.

أبو الأنبياء.

وعلى الإجمال (أبو المتناقضات من البشر) تحت قاعدة: (الاختيار بين الخير والشر).

فكل عمل يقوم به أحد أبناء آدم ينسب لآدم من باب أن الفرع محسوب على الأصل، مع التأكيد على أن آدم لم يرتكب منكل الذنوب بل لأن من ارتكب الذنوب التي لم يرتكبها آدم هم من ذريته، وهو صلى الله عليه وسلم أبو الجميع.

أصل آدم ونسبه:

ومن الآية الكريمة نقف عند أصل آدم في قوله تعالى: (خالق بشرا من طين)

ومن ألفاظ هذا الجزء من الآية يتبين ثلاثية الخلق الآدمي: خالق.

بشرا.

من طين.

فخالق، من هذا اللفظ (اسم الفاعل) الذي يوحي أنّه في هذا السياق بالتحديد لم يكن قد حُلِقَ بعد وخرج إلى عالم التعيين، فاللفظة لا تعدو سوى إعلام من الله لحضرة الخطاب الإلهي في هذا الموقف الربّاني الجليل. فقد علم الله من في هذه الحضرة بمن وما فيها من خلق بأنه (خالق) وهنا تتداعى تساؤلات من الممكن أن تكون قد أثرت لدى هؤلاء الحضور من مثل:

من المخلوق الذي أعلم الله به؟

ما عنصره؟

ما وظيفته؟

ما مكانته؟

ما مكانه؟

وهنا كانت اللفظة الإلهية (بشرا).

لذا فقد زال عن الملائكة تساؤلات لم تطرح، وجهل لم ينكشف كليّة.

بشرا!

هم لم يعرفوا بعد المخلوق، ولكنّه كما أخبر الله: (بشرا).

ثم زاد في العلم الذي سيؤدّي لا محالة إلى حالة من إثارة تساؤل جديد.

ما (بشرا)؟

فيكون الإيضاح من الله.

(من طين)

والتساؤل:

هل هناك بشر من غير الطين؟

الله أعلم.

هل يمكن أن يكون هناك بشر علمتهم الملائكة على سبيل المثال من نور

أو من نار؟

أو من عنصر آخر غير معلوم لدينا؟

قال الله: (خالق بشرا من طين)!

يأتي في السياق تقدّم البشر على الطين.

هل للعلم المسبق لدى الملائكة بالبشر؟

أم لجهل الملائكة بـ"البشر من طين"؟

كل هذه تساؤلات تطرح نفسها ولا نستطيع أن نقف على إجابات

شافية لأنّها من علم الملائكة الأعلى الذي لم نخبر به في كتابه العزيز.

ومن التساؤلات:

ما طبيعة حياة آدم في الملائكة الأعلى؟

وما طبيعة حياته على الأرض التي هي محل الخلافة والاختبار والتعمير؟

سيوضح ذلك معظمه عندما نلج لكل تساؤل ممّا سبق.

1- آدم بشر.

أولاً: ما البشر؟

قيل: "بشراً شخص ظاهر البشرة لا ساتر له من ريش ولا شعر ولا

غيرهما" 258.

وقيل: "إنّ البشر شخص جامع للقوة البهيمية والسبعية والشيطانية

والملكية" 259، ولغةً "البشر ظاهر جلد الإنسان، والبشر الخلق" 260.

---

<sup>258</sup> نظم الدرر للبقاعي، ج 7، ص 213.

<sup>259</sup> تفسير الرازي، ج 13، ص 211.

<sup>260</sup> مختار الصحاح، ج 1، ص 22.

إجابات تفسيرية تعتمد على اللغة.

لكن أليس من الممكن أن تكون (بشرا) مرحلة سابقة على (آدم) العلم المعلم المسجود له، المستخلف في السماء بالأمر، وعلى (الإنسان) الخليفة في الأرض بالممارسة، وعلى الذرية خليفة الخليفة الأول بالوراثة؟! وعودا على بدء.

هل من الممكن خلق البشر لا من الطين؟ كما إذا قيل أنا متخذ سوارا من ذهب، فهذا إنما يستقيم لو أمكن اتخاذه من الفضة؟<sup>261</sup>.  
في قدرة الله ممكن ولا يستحيل.

والملائكة لم تتساءل عن البشر المخلوق من الطين!  
"وكأنه سبحانه وصف لهم أولا، فلما قال: (إني خالق بشرًا من طين)، فكأنه قال ذلك الشخص المستجمع لتلك الصفات، إنما أخلقه من الطين"<sup>262</sup>.

وتساءلوا لما قال: {إني جاعل في الأرض خليفة} <sup>263</sup>.  
إذن لم يراع الملائكة كون آدم بشرا وهم يجهلون ما طبيعة البشر وما البشر بداية.

وعليه فقد سبق كون آدم (بشرا).

ثم (من طين) بتحولاته.

ثم تسويته.

ثم تسميته (آدم).

آدم في مرحلة الطين:

---

<sup>261</sup> ينظر الرازي، ج 13، ص 211.

<sup>262</sup> المصدر السابق.

<sup>263</sup> البقرة 30

والطين حتى يكون طينا لا بد له من الماء الذي يمزج به، لذا فقد قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} 264.

وجلُّ المفسرين قالوا إنه ما المني، لأن منه تأتي الأنساب والمصاهرة، ولكن نقول إن الماء هنا ماءان اثنان:

– الماء الأول: ماء آدم الذي خلط بالتراب فصار طينا.

– الماء الثاني: ماء المني الذي به يكون النسب والمصاهرة.

التراب:

جزء رئيس في خلق آدم البشر، لأنه أضيف عليه الماء فصار طينا، ثم خلق بشرا بالأمر (كن) لقول الله تعالى: {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} 265.

إذن؛ فالتراب سابق على خلق البشر بشرا، ويؤكد ذلك بشكل واضح قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} 266.

فالتراب عنصر أهم في خلق البشر كبشر بشكل عام لقوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا} 267.

وإنما خلق آدم من تراب لأسباب منها:

الأول: ليكون متواضعا.

الثاني: ليكون ستارا.

الثالث: ليكون أشد التصاقا بالأرض.

---

<sup>264</sup> الفرقان 54.

<sup>265</sup> آل عمران 58-60.

<sup>266</sup> الروم 20.

<sup>267</sup> فاطر 11.



وذلك لأنّ آدم إنّما خلق لخلافة الله على الأرض، قال تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} 268.

الرابع: الإرادة في إظهار القدرة الإلهية (وهو غني عن ذلك سبحانه) فخلق الشياطين من النَّار التي هي أضواء الأجرام وابتلاهم بظلمات الضلالة، وخلق الملائكة من النور اللطيف وأعطاهم كمال الشدة والقوّة، وخلق آدم عليه الصّلاة والسّلام من التراب الذي هو أكثف الأجرام وأعطاه المحبة والمعرفة والهداية وهذا دليل على أنه تعالى هو المدبر للملك والملكوت بغير شريك، سبحانه هو الأوّل والآخر وهو الواحد الأحد.

الخامس: خلق الإنسان من تراب ليكون مطافئاً لنار الشهوة، والغضب، والحرص، فإنّ هذه النيران لا تطفأ إلا بالتراب وإنما خلقه من الماء ليكون صافياً تتجلى فيه صور الأشياء، ثم إنه تعالى مزج بين الأرض والماء ليمتزج الكثيف فيصير طينا وهو قوله: {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ}، ثم إنّه قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ} 269، والسلالة لأنّها هي التي تسل من أطف أجزاء الطين.

وأثبت الله تعالى لآدم من الصفات ثلاثة أنواع:

أحدها: أنّه من صلصال والصلصال: اليبس الذي إذا حرك تصلصل كالخزف الذي يسمع من داخله صوت.

والثاني: الحمأ وهو الذي استقر في الماء مدة، وتغير لونه إلى السواد.

والثالث: تغير رائحته قال تعالى: {فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْسَنَّهُ} 270، لم يتغير في الآية إثارة تتمثل في فهم قوله تعالى: (خَلَقَهُ مِن

---

268 البقرة 30.

269 المؤمنون 12.

270 البقرة 259.

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، فهذا يقتضي أن يكون خلق آدم متقدما على قول الله له كُنَّ وذلك غير جائز 271.

ونقول: إنّ كل مرحلة من مراحل الخلق لآدم هي خلق وبهذا تتباين رؤية التحليل عن التفسير.

والخلق هو التقدير والتسوية، ويرجع معناه إلى علم الله تعالى بكيفية وقوعه وإراداته لإيقاعه على الوجه المخصوص وكل ذلك متقدم على وجود آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوله تعالى: (كُنْ) بإدخاله في الوجود التعيني وعليه ثبت أن خلق آدم، متقدم على قوله: (كُنَّ) ويتقدم عليه الإرادة (خالق) و(بشرا) و(من طين) بمراحله، وكل منها خلق كما أسلفنا.

والله تعالى خلق آدم من الطين ثم قال له كُنَّ فأحياه تعينا.

أما قوله تعالى: {ثم أنشأناه خلقا آخر} 272.

فلنا قول نريد أن نثبتته هو: إنّ آدم في المرحلة الأخيرة بعد التراب والتسوية والنفخ كان خلقا آخر (أول إنسان) غير ما مرّ به من تحولات، فهو مكتمل العقل لم يمر بمراحل الأجنة، والحبو والرّضاعة وتعلم النطق والمشى، بل كان خلقا آخر عن الذي يدور في علمنا وإدراكنا، وهذا سنتناوله بالتوضيح في مكان مناسب من الإعلام عن آدم.

وعليه فقد كان خلقا غير آخر أي (أول إنسان)، فحين كان ترابا (بتحولاته) لم يكن آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجودا خلقا آخر (أول إنسان)، فقد كان موجودا في علم الله إنه سيكون (آدم المسمى) بعد أن أحياه الله تعالى (بكن).

وعليه فأدم المعلوم في علم الله، هو آدم الموجود في خلق الله المسجود له العالم المعلم المستخلف في الأرض، ولكن بكينونة آدم في علم الله وهي:

<sup>271</sup> تفسير الرازي، ج 4، ص 235.

<sup>272</sup> المؤمنون 14.

الاعتدال، والاختيار والطاعة والمعصية تكليفا لا جبرا، والحاجات  
ومشبعاتها من الغرائز والعواطف والأخلاق والأحاسيس.  
لذا؛ فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وجد بكلمة الله وأمره من غير واسطة  
ولا نطفة كما قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ  
تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} 273.

وعليه نتساءل:

ماذا تعني (كن)؟

وهل الله (حاشا لله) في حاجة إلى كن؟

مع علمنا الراسخ بأنّ الحاجة منتفية عند الله.

هل (كن) وسيلة خلق؟

وما زمن (كن)؟

نقول:

إنّ (كن) أمر لإظهار الخلق من الباطن إلى الظاهر.

وإنّ كن كالبرزخ الحاجز بين الموت والحياة.

وبين الحياة والموت.

وبين العدم والخلق.

وبين الخلق والعدم.

وبين الأولى والآخرة.

وبين الآخرة والحياة السرمدية.

وعليه: (كن) خلق من خلقه.

أليست كن كلمة من حرفين (ك ن) وهما من خلق الله وضع فيهما الله

القدرة على الإيجاد بأمره؟

---

273 آل عمران 59.

إذن من الممكن في علم الله أن يضع قدرته في غيرها لأنه سبحانه الذي وضع القدرة فيهما، وبما أن الأمر كذلك، فالله في غير حاجة إلى كن أو غيرها.

وعليه فكن ليست وسيلة خلق لأن الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء لذا فالوسيلة يحتاج إليها غيره وهي منتفية في حق الله. أمّا عن زمن كن:

قلنا:

إنّ كن من خلق الله لغة وقدرة، وطالما أن الأمر يتعلق بالله فهو يحتوي الزمن وليس الزمن يحتويه.

وبهذا تكون (كن) فوق الزمن والزمن يندرج تحتها.

أمّا من ناحية القدرة، فقدرة الله مطلقة، وربط الله بين القدرة والتقدير من باب استيعاب البشر وترسيخ التدرج واستعمال المنطق والعقل.

فجعل ل (كن) تقديرا، مصداقا لقوله تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} 274، لأنّ (كن) شيء، فمثلا: جعل (كن) في خلق السماوات والأرض (سته أيام).

وكن في إحياء آدم (مطلقية السرعة).

وعليه فإن كن تتفاوت في الزمن كما في قوله تعالى: {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} 275.

ويوما آخر: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} 276.

فكن تتناسب مع الحركة والنقلة والزمن المخلوق بكن، وعليه فكن تحتوي الزمن، كما أنها تمثل التناسب مع الفعل وتقدير الزمن بالحكمة التي يقتضيها المدبر الحكيم سبحانه.

---

274 الرعد 8.

275 الحج 47.

276 المعارج 4.

"و(كن) من قبيل الكناية عن الاقتدار، فقوله تعالى (وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَوْ خَلْفًا مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ) (قن) إن كان خطاباً للشيء قبل وجوده فهو محال إذا المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يتمثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين. ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها"277.

- ثم من مراحل (الصلصال من الحمأ المسنون):

وهذا بإطلاق الكل على الجزء (التراب بتحولاته) ويشمل كل التحولات (الطين بتحولاته) ويشمل كل الصور.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾278.

. وخلق آدم صلى الله عليه وسلم على تحولات من الأدلة القاطعة التي تنقض القول: بوجود حوادث لا أول لها، وإذا ثبت هذا ظهر وجوب انتهاء الحوادث إلى حادث أول وهو أول الحوادث، وإذا كان كذلك فلا بد من انتهاء الناس إلى إنسان هو أول الناس، وإذا كان كذلك فذلك الإنسان الأول غير مخلوق من الأبوين فيكون مخلوقاً لا محالة بقدره الله تعالى الخالق الواحد الأحد. يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ)، إشارة إلى ذلك الإنسان الأول الذي لم يتولد من أبوين.

277 إحياء علوم الدين، ج 1، ص 109.

278 الحجر 26-31.

ومن المعروف أنّ الجسم محدث، فوجب القطع بأنّ آدم صلّى الله عليه وسلّم وغيره من الأجسام يكون مخلوقاً عن عدم محض (وقلنا في عمل سابق إنّ العدم خلق من خلق الله) 279.

فالعدم المحض في خلق آدم (التراب).

والعدم المحض في خلق الملائكة (النور).

والعدم المحض في خلق إبليس والجن (نار السموم).

ويؤكد ذلك آيات الله في القرآن الكريم وأقوال النبي صلّى الله عليه وسلّم. ومن قول الله وتصديقاً بقول النبي صلّى الله عليه وسلّم نؤمن بأنّ لله ملائكة خلقهم من نور (كما ورد في الصحيح)، وكلفهم بأعمال يقومون بها، ومنحهم الطاعة التامة لأمره والقوّة على تنفيذه.

ففي مادة خلقهم روى مسلم في صحيحه عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ" 280.

فالعدم المحض هو المادة غير المخلقة كالتراب، فقال الله: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} 281؛ فدل على أنّ آدم مخلوق من تراب، ودلت آية أخرى على أنه مخلوق من الطين، وهي قوله: (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) وجاء في هذه الآية أنّ آدم عليه الصلّاة والسّلام مخلوق من صلصال من حمأ مسنون، والأقرب أنّه تعالى خلقه أولاً من تراب ثم بمزج الماء بالتراب صار طينا لذا قال:

(من طين).

ثم (من حمأ مسنون).

---

279 أُلستّم من آل البيت، عقيل حسين عقيل.

280 صحيح مسلم، ج 14، ص 273.

281 آل عمران 59.

ثم (من صلصال كالفخار).

ولا شك أنه تعالى قادر على خلقه من أي عنصر من العناصر، وهو القادر سبحانه على خلقه ابتداءً، وإنما خلقه على هذا الوجه لحكمة يعلمها هو سبحانه، لذا لا نقول إلا ما قالت الملائكة في هذا الخصوص: {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} 282.

### التسوية:

أدم مسوّاً في أحسن صورة:

قال الله تعالى: (فإذا سوّيته) والتسوية التهيئة بإتمام الخلق لما يراد منه من قبول الروح وما يترتب عليه من أمر بالسجود له والتكليف بالاستخلاف.

والإنسان علماً في القرآن من دلالاته الأولى الثابتة هو آدم، وفي آدم كانت تنتم الصورة والمضمون مصداقاً لقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} 283.

وكلام الله المنزل على خير خلقه وخاتم رسله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولكن الله زاد المؤكد توكيداً بأداتين:

- ل:

- قد:

ثم إسناد الفعل خلق ل (نا) التي نالت التعظيم لعودتها على الله.

وفي اللغة يقال إن: (نا) الفاعلين تدل على التعظيم.

ونقول إذا كانت تعود على غير عظيم فهي تعطي معنى من معاني العظمة والقدرة له، وتساءل:

---

282 البقرة 32.

283 التين 4.

هل العظيم الذي خلق العظمة نقول في تفسير كلامه (نا) للتعظيم؟  
وعليه نقول:

إنّ (إنّا، ونحن، وإنا نحن) لها من الدلالة ما يفوق ما قيل تفسيراً، فهي دلالة أكيدة تمام المخلوق، وكمال المنزل، لأنه سيكون جامع لما أراد اله أن يجمعه من علوم الله التي أرادها فيه، فهو قد علم آدم الأسماء كلها، لذا جاء في حقّه (لقد خلقنا الإنسان) فمجموع قوى ما يستخلف عليه في الأرض وفي المخلوقات عليها يكون عند آدم، فيصير ما خلق عليه من كائنات في الأرض سيكون الغلبة عليهم جميعها لآدم.  
لماذا؟

لأنّ الله قال: (لقد خلقنا).

وهنا قد يتساءل البعض:

ألا تشير جملة (خلقنا) للجمع؟

ويكون منها مدخلا للشرك؟

نقول:

- الجملة تشير إلى جمع القوى التي وهبت للمخلوق الذي خلقها لأجله.

- والجملة تشير إلى الفردانية والواحدية والصمدية لأنّ كلّ القوى التي

يبحث عنها الإنسان لتحميه من؟

من أيّ شيء.

من مجهول!

بالرغم من أنّه أقوى ممّا يخاف، وردع هذه القوى:

- فيه.

- داخله.

- هو يسيطر عليها.

- يتحكم فيها.

- لا تتحكم هي فيه.



ولذا على الإنسان أن يتوجه لمن وهبها جمعا للإنسان لا أن يتوجه إلى قوة في الكون يعبدها، يتقرب إليه، يخاف منها.

لماذا؟

- لأنه أقوى منها جميعا.

- لأنه في أحسن تقويم عنها.

- لأن مصدر قوته (الله).

لذا نقول:

أَنْ من آمن بالكتاب الذي أنزل فيه (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم).

لن يثني ولن يثلب ولن يرتع ولن يخمس ولن يشرك.

لأن الخالق واحد.

فلم يفر ممن عنده القوة وأعطاهها له إلى من ليس عنده أي قوة ولا يملك من أمره شيئا؟

ولو استوى معتدلا لعلم أن مبدأ القوة في الكون مجموع في جزء من آية:

قال الله تعالى: {أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} 284.

والقوة رزق موهوب للإنسان داخله، وعليه أن يبحث عنها إن لم يرها

لأنها فيه وبه وله من الله الذي خلقه في أحسن تقويم وتسوية، فلا داع

لأن يعبد شمسا أو قمرا أو درهما أو دينارا أو جارية أو حريرا أو قصورا.

فلا يعبد الرزق بل يعبد الرازق.

لا يعبد الموهوب.

بل يعبد الوهاب.

لا يعبد العبد.

بل يعبد المعبود.

---

284 البقرة 256.

وذلك على قاعدة: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} 285.

هذه القاعدة التي تسد الذرائع الواهية أمام من يبسر الشرك تشية وتثليثا وكفرا.

وقد سبق الآية من قول الله ما يبرهن على صدق تحليلنا فقد قال الله في مجموع آيات ثلاث ختمها بالآية السابقة: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} 286.

إذا فقد خلق الله الإنسان (آدم) في أحسن تقويم وهذا ينسحب على ذريته، ومن المظاهر الدالة على ذلك أن الإنسان خلق في أحسن صورة ومضمون، منتصب القامة، سوي الأعضاء حسنها، والمتأمل في خلق الله يرى أن كل حيوان خلق منكبا على وجهه إلا الإنسان فقد خلق مديد القامة، يتناول ما يريد بيده من مأكلا ومشربا وملبس، مُزينا بالعقل والتمييز لتمام التسوية فيه والمطلوبة منه.

وهنا نساءل:

أليس من تمام التسوية في خلق الله للإنسان أن يكون الإنسان قادرا على التسوية التي بها يتمكن من إعمار الأرض وإصلاحها؟  
ألا يكون تمهيد الطرق وشنق الأنهار وبناء السدود ومخر الماء بالسفن واختراق الهواء بالطيران تسوية؟

ألا يكون فك غموض كثير من قوانين الطبيعة واستخدامها في خير الأرض ومن عليها تسوية وأحسن تقويم؟  
ألا يكون استخراج ما تبطنه الأرض وتكنزه البحار تقويم للطبيعة لأن الإنسان قد أعطي ملكة التسوية والتقويم؟  
ألا يكون الحكماء في أعلى عليين؟

285 الذاريات 85.

286 الذاريات 56-58.

ألا يكون الجهلاء والسفهاء هم في ذيل البشرية؟

في أسفل سافلين؟

ألا يكون الذي سوى أرضه وبحره وسماه في أحسن حال من الذي لم يفعل؟

ألا يكون الواصل لآيات الله في النفس وفي الآفاق هو في أعلى عليين؟

ألا يكون المتخلف عن التسوية في فهم أفاق النفس في داخله وأفاق الكون في خارجه في أسفل سافلين؟

أليس الخاملون القابعون في ستر الظلم والجهل والمرض في أسفل سافلين؟

أتقتصر التسوية على الشكل الخارجي أم تتعداه إلى الجوهر؟

وعليه فقد كان الأنبياء والرسل في أحسن تقويم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس كأسنان المشط" 287،

فالكل متساوون ومستوون.

وعليه تترتب المبادئ القيمية الآتية:

مبدأ التأخي.

التسامح.

التراضي.

التعايش.

قبول الآخر.

احترام الآخر.

حوار الآخر.

الأخذ بيد الآخر.

التعاون فيما يفيد.

تقدير الآخر.

---

287 مسند الشهاب القضاعي، ج 1، ص 310.

اعتبار الآخر.

الاعتراف بالآخر.

تفهم خصوصية الآخر وظروفه.

وهنا يبرز معنى (سويته) لقبول الآخر:

ولقبول الروح الخاصة في كل إنسان سوي.

فالإنسان السوي لا يعيش إلا بالآخرين فيقبلهم ويقبلونه وهذه دعوة آدم الحقيقية ودعوة الإسلام الدين الجامع الذي جمع كل دعوى صالحة لبني الإنسان وما على الأرض جميعا على قاعدة: (المحبة حيث لا إكراه في الدين).

وعليه فآدم سوى مساو قبل خلق الروح فيه!

ويتجلى من ذلك:

أنّ الله اختص آدم بالتسوية قبل نفخ الروح فيه دون سائر الخلق.

آدم لم يحتاج إلى حضن أم.

لم يحتاج إلى رعاية أب.

لم يحتاج إلى علم معلم.

لم يحتاج اجتياز اختبار.

لم يحتاج زمنا لنمو الجسد.

لم يحتاج مدة لنضج العقل.

لم يحتاج مدة لإتقان لغة.

آدم أتقن كل لغات أبنائه لأنّه أصلها.

آدم لم يحتاج لمن يعلمه علما لأنه وهب أصوله.

وعليه: فآدم كما قال الله تعالى فيه: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي

فَقَعُّوا لَهُ سَاجِدِينَ} 288.

فهو مسوّى قبل نفخ الروح، وهذه منة من الله لأدم دون سائر الخلق.  
والتسوية كما قلنا لها عدة مناح:

نفسية.

عقلية.

علمية.

اجتماعية.

تربوية.

دعوية.

فعلى الجانب النفسي فلا شك أن نفس آدم أول الأنفس التي سويت  
مصدقا لقوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاها وَنَفْسٍ  
وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} 289.

وهنا نجد ترتيبا للخلق:

- بناء السماء في سماوات يرتفع بعضها فوق بعض، وفيها تمت المشيئة  
الإلهية لما كان وسيكون.

- طحو الأرض وبسطها لتكون محل الاستخلاف الأدمي.

- تسوية النفس وهنا نتساءل:

أيهما أسبق تسوية الجسد أم تسوية النفس؟

ألا تكون التسوية جاءت متلازمة مترامنة؟

الله يقول: (فإذا سوّيته).

والتسوية هنا تشمل التسوية العامة الشاملة وعليه نقول:

إنّ التسوية جاءت دفعة واحدة لأنّها من الله العليّ القدير بالفعل كن.

ولذا نقول: إنّ من دلائل قوله تعالى: "(ونفس وما سواها) هناك

معنيان:

- 1- عدل خلقها وسوى أعضائها هذا إن أريد بالنفس الجسد.  
2 - وإن أريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطاها القوى  
الكثيرة:

كالقوة الناطقة:

والسامعة:

والباصرة:

والمفكرة:

والمخيلة:

والعالمة:

والفاهمة:

والتوفية:

ومن المثير للانتباه أن نفسا جاءت نكرة وهذا من دلالة تعظيم هذه النفس وأنها مصدر التسوية لكل نفس تنبثق منها مصداقا لقوله تعالى في آيات كثيرة: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } 290.

- { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَعَاشَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } 291.

- { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ } 292.

والتساؤل: ما المقصود من النفس الواحدة؟

---

290 النساء 1.

291 الأعراف 189.

292 الأنعام 89.

هل هي نفس آدم؟

وإن كانت نفس آدم فما القول في نفس زوجته؟

وما القول في نفس عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

ولمحاولة تفسير التساؤلات نخرج على كتب التفسير قبل، فقد قيل:

فالنفس الواحدة هي آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي نفس واحدة. وحواء مخلوقة من ضلع من أضلاعه، فصارت كل الناس من نفس واحدة وهي آدم.

وعلى ذلك سنناقش الأمرين:

- إن النفس الواحدة هي نفس آدم، وكل نفس من نفس آدم تنفعل بانفعال وفق ما ورثت وأخذت عن النفس الأولى.

### قضية حواء من ضلع آد:

ولذلك أعرض أنواع الأنفس وفقا لأفعالها لأن كل الأنفس من آدم وهي تعود عليه بوصفه أول نفس خلقت، وقد كانت نفس آدم النفس الجامعة لكل الأنفس التي سنتناولها، وعلى القارئ أن يستنبط العلاقة بين كل نفس ونفس آدم.

### النفس أمانة بالسوء:

هي التي تعرف ما يجب وتأمّر بغيره، قال تعالى: { وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي } 293.

وما أبريء نفسي، والنفوس مائلة إلى الشهوات أمانة بالسوء. ومعناه: وما أبريء نفسي مع ذلك من الخيانة فيني قد خنته حين قذفته وقلت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن، وأودعته السجن تريد الاعتذار لما كان منها أن كل نفس لأمانة بالسوء إلا نفسا رحمها الله

---

293 يوسف 53.

بالعصمة إن ربِّي غفور رحيم، استغفرت ربِّيها واسترحمتها ممَّا ارتكبت. ولذا فالنفس الأمانة بالسوء هي التي لا تفعل الخير، السوء فتنة، فمن يفعله فعل إثمًا وبهتان كبيرًا، والفتنة اشد من القتل، وهذه النفس هي التي وضعها الكريم في امتحان فإن استغفرت وتابت رحمها الله بالاستخلاف في الأرض وإن لم تفعل ذلك خسرت الدنيا والآخرة<sup>294</sup>.

القاعدة:

1. النفس أمانة بالسوء. وبالخصوص النفس السوية.

2. برحمة الله تبرأ النفس من الأمر بالسوء.

الاستثناء:

1. النفس لا تأمر بالسوء. وبالخصوص النفس غير السوية.

2. لا تبرأ النفس من ارتكاب السوء.

### النفس الهاوية:

النفس الهاوية هي المنحدرة عن مستوى القيم والفضائل التي يرتضيها الله تعالى، وإن هوت وأثرت الحياة الدنيا وقعت في الرذيلة، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَعَى وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} <sup>295</sup>. يقول ابن كثير: من تَمَرَّدَ وعتا، وقدم الحَيَاةَ الدُّنْيَا على أمر دينه وأخراه، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى أي: فَإِنَّ مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم، ومشرته من الحميم، {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} <sup>296</sup>. الهوى ميل عن الحق وحياد عن إحقاقه، ولذا فالهوى منهى عنه، والقاعدة هي:

1. النفس تهوى.

---

<sup>294</sup> تفسير البحر المحيط، ج 7، ص 31.

<sup>295</sup> النازعات 37. 39.

<sup>296</sup> النازعات 40.



2 . الخوف من الله تعالى يؤدّي إلى نهي النفس عن الهوى .

والاستثناء:

1 . النفس لا تهوى .

2 . عدم مخافة الله لا يؤدّي إلى نهي النفس عن الهوى .

وقد جاء أمر الله تعالى لنا في أكثر من آية بعدم إتباع هوى النفس كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }<sup>297</sup>، ففي هذه الآية نهي عن إتباع هوى النفس في ترك العدل وظلم الناس، وقال تعالى أمرا لمن يخلفونه في الأرض بعدم إتباع الهوى، وهذا ما نراه جليًا في أمره لسيدنا داوود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }<sup>298</sup>.

يُفهم من هذه الآية الكريمة إن استخلاف داوود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ليحكم بين الناس بالعدل، لا أن يحكم الناس بالهوى، ولهذا فالفرق كبير بين الحكم بين الناس الذي يأتي في حالات الاختلاف، وبين حكم الناس الذي قد يكون على حساب حريتهم وممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم وحمل مسؤولياتهم. ففي هذه الآية وصية من الله تعالى لخلفائه في الأرض ولولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحقّ المنزل من عنده تبارك وتعالى، وأن لا يعدلوا عن هذا الحقّ بإتباع ما تحدثهم به أنفسهم من أهواء، فيضلوا عن سبيله، وقد توعد الله عزّ وجلّ الذين يضلون عن

---

<sup>297</sup> النساء 135 .

<sup>298</sup> ص 26 .

سبيله بالعذاب الشديد والمهين يوم القيامة<sup>299</sup>، وقد وصف الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه لا يتبع الهوى فيما يخبر به أتباعه وفيما يطبق فيهم من شرائع فقال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ} 300.

### النفس الزكية:

هي التي تتطهر من الخطيئة والذنوب، والتي تذنّب وتتوب كلما أذنبت، ولهذا فهي تتطهر بالتوبة حتى توصف أفعالها بالزكية، ولو كانت لم تُذنّب قط لكان الوصف لها بالنفس الزكية التي لم تقع في أفعال الذنوب. قال تعالى: {فَانطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} 301. نزلت هذه الآية الكريمة لتوضح من أدرك علم الغيب وهو الرجل الصالح (السيد الخضر صلوات الله وسلامه عليه)، ومن يؤمن بعلم الغيب ويُسلم به بالملق إيمان بالكريم المطلق جلّ جلاله وهو (سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم). وعليه فالفرق كبير بين من أظهره الله تعالى على شيء واسع من علم الغيب وأدركه به فيرى ما لم يره الآخرون، وبين من أظهره على شيء محدود من علم الغيب فأمنأ به وسلم تسليمًا صادقًا مطلقًا. ويتضح هذا الأمر في قوله تعالى: (قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا). النفس التي قُتلت بالنسبة لسيدنا موسى صلوات الله وسلامه عليه هي نفس زكية، وبالنسبة للسيد الخضر صلوات الله وسلامه عليه، فهي لم تكن كذلك، مصداقًا لقوله تعالى: {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ

<sup>299</sup> تفسير ابن كثير، ج 7، ص 62.

<sup>300</sup> النجم 3. 5.

<sup>301</sup> الكهف 74.

أَعْيَبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ آبَوَاهُ  
 مُؤْمِنَيْنِ فَحَشِينَا أَنْ يُرْهِفَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا  
 مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ  
 تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا  
 كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ  
 صَبْرًا {302}.

### النفس مجادلة:

قال تعالى: {يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوئى كل نفس ما  
 عملت وهم لا يُظلمون} {303}. يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ، تخاصم عن نفسها،  
 وتحتج عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر أو إيمان أو كفر، (وتوئى  
 كل نفس ما عملت) في الدنيا من طاعة بالجزاء الأوفى الذي به تورث  
 في الجنة، ولهذا قال الله تعالى: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} {304}  
 والجدل لا يتم ببسر، بل يتم بنقاش يؤدي إلى البينة التي بها الإنسان  
 يدرك مميزا بين ما يجب ويقدم عليه وبين ما لا يجب ويتعد عنه، ولذلك  
 فالجدل يؤدي إلى اليقين إذا سادت روح الديمقراطية والمشاورة بكل  
 شفافية بين المتحاورين حيث لا غالب ولا مغلوب إلا سيادة الحق  
 وإحقاقه.

<sup>302</sup> الكهف 78 . 82.

<sup>303</sup> النحل 111.

<sup>304</sup> الكهف 54.

## النفس مفرطة:

هي التي يتاح لها الأمر المناسب واللائق بها وتهمله وتغفل عنه وعن أهميته، وعندما تضيع الفرصة تندم يوم لا يفيد الندم. قال تعالى: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ} 305.

القاعدة:

1. التحسّر على التفريط في جنب الله تعالى.

2. الإقرار بذلك التحسر العظيم.

. وإذا حدث الاستثناء وظهر الفساد في الأرض:

1. أن لا يتم التحسّر من قبل المفرط في جنب الله تعالى.

2. أن يحسّ المفرط في جنب الله بالتحسر ولا يقر به.

## النفس مطمئنة:

هي الآمنة بما دخل قلبها من إيمان، وهي التي تعلم أنّ ما دخل قلبها هو الحقّ فتكون على اليقين الذي يزيح المخاوف، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي} 306، وعليه فإن اتجهت النفس إلى صواب الصواب ونزلت عليها السكينات الإلهية تطمئن إلى ذكر الله عزّ وجلّ وتسكن إلى المعارف الإلهية، فيقال: نفس مطمئنة.

القاعدة:

1. النفس المطمئنة طائعة لربّها تعالى.

2. النفس المطمئنة ترجع إلى ربّها تعالى راضية مرضية.

الاستثناء:

1. النفس غير المطمئنة عاصية لربّها تعالى.

---

<sup>305</sup> الزمر 56.

<sup>306</sup> الفجر 27 . 30.

2. النفس غير المطمئنة لا ترجع لربّها تعالى راضية مرضية.

وللنفس المطمئنة أفعال هي:

أ. التوحيد: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً } {307}.

ب. الرحمة: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } {308}.

ت. السلام: قال تعالى: { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } {309}، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا } {310}، وقال تعالى: { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا } {311}.

ث. الإيمان: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا } {312}.

ج. العزة: { يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } {313}.

ح. اللطف: { وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } {314}.

---

<sup>307</sup> الفجر 27 . 30.

<sup>308</sup> الأنبياء 107.

<sup>309</sup> الأنفال 61.

<sup>310</sup> نساء 94.

<sup>311</sup> النساء 86.

<sup>312</sup> الأحزاب 36.

<sup>313</sup> لقمان 17 . 19.

<sup>314</sup> النساء 128.

خ . الحلم: { وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } 315، وقال تعالى: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ } 316.

د . الغفران: { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } 317.

ذ . الشكر: { وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ } 318.

ر . الكرم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِهِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَمِيدٌ } 319.

ز . الحكمة: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } 320.

س . المودة: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ } 321.

ش . القوة: { وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ } 322.

ص . المتانة: { إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } 323.

---

<sup>315</sup> الصافات 99 . 101 .

<sup>316</sup> هود 75 .

<sup>317</sup> آل عمران 135 .

<sup>318</sup> النمل 40 .

<sup>319</sup> البقرة 267 .

<sup>320</sup> البقرة 261 .

<sup>321</sup> الروم 21 .

<sup>322</sup> هود 52 .

- ض . الحمد: { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ } 324.
- ع . القدرة والاقترار: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فِإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } 325.
- غ . التوبة: { فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } 326.
- ف . العفو: { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } 327.
- ق . الرأفة: { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } 328.
- ك . الغنى والاعتناء: غنى النفس بالإيمان والوقوف عند الحق وممارسته والإقدام على الواجب وأدائه وحمل المسؤولية بالإرادة، فالغني هو الذي لا يطمع ولا يضعف إلا في الحق وللحق وهو المستغني بخير خلقه في أحسن تقويم وبإيمانه بالله الغني الذي يغنيه عن العباد فلا تطمعن نفسه إلا به جلّ جلاله، "واتقوا يوما لا تقضي نفس عن نفس شيئا ولا تغني عنها غنى" 329.
- ل . النفع: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 330، وقال تعالى:

323 القلم 34، 35.

324 الزمر 74.

325 النازعات 40، 41.

326 البقرة 283.

327 الشورى 40.

328 الأنعام 151.

329 تفسير الطبري، ج 1، ص 27، 28.

330 النحل 97.

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ  
لِّلْعَبِيدِ} 331.

م . الهداية: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى  
فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ  
بِوَكِيلٍ} 332.

ن . الرشده: قال تعالى: {إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ  
لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرْبَنَا عَلَى أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ  
عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا نَحْنُ نَقُصُّ  
عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ  
إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ  
قُلْنَا إِذَا شَطَطًا} 333 وقال تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ  
فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا} 334.

هـ . الصبر: {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ  
الْحَاكِمِينَ} 335، وقال تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ  
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} 336.

و . الإصلاح: {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ  
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} 337.

---

331 فصلت 46.

332 يونس 108.

333 الكهف 10 . 14.

334 الجن 14.

335 يونس 109.

336 ق، 39.

337 هود 88.



## النفس مجزية:

هي التي تكافئ من يستحقّ الجزاء، ولذا؛ فالجزاء مقابل عمل بالسلب أو الإيجاب (ثواب أو عقاب)، والنفس المجزية هي المقدرة للآخر حقّ قدره ولا تظلم أحدا، قال تعالى: {وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} 338.

"أصل الجزاء: القضاء والتعويض، وجزيت عنك فلانا: إذا كافأته "واتقوا يوما لا تقضي نفس عن نفس شيئا ولا تغني عنها غني" 339.

القاعدة:

1. النفس لا تجزي عن النفس. ولنا في الآخرة خير المثال.
2. النفس المجزية متقية يوم الجزاء.
3. تقبل الشفاعة من النفس المجزية.
4. يؤخذ العدل من النفس المجزية.

الاستثناء:

1. النفس تجزي عن النفس. ولنا في الدنيا الأمثلة.
2. النفس المجزية غير متقية يوم الجزاء.
3. لا تقبل الشفاعة من النفس المجزية.
4. لا يؤخذ العدل من النفس المجزية.

---

<sup>338</sup> البقرة 48.

<sup>339</sup> تفسير الطبري، ج 1، ص 27، 28.

## النفس عاملة:

وهي التي تسعى من أجل مستقبل أفضل، وهي التي تؤمن بذلك الأفضل دون ظن في بلوغه بالعمل الذي به تنال الجزاء الأوفر. قال تعالى: {وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ} 340.

العمل فعل خير في كل أوجهه للمؤمن، وقد لا يكون كذلك لغيره، ولذا يقول تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} 341، الآية جاءت موجهة للمؤمنين لتحثهم على العمل، ولكن أي عمل؟، إنه العمل الصالح مصداقا لقوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} 342.

ولذلك فالله تعالى يخاطب النفس العاملة للخير، مصداقا لقوله تعالى: {يَوْمَ يَجْدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} 343.

وعمل النفس لا يوافق بالضرورة عمل الجسد، فكل ما لا يظهر في أفعال الجسد ويؤثر في الآخر هو من أفعال النفس، فالنوايا من عمل النفوس يقول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى"، ومع أن النفس العاملة تحاسب على أفعالها بالنيات، إلا أن الجريمة ما بين البشر يكون الفعل فيها دليلا شاهدا حتى ولو كان الفعل نتاج خطأ، ولهذا أوجب الله تعالى التكفير عن الخطايا، {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ

---

340 الزمر 70.

341 التوبة 105.

342 الكهف 110.

343 آل عمران 30.

مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا {344}.

### النفس ماكرة:

المكر من صفات النفوس التي طالما أشار إليه الله جلّ وعلا متحديا كيد النفس الإنسانية: مصداقا لقوله تعالى: {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين} {345}.

### النفس مكيدة:

الكيد محاولة للمغالبة بأسلوب تحايلي حيث إظهار كل ما يعيق ويعرقل مسيرة الناس ولأن الله خير الكائدين فبكيدة الحق يتم إبطال كيد المكيدين بغير حق، قال تعالى: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا} {346}، فالكيد من عمل النفس، وفي سورة يوسف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعالى عزّ وجلّ على كيد النفس الإنسانية فيقول: {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} {347}، لأنه يعلم في علم الغيب عنده أن كيد الشر في نفوس إخوة يوسف أقوى من كيد الخير في نفس يوسف فهو يحسب لغضب الله حسابا كما يحسب لرضاه عزّ وجلّ، فنفس يوسف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأتي أن تخوض في الباطل الذي هو مباح لنفوس أعداءه. والكره من عمل النفس لأنه لا يظهر في

344 النساء 92، 93.

345 آل عمران 54.

346 الطارق 15، 17.

347 يوسف 76.

أفعال الجسد لكنه يُحس من قبل الآخر. وقد يتساءل البعض: عمن يحسه؟ بطبيعة الحال تكون الإجابة النفس. ولهذا ليس لحواس الجسد قدرة على الإحساس بأفعال النفوس، وإنما النفوس تحس وتشعر بعمل النفوس الأخرى.

القاعدة:

1. أعمال المحسنين توفى.

2. وأعمال المقللين تقلل.

الاستثناء:

1. أعمال المحسنين تقلل.

2. أعمال المقللين توفى.

**النفس مكلفة:**

قال تعالى: {لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا} 348. الوسع مقدرة واستطاعة، والتكليف بدون مراعاة ذلك تجي على النفس التي لا تطيق إلا ما تستطيع.

القاعدة:

. تكلف النفس وفقا لوسعها.

الاستثناء:

. تكلف النفس في غير وسعها.

---

348 البقرة 233.

### النفس مسيئة:

قال تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} 349، السيئة هي كل ما يخالف الفضائل والقيم الإنسانية الاجتماعية، ومرتكبها هو من لا يتندى جبينه من الاتصاف بها في الوقت الذي يتندى له جبين الآخرين إذا ما ارتكب أفعالها.

القاعدة:

لا ترتكب السيئة إلا بإرادة النفس.

الاستثناء:

ترتكب السيئة بدون إرادة النفس.

### النفس مستبصرة:

قال تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرَهُ} 350. البصيرة: ما يُمكن من بلوغ عين اليقين فيما يُدرك ويُتخذ قرار بشأنه عن وعي وبيّنة واضحة أي حُجّة بينة واضحة على ما صدر عن النفس من الأعمال، ولهذا لا تنفع المعاذير بما أن النفس على بينة بما حدث، وليتقي الإنسان ربّه الكريم. فإن اتقاه كانت نفسه ذات بصيرة وإن لم يتقه فلا معاذير تنفعه.

أمّا النظر في جواهرنا وأنفسنا فلننظر كما قال تعالى: {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} 351، النفس ليست الروح ولا البدن، بل هي شيء آخر، يتكون من القبول والرفض والرضا وعدم الرضا والخوف والطمأنينة، والاتزان والقلق والوسوسة التي بها تمتلئ الصدور فتتسع أو تضيق.

---

349 النساء 79.

350 القيامة 14-15.

351 الذاريات 21.

فالنفس توصف ويتم التعرف عليها بالمخاطبة وتؤدّي بصاحبها للتفاعل أو عدم التفاعل، وهكذا تظل على قيد الحياة إلى أن يتوفاها الله تعالى. في الآية الكريمة السابقة استغراب تساؤلي: أنّ الأنفس التي لا تدرك حقيقة أمرها لم تبصر حالها، وعليه فالنفس المستبصرة هي التي تتبين بما ميزها الله به من نعم خلقية فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم هو على بصيرة بأمره فلا يغفل حتى لا يكون من النادمين، ولا يشرك حتى لا يكون من الضالين، فالبصيرة مركز الرقابة العقلية والذهنية التي بها يتم التمييز بين الأفضل والأكثر تفضلاً، والأجود والأكثر جودة، {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} وقال تعالى: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} 352.

القاعدة:

1. البصيرة قيد على النفس كي لا تفلت.
2. من يمتلك البصيرة يمتلك ملكة التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

الاستثناء:

1. أن لا تكون البصيرة قيدياً على النفس فتفلت.
2. أن يكون للنفس بصيرة ولا تُتميِّز بين ما يجب وما لا يجب.

**النفس سفيهة:**

قال تعالى: {وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} 353.

السفه طيش وخروج عن المألوف والمحجب والمفضل، وهو خروج عن حمل المسؤولية، والسفه تقليل بالأقوال أو الأعمال أو الاثنين معا من أقوال أو

352 الإسرائ 14.

353 البقرة 130.

أعمال الآخرين الراشدين في أقوالهم وأعمالهم وأعمارهم، والسفه تقليل من شأن ينبغي أن يقدر ولا يقلل من شأنه.

القاعدة وفقا لدائرة الممكن المتوقع:

1. النفس السفيهة لا تقدر الآخرين ولا تحترمهم.

2. النفس السفيهة لا تحتكم بالفضائل والقيم الإنسانية والأخلاقية.

القاعدة وفقا لدائرة الممكن غير المتوقع:

1. النفس السفيهة تقدر الآخرين وتحترمهم.

2. النفس السفيهة تحتكم بالفضائل والقيم الإنسانية والأخلاقية.

وفي نظرية الاحتمالات ووفقا لدائرة الممكن:

إذا التقى سفيه وراشد فكيف يرى كل منهما الآخر؟

1. قد يرى السفيه الراشد مثله بالتمام سفيها.

2. قد يرى الراشد السفيه مثله بالتمام راشدا.

3. قد ينظر السفيه للراشد بأنه أقل شأنا منه.

4. الراشد ينظر إلى السفيه بأنه أقل منه شأنا، ويعتبره جاهلا.

5. قد يعرف السفيه أن الراشد ينظر إليه بأنه جاهلا.

6. السفيه لا يعتبر الإصلاح عملا موجبا.

7. الراشد لا ييأس من الإصلاح.

8. إذا توقع السفيه نفسه أنه سفيها في ذهن وعقل الراشد فقد يحاول

إثبات ذلك له سفاهة.

9. إذا توقع السفيه نفسه أنه سفيه في ذهن وعقل الراشد فيحاول أن

يظهر له ما يخالف ذلك ليبطل افتراضاته.

10. إذا توقع الراشد نفسه بأنه راشدا في ذهن السفيه يزداد تمسكا بأنه

راشد في قوله وفعله.

11. إذا توقع الراشد بأنه راشدا في ذهن وعقل السفيه وبذلك لن يخيفه

فقد يظهر له من القول والفعل ما يخيف.

- 12 . قد يظن السفية أنه مُقدّر من قبل الراشد فيظهر له ما يتوقع حتى يخادعه.
- 13 . إذا اعتقد الراشد بأنه مُقدّر من قبل السفية فلا يفاجئ إذا قدّم له الإهانة في أي مظهر من مظاهر السفاهة.
- 14 . إذا ظن السفية أنّ صورته عند الراشد غير حسنة قد لا يقلق.
- 15 . إذا عرف الراشد أنّ صورته عند السفية غير حسنة قد يزداد قلقا.
- 16 . إذا عرف السفية أنّ صورته عند الراشد غير حسنة قد يقدره على نظرتة لهذه الصورة التي لا يرغب أن تكون له صورة تخالفها.
- 17 . إذا عرف الراشد أنّ صورته عند السفية حسنة قد يظن في نفسه بما ليس حسن، ولذا قد يتساءل: هل الذي صورته عند السفية حسنة هو من ينبغي أن يكون حسنا؟
- 18 . قد يظن السفية أنّ الراشد يظنه غيبا.
- 19 . كذلك قد يظن الراشد أنّ السفية يظنه غيبا.
- 20 . قد يكون السفية ذكيا فيتمكن من الضحك على الراشد.
- 21 . قد يكون الراشد ذكيا ولكنه لا يغالب بذكائه ذكاء السفية، فيستسلم له.
- 22 . إذا حس السفية بالخوف من الراشد قد يظهر الطاعة.
- 23 . إذا حسّ الراشد بالخوف من السفية فقد يُقدّم له التنازلات لينجو، وقد يحدث الصدام في غير محله ويُدفع الثمن.
- 24 . السفية لا يضع الراشد موضع الثقة.
- 25 . الراشد قد لا يضع السفية موضع الثقة.
- 26 . كل من السفية والراشد ينظر للآخر وفقا للصورة التي رسمها له وقد يظن أنّها لا تتغير.
- 27 . قد يظن السفية أنّ الراشد خائف منه ولذا فهو آتيا له لتقديم المزيد من التنازلات فيزداد السفية سُفه.



- 28 . إذا أحس الراشد بأن السفية خائف منه فلا يثق فيما يقدمه له من تنازلات، وإذا وثق فقد يفاجئ.
- 29 . قد يظن السفية أنّ الراشد طامع فيه فقد لا يحترمه.
- 30 . إذا ظن الراشد أنّ السفية طامع فيه يزداد حذرا وحيطة.
- 31 . السفية لا يتخذ قدوته إلا سفيها.
- 32 . الراشد لا يتخذ قدوته إلا راشدا.
- 33 . إذا انساق الراشد بعاطفته مع ما يقوله السفية فقد يقع في الفخ.
- 34 . قد يتصنع السفية الضعف حتى البكاء عندما يعتقد أنه في المصيدة.
- 35 . قد تحدث علاقة بينهما وفي هذه الحالة يكون أحدهما قائدا والآخرة تابعا.
- 36 . إذا اعتقد الراشد في استخدام القوّة مع السفية علاج فقد يظل طريقه.
- 37 . السفية قوي والراشد قوي ومن شك منهما في ذلك خسر الجولة.
- 38 . إذا عرف السفية أن الراشد يعمل على استقطابه فقد يظهر له ما يرضيه حتى لا يطول زمن المقابلات معه.
- 39 . إذا قبل الراشد بأن يرى نفسه في مرآة السفية فلا يمسح الغبار من على سطحها.
- 40 . إذا قبل السفية أن يرى نفسه في مرآة الراشد فعليه بمسح الغبار.

### النفس ظالمة:

هي التي لا تقف عند الحد بل تتجاوزه إلى المنهي عنه فتفعله وهذه ظالمة لنفسها أولا، وللآخرين ثانيا. قال تعالى: ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ {354}.

<sup>354</sup> يونس 54.

الكريم جلّ جلاله هو صاحب الحقّ والعدل، فهو لا يظلم أحداً، وأولئك الذين أسروا الندامة تكبراً ولم يعتذروا ولم يكفّروا عن سيئاتهم هؤلاء لن ينفعهم شيئاً ولا ينجيهم من عدل الله فيهم بالعذاب شيئاً، فبعد أن يفوت الأوان لن ينفعهم الندم ولو افتدوا بما في الأرض جميعاً. وهؤلاء هم الذين أعطيت لهم الفرصة لأن يكونوا من الخلفاء في الأرض لأجل أن يرثوا الجنة من بعدها فحسروا بارتكابهم المظالم كل شيء. اللهم أجعل أنفسنا طاهرة زكية مطمئنة ولا تجعلها ظالمة ومتجاوزة للحدود المنهي عنها. قال تعالى: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} 355، يظن أن بستانه بما فيه من أشجار متنوعة ومتعددة إنه الجنة التي لا تزول أبداً، وبهذا ظلم نفسه بكفره، يقول الطبري: هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب (دَخَلَ جَنَّتَهُ) وهي بستانه (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) وظلمه نفسه: كفره بالبعث، وشكّه في قيام الساعة، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه.

الظلم ما ليس بحقّ، والنفس الظالمة هي التي لا تكون على الحقّ، قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا رَحِيمًا} 356، وقال تعالى: {فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} 357.

القاعدة:

1. عمل الخير.
2. اعتدال النفس.
3. الاستغفار من الذنب.
4. نيل الرحمة.

<sup>355</sup> الكهف 35-36.

<sup>356</sup> النساء 110.

<sup>357</sup> البقرة 231.

الاستثناء:

- 1 . عمل السوء .
- 2 . ظلم النفس .
- 3 . انعدام الاستغفار .
- 4 . الحرمان من نيل الرحمة .

### النفس المراودة:

المراودة طلب مع مراوغة وسوء نية مبيتة، والنفس المراودة هي النفس الضالة للسبيل الحق، وهذه النفس إن حاولت وأصرت قد تنجح في تحقيق مآربها، وهي مع اليقين تفشل لا محالة كما هو الحال مع يوسف صلى الله عليه وسلم وامرأة العزيز. قال تعالى: {وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ} 358، وقال تعالى: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةٌ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 359.

القاعدة:

- 1 . النفس تراود .
- 2 . اليقين يُفشل أعمال المراودة .

الاستثناء:

- 1 . النفس لا تراود .
- 2 . المراودة تحقق المآرب .

### النفس المتحسرة:

قال تعالى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا

---

358 يوسف 23 .

359 يوسف 30 .

يَصْنَعُونَ}360. والحسرة الغم والندم على ما فات، أي: من شدة الغم يتحسّر الإنسان على ما فات وهو نادم ويا ليتته لم يفعل ما فعل، أو يا ليتته فعل ما يجب في وقته، ولأن الوقت لا يعود إلى الخلف والفعل حدث فإن الندم يحلّ بالنفس حتى توصف به، وهذه النفس أن كانت نادمة في الزمن الذي يُمكنها من الإصلاح أو التكفير فقد تكسب خيرا على ندمها وتكفيرها على ما قدّمت يداها، وإن لم يسعفها الوقت لكي تُكفّر عمّا أقدمت عليه فلا ندم ينفعها.

### النفس المتوجّسة:

وهي التي تتوجس فيما تفكر فيه أو تشاهده أو تلاحظه، والتوجس أحكامه ظنية، قال تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}361. القاعدة:

- 1 . النفس تتوجس.
- 2 . النفس المتوجسة يملأها الخوف.
- 3 . النفس الواثقة يملأها الاطمئنان.

الاستثناء:

- 1 . النفس لا تتوجس.
- 2 . النفس لا تخاف.
- 3 . النفس التي لا تثق يملأها الاطمئنان.

### النفس البخيلة:

وهي التي لا تتحفز للإقدام إلى ما يفيد وينفع، فتقصر عن بلوغ ما ينبغي لها أن تبلغه بإرادة، قال تعالى: {وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ}362.

<sup>360</sup> فاطر 8.

<sup>361</sup> طه 67.

القاعدة:

1 . البخل قصور في النفس .

الاستثناء:

1 . أن لا يعد البخل قصور في النفس .

### النفس الناكثة:

وهي التي إن عاهدت لا تفي بما عاهدت به، ولذا لا تعد نفس صالحة لغرس الثقة فيها. والنكث نقض العهد وفك الارتباط وعدم الالتزام بما تم عليه العهد، وفي النكث مخادعة وعدم إخلاص نية والسير على غير وفاء. قال تعالى: {فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ} 363.

القاعدة:

1 . العهد غرس ثقة .

2 . نكث العهد لا يعود إلا على النفس الناكثة .

الاستثناء:

1 . العهد بدون غرس ثقة .

2 . نكث العهد يعود على آخرين .

### النفس الوسوسة:

هي التي تظن في كل شيء وهي التي تظهر الموافقة والرضاء وتلاحقهما شكاً وظناً، وكثير ما يتهبأ لها الأمر في غير مكانه المناسب، في باطنها تراجع المواضيع وقد لا يتعلق الأمر بها، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُؤَسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ} 364، لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وفي هذا التقويم ظاهر وهو الشكل الذي صوره عليه

362 محمد 38 .

363 الفتح 10 .

364 ق 17 .

وهو يمشي سويا، والباطن الذي يتعرض للامتلاء الاحتمالي على النحو الآتي:

1 . الامتلاء باليقين الإيماني، الذي به يتمكن من إدراك الحقيقة، وبلوغ الغايات العظام، حتى يتمكن من الاستخلاف في الأرض ويكون من الوارثين في الجنة.

2 . الامتلاء الشكي الذي يعتمد على سلامة المدركات العقلية والجدل والحوار إلى أن يحدث التبيُّن وحينها يكفر من يكفر ويسلم من يسلم وجهه لله تعالى.

3 . الامتلاء الظني الذي يملأ النفس بالظنون والوساوس التي بعضها إثم وذلك لفقدانها المعطيات والمبررات الصادقة.

القاعدة:

1 . النفس وسواسة.

2 . الوسوسة ظن لا يقين.

الاستثناء:

1 . النفس لا توسوس.

2 . وسوسة لا ظن فيها.

**النفس المؤثرة:**

هي الراضية بما هي عليه ولا طمع لها فيما ليس لها، وما يكون إليها لا ترى مانعا أن ينتفع منه من هو في حاجة له أكثر منها، تنظر إلى الآخر وإذا شعرت أنه في حاجة استوقفت عند تلك الحاجة واستجابة لمتطلباتها بما تملك، تتصف بالجود والكرم والعطاء والإيثار فهي لا تنتظر مقابلا، غاياتها عظيمة ومستقبلها أعظم. لا تعطي من الزائد والفائض بل تعطي ما هو أكثر ولو ما تملك في سبيل مناصرةٍ ومساندةٍ لأصحاب الحقِّ

والمحتاجين للمساندة والمناصرة. قال تعالى: { وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ  
كَانَ بِهِمْ حِصَاةٌ } 365.

القاعدة:

1. النفس المؤثرة الكريمة من أجل الآخرين تؤثر.

2. الإيثار بالنفس لا يكون على حسابها.

الاستثناء:

1. أن لا تؤثر النفس من أجل الآخرين.

2. أن يكون الإيثار على حساب النفس.

### النفس الشحيحة:

هي التي تبخل بما عندها وهي المانعة للتفضل بالرزق والمملك، وذلك  
لشدة خوفها ومبالغتها في الحرص غير المسئول حتى يضيق صدرها،  
والنفس الشحيحة مع أنّها تمتلك إلا أنّها ترغب في المزيد حتى ولو كان  
على حساب الآخرين، بل أنّها ترغب أن تأخذ منهم وإن كانوا أقل منها  
رزقا، ويدها دائما مغلوطة إلى عُنُقِهَا قال تعالى: { وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } 366.

قال تعالى: { وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا  
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } 367، أُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ: إن النفوس عرضة للبخل،  
فينبغي أن يكون التسامح بينها كاملا. والشح أكثر من التقليل في  
العطاء، وكأنه مرتبط بمقابل، فإن توفّر المقابل كان العطاء وإن لم يتوفر لا  
يحدث العطاء، ولذا فالأنفس الشح هي الأنفس التي لا تتقي الله في  
الآخر المناظر في الحقوق والواجبات لأسباب لا تتعلق بالإيمان كما هو

---

365 الحشر 9.

366 التغابن 16.

367 النساء 128.

حال الزوجين عندما يتخلى الزوج عن زوجته بأسباب الكبر أو عدم الرغبة وهي تود أن تستمر معه ولرعاية أبنائها.

القاعدة:

1 . تجنب شح النفس .

2 . من يتجنب شح نفسه يفلح .

الشح يدفع النفس إلى أكل الحرام .

الاستثناء:

1 . شح النفس .

2 . عدم تجنب شح النفس لا يؤدي إلى الفلاح .

3 . أن لا يدفع الشح إلى أكل الحرام .

### النفس السوية:

هي التي لا ترتكب المعيبات نفس سوية اعتدالا واتزاناً تميز بين الحق وتحققه وبين الباطل وتعمل على إبطاله، وهي النفس الملهمة بالحق فتتبعه والملهمة بالباطل فتجتنبه، قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا }<sup>368</sup>. النفس السوية دائماً تتخذ بين هذا وذاك قواماً.

### النفس اللوامة:

إن كانت مع قواها وجنودها في حراب وقتال وشجار ونزاع، فتارة تنزع إلى جانب العقل فتتلقى المعقولات وتثبت على الطاعات وتارة تستولي عليها القوى فتتهبط إلى الحضيض فهذه النفس نفس لوامة غير ثابتة على موقف متأرجحة فهي بين هذا وذاك، تلوم على ما فعلت من سلبيات وإيجابيات ولهذا فهي النفس المعرضة دائماً للوم، وهذا اللوم يتخذ سبيلين:

---

<sup>368</sup> الشمس 7، 8.



السبيل الأوّل: العودة عن المنهي عنه: بالرجوع إلى ما أمر الكريم به، وهذه لازلت تتخير فإن ثبتت على الحق واستقرت أصبح صاحبها من الخلفاء المتصفين بالنفس المطمأنة، وإن بقيت متذبذبة بين ارتكاب السلوك المنهي عنه والسلوك المرضي عنه فهي لا زالت الموصوفة بالنفس اللوامة. قال الله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ} 369. النفس اللوامة هي غير الثابتة على اليقين، ولهذا كان القسم بيوم القيامة ولم يكن بالنفس اللوامة. الكريم عزّ وجلّ دائما يقسم بالثواب والآيات العظام ولا يقسم بالمهتزات، فقد أقسم بيوم القيامة، وبالفجر والعصر، والضحى والليل إذا سجي، والشفع والوتر، ياسين والقرآن الكريم وغيرها من الآيات الثابتة الدالة على الوجود الإعجازي لله تعالى، ولذا فقله (ولا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ) تعني نفيه القسم بالنفس اللوامة ولا تعني القسم بها كما جاء في قوله (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ).

السبيل الثاني: سبيل العودة عن المفضّل والمحَبَّب: النفس اللوامة هي التي قد تفعل خيرا ثم تندم على فعله، وهذه النفس هي الراجعة المائلة المتأرجحة سالبا، وفي هذه الحالة كمن يقوم بمعروف ومغفرة ثم يتبعهما بأذى مصداقا لقوله تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} 370. إنها النفس التي تتقدم خطوة وتتأخر إلى الخلف أربع خطوات، ولكن لازالت الفرصة أمامها وهي إمام الرحمن الرحيم وبين يديه واسع المغفرة، ويجوز أن تنتقل إلى

369 القيامة 2.

370 البقرة 263، 264.

النفس المطمأنة إذا تولى أمرها مربون ووعاظ للخير وفاعلون للمعروف وناهون عن المنكر.

### النفس العادلة:

النفس العادلة لها من العلائق ما لها، وهذه العلائق تؤثر في علائق أخرى وتتأثر بها، تفيد في التحليل النفسي للأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال التعرف على اتجاهاتهم وميولهم والقيم التي يتمسكون بها أو التي يجيدون عنها مما يجعلهم يتخذون مواقف وأدوارا متباينة تختلف من وقت لآخر.

ولتحليل مجال العلائق القيمية النفسية ينبغي أن يهتم الباحث بمعرفة علم الخفايا الذي يجعل من الأفراد متفاعلين ومتفائلين أو منطويين ومتفوقين في حالة إقدام أو إحجام، وفي حالة مشاركة أو في حالة عزلة ووحدة. إن معرفة علم الخفايا يمكن الباحث من معرفة العلل والأسباب الكامنة وراء الأفعال المرتكبة، ولذا فهو علم معرفة الباطن (الجوهر)، الذي يتطلب تحليل شخصية المبحوث تحليلا نفسيا غير مباشر، فالسلوك الظاهر قد لا يعبر عن حقيقة الكامن، ولذا يلتجئ المحلل أو الباحث إلى استخدام الأساليب الإسقاطية في دراسة بعض المواضيع المتعلقة بالشخصية.

إن النفس البشرية تقوى وتضعف بالكلمة أو بالفعل أو بالسلوك، وتتأرجح بين الخيال الممكن والخيال غير الممكن تارة وبين المتوقع وغير المتوقع تارة أخرى، عندما تضعف تضطرب، وعندما تقوى تطمئن. معايير اختياراتها القيمية في بعض الأحيان تتمركز على الأفعال الأنانية، وفي بعض الأحيان الأخرى تتمركز على الذاتية أو الموضوعية، وفي حين آخر تشتت الذات بين الميول إلى الأنانية أو الميول إلى الموضوعية، وهذا يعني أنّ مجال العلائق القيمية النفسية قد تندمج فيه مكونات الشخصية مما يجعل عناصر الذاتية جزاء لا يتجزأ من عناصر الأنانية أو عناصر

الموضوعية، وهذا يتماثل مع قطاعات خماسي تحليل القيم الذي يمكن  
البحّثة من معرفة محتويات النص أو الخطاب أو الشخصية قيد البحث  
والدراسة.

إنّ القيم التي يحتويها مجال العلاقات النفسية تنصهر في بوتقة الاعتراف  
والتقدير التي يتمركز عليها التفكير الإنساني، حيث الكل يسعون إلى نيل  
الاعتراف والتقدير وعلى جميع المستويات، مستوى الحاكم ومستوى  
المشارك ومستوى المحكوم، ومستوى الحر ومستوى العبد، فالعبد كغيره  
من البشر يبحث عن قيمة الاعتراف والتقدير، أن يعترف له سيده بأنه  
مخلص لكي يزيد في الطاعة وأن يقدره على هذا الإخلاص، والابن الذي  
يطيع والديه في غير معصية الله عزّ وجلّ يريد أن ينال منهما الاعتراف  
والتقدير لكي يستمر في هذه الطاعة، وهكذا الحاكم يسعى إلى أن ينال  
الاعتراف والتقدير من رعيته بأن النظام الذي يتأسسه هو الأفضل وأن  
يقدرها هذا التفضيل، أو أن يقدرها الظروف التي لم تمكنه من تحقيق  
خطابه أيام الدعاية الانتخابية، وهكذا المحكومون يسعون لنيل الاعتراف  
والتقدير من الحاكم على تحملهم فترة حكمه وأن يقدرهم على هذا  
التحمّل. ولذلك فإن البدائل القيمة لهذا المجال العلائقي تستوجب  
استخدام الحماسي في التعرف على السلوك الذي يتغير حاله من شخص  
لآخر ومن ظرف لظرف خاصة وأن السلوك البشري يسعى إلى تحقيق  
الاعتراف والتقدير في مقابل إشباع الحاجة كما هو مبين في الآتي:

. سلوك يعترف بالحاجة ويقدرها، يحقق الرضاء ويؤدّي إلى إثبات الذات.  
. سلوك لا يعترف بالحاجة ولا يقدرها، يحقق الاضطراب ويؤدّي إلى  
الانسحابية.

. سلوك يعترف بالزائد عن الحاجة ويقدره، يحقق الرضاء ويوصف بالعقلية.  
. سلوك لا يتدخل فيما لا يعنيه، يحقق الرضاء ويوصف بالمنطقية.  
. سلوك لا يفعل إلا المصلحة، يحقق الرضاء ويوصف بالشخصانية.

وعليه فمن العدل أن لا يتم الإغفال عن المستوى القيمي الذي تكون عليه شخصية الأفراد والجماعات والمجتمعات حتى يتم التمكن من تفعيل مشاركة الشخصية وفقا للحالة التي هي عليها ومدى سلامتها وملائمتها لقبول الفعل أو رفضه، ولهذا قال تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} 371، النفس الأمارة بالسوء لا يمكن أن ينتصر أصحابها، وهذا ما ألم باليهود في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يتقوا ربهم بما جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه. ولذلك جاء قوله (واتقوا) أي: خافوا يَوْمًا لَا تَجْزِي، أي: لا تغني (نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ) فيه (شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ) والعدل هنا يعني الفداء، ولهذا لا يمكن أن يحل أحد محل آخر في ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمل مسؤولياته، وفي كل ما يحقق له الرضا النفسي أو يحقق له الشفاء، فعلى سبيل المثال: المستعمر لا تدخل نفسه الفرحة إلا على حساب الذين بلدانهم احتلت من قبله، ولذا ما يرضي النفس المستعبدة ليس هو ما يرضي النفس المستعبدة. (وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله.

يقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} 372.

جاء أمر العدل مطلق دون اقتصار على عدل بذاته، وتبعه أمر الإحسان مطلق، وتبعهما أمر الإيتاء لذي القربى مطلق حيث وجوبية الحق بالإيتاء والطاعة. ولأنها أوامر من عند الله فإتباعها والأخذ بصفاتهما طاعة لله تعالى وأخذ بصفاته، وعدم الأخذ بها عصيان لا يقدم عليه إلا كافر

371 البقرة 123.

372 النحل 90.

فليتقي الإنسان ربّه بالطاعة التامة له واحداً واحداً لا شريك له. ولهذا فالخلفاء هم الذين إذا حكموا هم يعدلون بالحق، وللإحسان هم فاعلون، وللعطاء لأصحاب الحقوق عليهم من ذي القربى وافون، وهم الذين ينهون عن الفحشاء والمنكر والبغى، وجميع هذه المواعظ من الرحمن الرحيم العادل في ملكه، ولأن هذه المواعظ والأوامر هي في اللوح المحفوظ فإن التذكير بها يستوجب العودة إليها وإلى الأسرار التي تكمن من ورائها. ثم أمر تعالى بإيفاء العهد وعدم نقض الإيمان بعد توكيدها والله تعالى شاهد على ذلك، فليتقِ الإنسان ربّه ويتبع أوامره ويتعد عما نهى عنه ويحمده ويشكره على فضله.

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: دعاني عمر بن عبد العزيز، فقال: "صف لي العدل، فقلت: بخ سألت عن أمر جسيم، كن لصغير الناس أباً، ولكبيرهم ابناً، وللمثل منهم أخاً، وللنساء كذلك، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، وعلى قدر أجسادهم، ولا تضرّبن بغضبك سوطاً واحداً متعدداً، فتكون من العادين" 373.

ومن الأمانة العدل لأنه بإقامة العدل يستقر المجتمع ويأمن الفرد على نفسه وعرضه وماله وتسود روح المحبة بين الجميع والله العدل يأمر بأداء الأمانة والحكم بين الناس بالعدل فيقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ 374. قال تعالى: (إذا حكمتم بين الناس)، ولم يقل إذا حكمتم الناس، فالحكم بين الناس له اشتراطات:

<sup>373</sup> تفسير ابن أبي حاتم، ج 9، ص 114.

<sup>374</sup> النساء 58، 59.

أولاً: وجود طرفين أو أكثر فرادى أو جماعات أو مجتمعات.

ثانياً: وجود اختلاف على موضوع لهم علاقة به.

ثالثاً: وجود عادل.

رابعاً: القبول بالحكم (أن يكون مرضياً للأطراف المختلفة أو المتنازعة أو المتخاصمة).

خامساً: قبول الحكم بأن يحكم بينهم حيث لا أكره.

ولهذا جاء في قوله تعالى: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا).

وقال الله تعالى حاثاً النفس على العدل بوسائله المتعددة وأساليبه المختلفة من أمر بمعروف ونهي عن منكر وإعراض عن الجاهلين الذين تخلفوا عن ركب العدل ولم يرض أن يكون من الخلفاء الذين يتحلون بصفة العدل اشتقاقاً تحلياً بصفة العدل من مصدره وفي ذلك قال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} 375، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} 376. فثبت أن القرآن مشتمل على تفاصيل جميع العلوم الشريفة، العقلية منها والنقلية، اشتمالاً يمتنع حصوله في سائر الكتب؛ فكان ذلك معجزاً، وإليه الإشارة بقوله: (وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ).

أما قوله: (لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فتقريره: أن الكتاب الطويل المشتمل على ما تعرضه كتب العلوم الكثيرة لا بد وأن يشتمل على نوع من أنواع التناقض، إما هذا الكتاب الحكيم فلا يدخله الباطل من خلفه ولا من بين يديه، إنه المحفوظ بعدل الله وقوته وحفظه، ولذلك لا شك فيما جاء به من آيات عظام حيث لكل آية إعجاز لا يقدر عليه بشر. ولهذا قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

---

375 الأعراف 199.

376 النحل 90.

كثيراً} 377. بطبيعة الحال لو كان من عند البشر لكان الاختلاف باختلاف اللغات والأديان والثقافات والأذواق والأعراف والعادات والقدرات والاستعدادات التي هي الأخرى تختلف من شخص لآخر، وكذلك باختلاف الاتجاهات والمصالح والأطماع والحاجات ودرجات إشباعها.

وقد عاد بلفظ الاستفهام على سبيل الإنكار، فقال: (أَمْ يَقُولُونَ افترأه) ثم إنّه تعالى ذكر حجة أخرى على إبطال هذا القول، فقال: {قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 378، وهذه الحجّة بالغنا في تقريرها في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 379. وهنا تظهر عدة أسئلة منها:

السؤال الأول: لم قال في سورة البقرة: (مِّنْ مِّثْلِهِ) وقال ههنا: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ).

والجواب: أنّ محمّداً عليه الصلّاة والسّلام كان رجلاً أمياً، لم يتلمذ على أحد ولم يطالع كتاباً فقال في سورة البقرة: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ)، يعني فليأت إنسان يساوي محمّداً صلّى الله عليه وسلّم في عدم التلمذ وعدم مطالعة الكتب وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوي هذه السورة، ولذا حيث ظهر العجز ظهر المعجز. فهذا لا يدل على أنّ السورة في نفسها معجزة إنّه أمر تسليم بالنسبة للمؤمن، ولكنه يدل على أن ظهور مثل هذه السورة من إنسان مثل محمّد صلّى الله عليه وسلّم في عدم التلمذ والتعلم معجز، ثم إنه تعالى بين في هذه السورة أن تلك السورة في نفسها معجزة، فإنّ الخلق وإن تتلمذوا وتعلموا وطالعوا وتفكروا، فإنه لا يمكنهم

---

377 النساء 82.

378 يونس 38.

379 البقرة 23.

الإتيان بمعارضة سورة واحدة من هذه السور، فلا جرم قال تعالى في هذه الآية: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ)، ولا شك أن هذا ترتيب عجيب في باب التحدي وإظهار المعجز.

السؤال الثاني: قوله: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ) هل يتناول جميع السور الصغار والكبار، أو يختص بالسور الكبار.

الجواب: هذه الآية في سورة يونس وهي مكية، فالمراد مثل هذه السورة، لأنها أقرب ما يمكن أن يشار إليه<sup>380</sup>.

ونقول نحن الآن في القرن الواحد والعشرين: هل يستطيع أي إنسان على وجه البسيطة أن يأتي بمنهج يحقق العدل وينصف الفقير من الغني والضعيف من القوي والمرأة من الرجل، أو أن يأتي لنا بمنهج يساوي مساواة حقيقية بين بني البشر فقد قال صلى الله عليه وسلم فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس كأسنان المشط"<sup>381</sup>. وقال الله تعالى في سورة النحل في الآيات السابقة الذكر: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، فجمع الله في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضا ونفلا، وما يتصل بالأخلاق والآداب عموما وخصوصا، وفي الآية مسائل:

- يقول تعالى: فألى ذلك الدين الذي شرع لكم، ووصى به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عباد الله، واستقم على العمل به، ولا تزغ عنه، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. (فَلِدَلِكْ فَاذْعُ): فألى هذا القرآن فادع واستقم.

<sup>380</sup> تفسير الرازي، ج 8، ص 283.

<sup>381</sup> مسند الشهاب القضاعي، ج 1، ص 310.



. وقوله: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) يقول تعالى: ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكوا في الحق الذي شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم، فتشك فيه، كالذي شكوا فيه.

يقول تعالى: وقل لهم يا محمد: صدقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب، توراة كان أو إنجيلا أو زبورا أو صحف إبراهيم، لا أكذب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب، وتصديقكم ببعضه.382.

. وقوله: {فَلِدَلِكْ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ أَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبَّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}383. جاء الأمر لسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه بأن يدعو بما أمر، بدعوته المستقيمة، وبالعدل لن يتبع أهواءهم، وطلب منه أن يعلمهم بما آمن به من عدل، وبما يدعو ولمن يدعو. يقول تعالى: وقل لهم يا محمد: وأمري ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعا بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه384.

وعليه فالعدل: هو المحقق للاتزان النفسي والوجداني والبدني وذلك بمراعاة ما يجب والأخذ به ومراعاة ما لا يجب والابتعاد عنه، وذلك لأن كل شيء يزيد عن حده ينقلب إلى ضده، وفي المجال النفسي تطمئن النفس برجوعها لله تعالى العادل المطلق مصداقا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتٍ}385، ورضا النفس لا يتحقق إلا بالعدل، ولذلك فمن يظلم

382 تفسير الرازي، ج 9، ص 451.

383 الشورى 15.

384 تفسير الطبري، ج 21، ص 516.

385 الفجر 27. 29.

العباد يشقى في الدارين، ومن يعدل بما يحق له الاتزان النفسي والبدني يتحقق له الرضا بعمله الصالح في الأرض ويفوز بالجنة، ولذا فإن العادل المطلق يخاطب النفس المطمئنة مباشرة بقوله {يا أيها النفس المطمئنة} ثم يأمرها بالرجوع إلى بارئها جلّ جلاله فتطيعه عدلا، وقوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} 386. تسوية النفس اعتدالها، وسوّاها عدلها، وبعدها لها اطمأنت، وبالاطمئنان ألهمها الله فجورها وتقواها، حتى أنها تبيّنت أمرها ورشدها بمعرفة ما يجب فتزكت وعرفت ما لا يجب فانتهدت عنه، وبهذا فهي النفس العادلة التي تحيد عن الشيء وتبتعد عنه اتباعا لأمر العادل المطلق وهداية بما جاء به عزّ وجلّ، لأجل أن تأخذ بما أمر جلّ جلاله.

فهذا هو العدل في أبهى صوره مع النفس والجسد والروح ومع الله ومع الغير ولهذا أمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأمر بمثل ذلك وأن يدعو إليه وأن يستقيم على ذلك المنهج يقول الله تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبَّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} 387.

وعودا على بدء:

قلنا أنّ كل نفس من آدم، وكل مخلوق بعد ذلك من الدين والتسؤال:

فما القول في خلق عيسى أهو من نفس واحدة (نفس مريم)؟

نقول: هو أيضا مخلوق من نفس مريم التي هي مخلوقة من والديها إلى نفس آدم.

فإن قيل: أليس في القرآن ما دل على أنه مخلوق من الكلمة أو من الروح المنفوخ فيها فكيف يصح ذلك؟

386 الشمس 10.7.

387 الشورى 15.

نقول: كلمة (من) تفيد ابتداء الغاية ولا خلاف أنّ ابتداء تكوّن عيسى  
صلّى الله عليه وسلّم كان من نفس مريم.

وفرق بين قوله تعالى: (أَنْشَأَكُمْ)، وبين قوله تعالى: (خَلَقَكُمْ)، لأنّ  
أنشأكم يفيد أنّه خلقكم لا ابتداء. ولكن على وجه النمو لا من اتصال  
الوالدين، كما يقال: في النبات إنه تعالى أنشأه بمعنى النمو والزيادة إلى  
وقت الانتهاء.

وتبرز هنا متغيرات لا بدّ من الوقوف أمامها ثم اجتيازها بأمان:  
لذا سنجيب عن التساؤل الثاني الذي ابتعدنا عنه وهو:

### زوج آدم:

هل زوجه مخلوق من ضلعه؟

عبر الموروث من كتب التفاسير قرأنا: أنّ زوج آدم المسماة في بعض  
الكتب (حواء) من ضلع آدم.

ونقول: هذا القول لم يقم عليه دليل لا في القرآن ولا في قول النبي صلّى  
الله عليه وسلّم، أمّا ما جاء في كتب الصحاح: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي  
جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي  
الضِّلْعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا  
بِالنِّسَاءِ خَيْرًا" 388.

وبناء على ما سبق نحن نقول:

- لا حواء اسم لزوج آدم.
- ولا ضلع آدم مخلوق منه حواء.
- وعليه نقول:

- إنّ آدم نفس واحدة.

---

388 صحيح البخاري، ج 16، ص 184.

- إنّ زوجه نفس واحدة.

مصدقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} 389.

- وبما أنّ حواء لم تخلق من ضلع آدم.

- فعيسى لم يخلق من ضلع مريم.

كما أنّ حواء خلقت من نفس آدم.

إذن، عيسى خلق من نفس مريم.

والنفس الواحدة خلقها الله بلا سابقة أبوة ولا أمومة ولا اتصال.

وعليه فلا محال أن يخلق من أي منهما بالكيفية التي يريدتها نفسا أخرى.

وهذا ما تجلت قدرته تعالى به في خلق عيسى، لأن مقومات الجسد في

التراب، ولكن مقومات النفس الواحدة فهي عند الله.

ومن الملاحظات الفارقة في خلق النفس:

أنّ الله قال في آيات (خلق) وفي آيات (أنشأ).

فالخلق يكون ابتداءً.

والإنشاء نمواً.

وعليه:

فخلق على الأصل لآدم وزوجه وعيسى، ولبنى آدم مجازاً.

والإنشاء لذرية آدم حقيقة، لأنّ الإنشاء يقتضي النمو والتحول من

مرحلة إلى مرحلة وهو (البث) عن طريق الاتصال، {يا أيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا

رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} 390.

فنفس آدم مخلوق أولاً خلقاً.

ونفس زوجه مخلوقاً ثانياً خلقاً.

---

389 الذاريات 49.

390 النساء 1.

ونفس عيسى مخلوق ثالثا خلقا.  
فعيسى مخلوق من نفس مريم لأنه لا عن اتصال، وأنشأه الله عن آدم  
وزوجه لأنه يرجع إليهما عن طريق مريم التي أنشأت عن طريق اتصال.  
إذن؛ فهي أنواع ثلاثة:

خلق.

إنشاء.

بث.

الخلق ابتداء.

الإنشاء اتصالا.

البث تكاثر باتصال.

سبق آدم جميع الخلق بالتسوية فهو أول مساو في جنسه، والتسوية كما  
أسلفنا كانت من مراحلها:

تسوية السماء.

تسوية الأرض.

تسوية آدم.

وهنا نتساءل: ألا يدفعنا ذلك للبحث عن المسوّي؟  
والمسوّي هو الخالق لا شكّ في ذلك، والقاعدة تقول: (وراء كل مخلوق  
خالق)

### الاستواء الكوني:

الاستواء: "هو تماثل أبعاد الشيء، اشتقاقه من الشيء أي مثله،  
ونقيضه التفاوت وهو أن يكون بعض الشيء طويلا وبعضه قصيرا وبعضه  
تاما وبعضه ناقصا.

والفرق بين الاستواء والانتصاب: أنَّ الاستواء يكون في الجهات كلها والانتصاب لا يكون إلا علواً<sup>391</sup>.  
السواء: اسم مصدر بمعنى الاستواء.  
للمفرد، والجمع، وللمذكر والمؤنث.  
- العدل.

- المثل، والنظير<sup>392</sup>.

واستوى الرجل، إذا انتهى شبابه قال: ولا يقال في شيءٍ من الأشياء استوى بنفسه حتى يُضمَّ إلى غيره فيقال استوى فلانٌ وفلانٌ إلا في معنى بلوغ الرجل النهايةً فيقال استوى<sup>393</sup>.

فمن الفقه واللغة تبين أنَّ كل ما في الكون فيه استواء لأنه من خلق الله القدير وآيات الله تثبت ذلك كما في قول الله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى} <sup>394</sup>.

والفعل (استوى)، ورد في القرآن على ثلاثة معاني:

1 - لا يتعدى بالحرف، فيكون معناه التمام، كما في قوله عن موسى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ} <sup>395</sup>، وهذا الاستواء كان لآدم منذ خلقه لأنه لم يمر بمراحل النشأة التي مرَّ بها سيدنا موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتصالاً وحملًا وولادة ورضاعة وطفولة وغير ذلك.

---

<sup>391</sup> الفروق اللغوية، ج 1، ص 51.

<sup>392</sup> القاموس الفقهي، ج 1، ص 188.

<sup>393</sup> لسان العرب، ج 14، ص 408.

<sup>394</sup> طه 56.

<sup>395</sup> القصص 14.

2 - ويكون بمعنى: علا وارتفع أي: (هيمن) لنفي الجسمية كما في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} 396، ونعتقد هنا أن الاستواء بأن يكون ما دون العرش في حالة استواء، ولا يكون المعنى الاستواء التجسيمي التجسيدي للخالق جلّ شأنه.

3- ويكون الفعل بمعنى "قصد، كما يوضح أنّ الخالق لما خلق الأرض وقصد إلى السماء أمر بالفعل كن، فكان استوى بمعنى قصد وقصد بمعنى أمر (بالفعل كن) قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} 397، فخلقها وأحكمها، وأتقنها، ثم قصد إلى السماء ليخلقها وذلك بنفي الحركة الجسمية وإثبات الأمر بالفعل كن.

والله أعلم بكيفية الخلق فهو القائل: (وهو بكل شيء عليم)، فهو سبحانه: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} 398، ويعلم السر وأخفى ويعلم ما بين السماء والأرض وما تحت الثرى.

ومن سيره آدم يستبين لنا أن كل أحداث حياته كانت على استواء لأنها كانت من مسوّ لمساوا.

وقد يتساءل متسائل:

متى كان الاستواء؟

عندما كانت رتقا؟

عندما فتقتا؟

---

396 الأعراف 54.

397 البقرة 29.

398 الحديد 4.

عندما كانت السماء دخان؟

عندما كانت السماء بغير عمد ترى؟

نقول:

الاستواء موجود في كل المراحل لأن الله هو الخالق البديع القدير مصداقا لقوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} 399،

فخلقه كله إبداع وإعجاز وتسوية.

يقول الحق جلّ وعلا: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 400.

لذا فلما خلق الله نفس آدم ابتداء سواه من دون تحول في المراحل التي مرت بها ذريته التي أنشأها منه بثنا عن طريق اتصال ويتجلى ذلك مع نبي الله موسى إذ يقول الله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ} 401.

فآدم قد سواه الله وآتاه العلم دونما أن يمر بمراحل الإنسان التي مرّ بها موسى، لذا يمكن أن نقول إنّ آدم كان من المحسنين في علم الله قبل أن يأتيه الله العلم لأن الله يقول: (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ).

ولآدم الميزة نفسها على يوسف مصداقا لقول الله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ} 402.

لذا فقد كان هبوط آدم استواء.

---

399 البقرة 117.

400 لقمان 11.

401 القصص 14.

402 يوسف 22.



## الهبوط من مراحل الاستواء:

انطلاقاً من قوله تعالى عن سيدنا نوح: {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} 403.  
أعقب الهبوط السلام مصداقاً لقوله تعالى: {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ  
مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ} 404.  
وعليه:

- فالهبوط استواء على الأرض لتسوية أمر الاستخلاف عليها.  
- الهبوط ليس مكانة بل عطاء مكانا ومكانة.  
- الهبوط سلام وبركات.  
إذا الهبوط مرحلة من مراحل الاستواء، وإذا تأملنا الفعل هبط نجد الآتي:  
- هبط يستلزم مكانا مستويا، فالطائرة لا تهبط إلا في مكان مستوي.  
- الهبوط يتبعه إقلاع ولذا نقول:  
- أقلعت الطائرة لأنها لن تطلع إلا بعد أن يتحقق لها الاستواء بعد  
الهبوط.

- أقلعت السفينة لأنه لن يتحقق منها رسو إلا بعد استواء.  
- الطائر بعدما يهبط لا بد له من إقلاع وارتفاع.  
- ولا يحدث إقلاع إلا بعد هبوط.

وعليه فدائرة الاستواء يعقبها هبوط ثم يعقبها عودة من حيث البدء  
مصداقاً لقوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا  
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ} 405.

ولنا رؤية في تحليل الآية مبنية على تساءل:

ألا توحى (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) إلى الإنسان آدم؟  
مع كونها توحى إلى الخلق بصفة عامة.

---

403 هود 45.

404 هود 48.

405 الأنبياء 104.

أول خلق في الملائكة.

أول خلق في الجن.

أول خلق في النبات.

أول خلق في الحيوان.

أول خلق في الأفكار.

أول خلق في المشاعر.

نعيده إلى حالته العدمية التي خلق منها لأنه لم يكن ليخلق إلا بأمر الخلق  
(كن)

فمن الاستواء العودة إلى حيث الاستواء الأول:

فقد يكون الاستواء بالإعادة إيجابياً.

وقد يكون الاستواء بالإعادة سلبياً.

والاستواء الكوني الأول كان على السواء مع إتاحة الفرص بالتكافؤ  
للمخلوقات ذات التكليف، وبالطاعة للمخلوقات المجبولة على الطاعة،  
ولما كان الاختيار بالموجب أو بالسالب للمخلوقات ذات التكليف  
كانت الإعادة من قبل الله بالموجب لكلا الصنفين.

وكانت نتيجة الإعادة بالموجب لمن كان موجبا، وبالسالب لمن كان  
سالبا.

وعليه:

فالاستواء الإيجابي يكون إلى الجنة مصداقا لقوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى  
مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} 406.

فهؤلاء الذين سارعوا للموجب كان ردهم إلى الموجب مصداقا لقوله  
تعالى: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ  
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} 407.

---

406 آل عمران 133.

407 آل عمران 174.

## الاستواء السلبي إلى النار:

وقد سبقت كلمة الله للمكلفين حتى تكون إعادتهم إلى الموجب ولكنهم لما آثروا السالب على الموجب ولم يتعظوا بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْعِزُّورُ } 408.

حتى أن هذا النداء لم يكن للناس كافة فقط ولكن كان لخصوص الناس ألا وهم المؤمنون فقد حذرهم الخالق بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } 409.

إذا فالاستواء الكوني كما بدأ موجبا سينتهي موجبا بوضع كل خلق في مكانه ومكانته بحسب ما قدّم من عمل في دائرة الاختيار الحر في الدنيا. والإعادة على الاستواء للبشر تدفعنا للإقرار بأن أول الخلق في جنس البشر الذين نعلمهم من الكتاب والسنة هو آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهنا نتساءل كيف تكون إعادته إلى الاستواء الأوّل؟

ألا يكون من معاني تلك الإعادة:

الإعادة على الاستواء الذي خلق عليه انطلاقا من أنه الخليفة الأوّل الذي اسجد الله له الملائكة.

الإعادة على الاستواء العلمي الذي أفحم الملائكة.

الإعادة على الاستواء المكاني في الجنة التي أسكن فيها.

وبذلك يتحقّق لنا ما قدمنا له من أسس فيكون:

المرحلة الأوّلى: الاستواء.

المرحلة الثانية: الهبوط.

---

408 لقمان 33.

409 التحريم 6.

المرحلة الأخيرة: الاستواء.

وقد تكون الإعادة إلى العدم الذي خلق الله منه أول الخلق في كل خلق، أمّا في حالة آدم هل سيعيده إلى تراب وهذا مناف لقوله تعالى: {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} 410، وآدم ليس بكافر.

لذا نقول:

هل آدم بالتحديد يتمنى أن يكون تراباً؟

هل الصالحون من أبناء آدم الذين استنوا على طريق الخلافة يتمنون أن يكونوا تراباً؟

وعليه فالاستواء لن يكون بالعودة إلا التراب كما رأى جل المفسرين، ولكن نعتقد أنه سيكون إلى المرتبة المثلى التي بدأ منها آدم وهي الاستواء في الخلق والعلم والفكر والتقدير.

ومن مبدأ الاستواء يتجلى لنا أنّ ما جاء من نظريات حول النشوء والارتقاء لا أساس لها من الصحة، ليس فقط من الجانب الديني بل أيضاً من الجانب العقلي العلمي.

لذا نتساءل:

هل من الممكن تحوّل قرد إلى إنسان؟

هكذا قالت النظرية التي قال بها دارون.

ونقول:

خذوا قرداً وضعوه في مختبراتكم ما شئتم من وقت لتحولوه إلى إنسان.

خذوا حوتاً وضعوه في مختبراتكم ليتحول زعنفة إلى أرجل.

خذوا ما شئتم من خلق الله لتحولوه إلى خلق آخر.

النتيجة واحدة.

الفشل.

لماذا؟

لأنكم لا تملكون القدرة على الخلق.

لأنكم لن تصوروا في أحسن صورة.

لأنكم لن تملكوا قدرة (سويته) ولا (في أحسن تقويم).

وبمثل ما ذهبتم إليه تكونوا (في أسفل سافلين).

لأن كل مخلوق في عالمه لديه استواء عام الخالق المسوي.

ألا ترون ما خلق الله في البحار لا يعيش في غيرها؟

لماذا؟

لأن الله استوى برحمانيته على البحار فجعل ما فيها وما عليها متكيف

معها بقوانينها التي سواها فيها.

وإلا فهاتوا إنسانا دونما أسطوانات الأوكسجين التي يحملها فوق ظهره

فيعيش فترة محدودة في البحر.

الإجابة:

الحسرة وعدم القدرة مصداقا لقوله تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ

الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ

يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ } 411.

فالملك ومن فيه خلق متناغما لأن الخالق سواه في دائرة المطلق:

موتا

حياة

ابتلاء

---

411 الملك 14.

حسابا

عقابا

مغفرة

ومن هذا الخلق:

سبع سماوات طباقا لا يخترقها البصر ولا البصيرة، وفيهن من خلق الله ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا الله.

ونقول: هل مخلوقات الله في السماء مخلوقات متحولة عن مخلوقات أخرى؟

وما المخلوق الأول؟

وإن كان هناك مخلوق أول أليس له خالق؟

خالق خلقه ابتداء وابتداعا؟

وإذا اتفقنا بالعقل أنّ هناك مخلوقا أول خلقه الخالق ابتداء وابتداعا، فهل يمكن أن تنتفي قدرة الخالق أن يخلق مخلوقات أخرى ابتداعا وابتداء. وإذا كانت الإجابة بالإيجاب.

نكون قد نقضنا نظرية النشوء والارتقاء في خلق السماء وما فيها.

وعليه نتساءل:

هل من إحصاء للمخلوقات الأرضية؟

حيوان.

نبات.

جمادات في الظاهر أحياء في الباطن.

بالقطع لا إحصاء لأنواع الحيوان، ولا النبات، أمّا عن الجماد في الظاهر الحي في الباطن مصداقا لقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ

وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ  
تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا {412}.

ونحن نقول:

طالما أنّ هناك شيء يرى بالعين المجردة (أو حتى لا يرى بالعين المجردة)  
ونحسب أنه جماد فمعنى هذا الحساب ضاربٌ في الخطأ، لأنّه طالما وجد  
فهو حي، كيف؟

نقول:

كل بناء في ظاهره جماد وهو غير ذلك، لأنه لولا الحياة في داخله ما  
تماسك قائما منتصبا، ونتساءل: ما الذي جمع بين عناصر البناء؟  
الأحجار والرمال والحديد والخشب ومواد الطلاء وغير ذلك؟  
وبهذا نؤكد أنّ الحياة التي هي من خواصهم وقد بثت فيهم وجمعتهم في  
صورة مستوية أو غير مستوية.

ولكن ما هي القوّة التي جمعت المتفرق من الجمادات الحية في جما حي  
واحد؟

بالتأكيد هي قدرة الخالق التي وضعها في خلق من خلقه جمع شتات  
الجمادات الحية، والتساؤل:

ما المخلوق الذي جمع شتات الجمادات الحية؟

نعود لقول الله تعالى لنقف على الحقيقة قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ  
الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} {413}.

الماء الذي أعد حياة للمختلفات فجمعها في بناء، هو أمّا الأعين جماد  
ولكنّه حي بدليل تماسكه.

وعليه فكل ما على الأرض من مشاهد ومحسوس وخفي في حالة حياة  
دونما ارتقاء وتحول كما قال دارون وغيره.

---

412 الإسراء 44.

413 الأنبياء 30.

لذا في قضية الحي والجامد قال الله تعالى: { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ حَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ } 414.

لذا كان الماء عنصر رئيس في حياة آدم، ولكن التسوية كانت ميزة ميزه الله بها، إذا كانت تسويته على جوانب متعددة فاقت الخلق فقط لأن كل خلق من خلق الله مستو بالطريقة التي أرادها الله له.

ومن الملاحظ أن الماء أساس في الخلق، والفرق في الاستواء مصداقا لقوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهًُا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } 415.

لذا فقد كان:

رتق السماوات والأرض استواء.

فتق السماوات والأرض استواء.

رفع السماء بغير عمد ترى استواء.

جعل الماء منه كل شيء حي في السماوات والأرض استواء.

خلق الأرض وفيها الماء استواء.

خلق الجبال لحفظ الأرض استواء.

خلق الفجاج في الأرض استواء.

خلق السماء سقفا محفوظا استواء.

الليل والنهار استواء.

الشمس والقمر استواء.

---

414 النمل 88.

415 الأنبياء 30-33.



كل في فلكه يسبح ويسبح استواء.  
والماء الداخل في حياة الأحياء سبب من أسباب الحياة وتكاثرها  
وتناسكها، وهو من قدرة القادر مصداقا لقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ  
مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} 416.

### الماء من أسس خلق آدم:

إذ لولا الماء ما صار التراب طينا وأصبح فيه حياة متماسكة.  
والماء داخل في تكاثر الجنس البشري اتصالا فلولا انتقال ماء الرجل  
وامتزاجه بما المرأة ما تخلق الجنين.  
وعلينا أن نعيد نتأمل الآية لأن بها من الأسرار ما لا يعلمها إلا الله ففي  
قوله تعالى: (خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا).

خلق

من

الماء

بشرا

فخلق لا تعني اشتق ولا حوّل، ولن أبداع أولا لأنه الأول الذي كل خلق  
الخلق أولا لا تطورا من خلق آخر.

من (ومن تدل على التبويض) أي ليس من كل أنواع الماء، أو ليس من  
كل مكونات الماء

- فماء الرجل تسقى به المرأة فيكون الولد.

- وماء السماء تسقى به الأرض فيكون النبات

- وماء البحر المالح يتكاثر فيه كائنات لا يصلح تكاثرها إلا في ذلك  
النوع من الماء.

- وماء الأنهار لا يصلح إلا لكائنات لا تعيش إلا فيه.

---

416 الفرقان 54.

وكل ماء يختلف عن الآخر.

(وخلق من الماء بشرا)، فكل البشر بما فيهم آدم يدخلون في هذه الآية ولكن بصور مختلفة:

- فماء آدم يختلف لأنه امتزج بالتراب فصار طينا، وهذه لم تكن إلا لآدم.

- ومن ماء آدم المتصل بماء حواء كانت الذرية التي جعل الله منها نسبا وصهرا.

وكلمتا (نسبا وصهرا) فيها الآتي:

ليس كل البشر بينهم نسبا وصهرا

فنسب آدم:

ينتسب إليه.

ولا ينتسب إلى أحد.

وصهرا فلا مصاهرة لآدم بزواجه من زوجته.

ويدخل في هذه الميزة عيسى ابن مريم.

فعيسى ليس من ماء رجل وامرأة بل من ماء مريم فقط لا عن اتصال ولا عن شهوة جنس لأن الله اصطفاه وطهرها على نساء العالمين مصداقا لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} 417.

-اصطفاها لأن تكون أم عيسى الذي ليس من ماء ذكر.

- ليس من ماء شهوة كأنتى لأنه سبحانه وتعالى طهرها عن ذلك.

- اصطفاها أن ينسب إليها دون نساء العالمين لأن كل ينسب يكون

لذكر إلا مريم فهي الوحيدة التي ينسب إليها.

- وهنا تماثل مريم مع آدم في:

---

417 آل عمران 42.

- أُمَّا يَنْسَبُ عَيْسَى إِلَيْهَا كَأَدَمَ.

- هي أصل لن يأتي بعدها مثيل لها فهي النفس التي اشتقت منها نفس عيسى وذريته مصداقا لقوله تعالى: {وَأِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} 418.

والتساؤل: هل توجد أنثى ينتسب إليها غير مريم؟

الجواب في قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} 419.

فالذرية تنسب إلى:

آدم

نوح

إبراهيم

إسرائيل

ممن هدينا

اجتبتنا

فكلهم رجال.

ولكن نعتقد أنّ مريم تدخل في قوله تعالى (ممن هدينا واجتبتنا).

فهي الوحيدة التي لم يختلط لها ماء مع ماء رجل ليخرج منه نسب وصهر إلى رجل وجميع ما سبق في دائرة الاستواء الكوني للخالق المطلق الذي ما يشاء كيفما يشاء وفقا قاعدة: (إذا قال للشيء كن فيكون).

---

418 آل عمران 36.

419 مريم 58.

## روح آدم:

روح آدم المنفوخة فيه من القضايا التي سكت عنها البعض وتكلم آخرون، مع التأكيد أنّ هذه الرّوح بداية ليست لآدم مصداقا لقوله تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 420.

لم يقل الخالق جلّ وعلا ونفخت فيه روحه، إنّما قال: (من روحي)، هذه واحدة، والثانية فالتسوية ذات صلة وطيدة بالنفخ لأنّ المرحلتين تكادان تكونان واحدة (سوّيته ونفخت) وكأنّ إن لم يكن حقيقة أنّ التسوية والنفخ مقترنان لأنهما من تمام الخلق، وهذا القول قبل التسوية وقبل النفخ من الروح وهذا يدل على أن الحوار ليس مع آدم لأنه لم يخلق بعد بل كان مع الذين خلقوا من قبل كما علمنا من القرآن الكريم مع الجن والملائكة وهذا يدل على أن تخليق البشر لا يتم إلا بأمرين: أولاً: التسوية.

ثانياً: نفخ الروح.

وهذا حقّ لأنّ الإنسان مركب من جسد ونفس وروح.

وقوله تعالى: (ونفخت فيه من روحي) يدفع إلى تساؤلات منها:

ما الروح المنفوخة؟

وما نفخت؟

ولماذا استخدم اللفظ نفخ؟

وما دلالة كلمة نفخ؟

وما دلالتها في صيغة الماضي؟

ألا يعني في صيغة الماضي الدليل على حدوث الفعل في المستقبل وهذا من قدرة الخالق جلّ في علاه، ودلالة على حصول ما لم يحصل بعد،

وهنا أنزل الله الفعل الماضي بدل المضارع لأنه في زمن الله كل الزمان سواء  
لأنه سبحانه خالق الزمن.

ثم نتساءل عن نفخت:

وماذا يشير اقتراحها بتاء الفاعل؟

أهي تعني امتلاء شيء قابل للامتلاء؟

أهي تعني استعداد لقبول النفخ؟

ألا تعني الإعداد (التسوية) من البدء لقبول النفخ؟

وعلى ماذا يدل (من روحي) وليس (روحي)؟

هل النفخ خروج ودخول؟

وما المنفوخ؟

وما طبيعته؟

هل النفخ حلول الروح واتحادها؟

هل الروح جزء في جزء؟

هل الروح مخلوق من الله ليكون الإنسان حيًا بها؟

أهي خلق مثل آدم؟

أم ماذا تكون؟

بالطبع قد تكون واحدة من السوابق وقد تكون غير ذلك.

وستتناول كل تساؤل في حينه ولكن علينا أن نزنو بدقة وتبصر في معنى

(نفخت).

وفي معنى الروح لغة.

مع التأكيد بأن علماء اللغة تناولوا معاني الكلمات بالمستوى الإنساني،

قياسا ووصفا على البشر، وسياق الكلمة في الآية سياق إلهي، ولا يمكن

بأية حال من الأحوال أن نسوي بين البشري والإلهي، لذا فعلينا أن

نستشرف اللغة لنستبين ما قيل فيها.

ونؤكد أن النفخ الإلهي لا علاقة له بالفم مطلقاً، لكنه تتعلق بأمر الكينونة، ولا يمكن تجسيد الأمر الإلهي، لذا فعلماء اللغة ربطوا بين النفخ وبين الفم والشففتين وهذا نحن نرفضه.

ونؤكد أنّ النفخ من الروح ليس فيه أداة وليس له وسيلة بل فيه غاية وهي جعل آدم في مرحلة جديدة ليكون خليفة في الأرض.  
النفخ لغة:

النفخ: بفتح فسكون مصدر نفخ، (إخراج الهواء من الفم بقوة).  
النفخ في الصلاة: إخراج الهواء من الفم مع صوت شبيه بالنطق.  
بحرني أف، أف... النَّفْخُ في الصور: من مشاهد الآخرة {وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ} 421، وستكون ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفرع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة البعث 422.  
(نفخ) النَّفْخُ معروف نَفَخَ فيه فانتَفَخَ.

نَفَخَ بفمه يَنْفُخُ نَفْخًا إذا أخرج منه الريح يكون ذلك في الاستراحة والمعالجة ونحوهما وفي الخبر فإذا هو مُعْتَاطٌ يَنْفُخُ، ونَفَخَ النَّارَ وغيرها يَنْفُخُهَا نَفْخًا ونَفِخًا" 423، وفي التنزيل: {فَإِذَا نُفِّخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ} 424.

أما الرُّوحُ بشكل عام فهي:

مجهولة من حيث كونها.

مجهولة من حيث خلقها.

مجهولة من حيث نفخها.

معلومة من حيث وجودها.

---

421 ق 20

422 معجم لغة الفقهاء، ج 1، ص 484.

423 لسان العرب، ج 3، ص 62..

424 الحاقة 13.

معلومة من حيث أنواعها.

معلومة من حيث ثبوتها في القرآن والسنة الصحيحة.

أما من حيث اللغة فقد قيل عنها: "الرُّوحُ بِالضَّمِّ "النَّفْسُ". قال أبو بكر بن الأنباري: الرُّوحُ والنَّفْسُ واحدٌ غير أن الرُّوحَ مذكَرُ والنَّفْسَ مُؤنَّثَةٌ عند العرب<sup>425</sup>.

وفي التنزيل: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} 426. وتأويل الرُّوح أنه ما به حياة الأَنْفُسِ، والأكثر على عدم التعرُّض لها لأنها معروفة ضرورةً. ومنع أكثر الأصوليين الخوض فيها لأن الله أمسك عنها فتمسك<sup>427</sup>.

والرُّوحُ الرَّحمة، وفي الحديث عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (الريحُ من رَوْحِ اللهِ تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسُبُّوها واسألوا من خيرها واستعينوا بالله من شرِّها). وقوله من روح الله أي من رحمة الله وهي رحمة لقوم وإن كان فيها عذاب لآخرين، وفي التنزيل (ولا تَيَاسُوا من رَوْحِ اللهِ) أي من رحمة الله والجمع أرواحٌ.

قال الزجاج جاء في التفسير:

أنَّ الرُّوحَ الوَحْيُ.

أو أَمْرُ النُّبُوَّةِ.

ويُسَمَّى القرآنُ روحاً.

الرُّوحُ الفَرْحُ.

والرُّوحُ الأَمْرُ.

والرُّوحُ النَّفْسُ.

---

<sup>425</sup> تاج العروس، ج 1، ص 1596.

<sup>426</sup> الإسراء 85.

<sup>427</sup> تاج العروس، ج 1، ص 1596.

وقوله عز وجل: {رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} 428.

أمّا ما إلى ما قيل عن الروح في قوله تعالى: (من أمر ربّي):  
- {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} 429، في الآية مسائل، المسألة الأولى:

للمفسرين في الروح المذكورة في هذه الآية أقوال أظهرها:  
أنّ المراد منه الروح الذي هو سبب الحياة<sup>430</sup>، والرازي يتفق مع رأي من  
أراء علماء اللغة في قوله ذلك ومع ما قيل تفسيراً.  
أمّا عن سبب نزول الآية ففيه نظر لأن الغالب في أذهان الناس أنّ الروح  
علم مبهم حتى على النبي صلّى الله عليه وسلّم.  
وهنا نقول:

إنّ الإجابة (الروح من أمر ربّي) إجابة شافية مجملة في آية الكهف  
مفصلة في آيات آخر من مثل الحديث في القرآن عن:

الروح في ليلة القدر.

والروح التي من أمر الله التي تنزل بأمره على من يشاء.

وعن روح آدم.

وروح عيسى.

وروح الله.

والروح المنفوخة من الله.

والروح المنفوخة من عيسى.

والروح المنفوخة في طير إبراهيم.

وروح ناقة صالح.

---

<sup>428</sup> غافر 15.

<sup>429</sup> الكهف 85.

<sup>430</sup> تفسير الرازي، ج 10، ص 115.



وروح عصى موسى.

وغير ذلك لذا كانت الإجابة الشافية في كل تلك الأرواح (من أمر ربّي) كما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمه الله ما لم يكن يعلم لقوله تعالى:

{الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ} 431 علم من؟

علم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما أن القرآن الكريم فيه علم الأولين والآخرين فكيف لا يعلمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو المنزل عليه.

وهم قد سألوا عن الكليات وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجاب عن الكليات لا عن الجزئيات المتنوعة.

ولذا:

نوافق الرازي في تناوله لسبب نزول الآية والرد على من أشاع لغطا في عقول النَّاس، حيث يقول: "روى أن اليهود قالوا لقريش اسألوا محمّدا عن ثلاث فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي: اسأله عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فسألوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الثلاثة فقال عليه الصلّاة والسّلام: غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فانقطع عنه الوحي أربعين يوما ثم نزل الوحي بعده: {وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِيَّيَّ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} 432، ثم فسر لهم قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وأبهم قصة الروح ونزل فيه قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} 433 وبين أنّ عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح فقال: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ومن النَّاس من طعن في هذه الرواية من وجوه.

---

431 الرَّحْمَنُ 12.

432 الكهف 23-24.

433 الإسراء 85.

أولها: أنّ الروح ليس أعظم شأنًا ولا أعلى مكانًا من الله تعالى فإذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فأى مانع يمنع من معرفة الروح. وثانيها: أنّ اليهود قالوا: إن أجاب عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين ولم يجب عن الروح فهو نبي وهذا كلام بعيد عن العقل لأنّ قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين ليست إلا حكاية من الحكايات وذكر الحكاية يمتنع أن يكون دليلًا على النبوة وأيضا فالحكاية التي يذكرها إما أن تعتبر قبل العلم بنبوته أو بعد العلم بنبوته فإن كان قبل العلم بنبوته كذبوه فيها وإن كان بعد العلم بنبوته فحينئذ صارت نبوته معلومة قبل ذلك فلا فائدة في ذكر هذه الحكاية.

وأما عدم الجواب عن حقيقة الروح فهذا يبعد جعله دليلًا على صحة النبوة.

وثالثها:

أنّ مسألة الروح يعرفها أصاغر الفلاسفة وأراذل المتكلمين فلو قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم إنّي لا أعرفها لأورث ذلك ما يوجب التحقير والتنفير فإنّ الجهل بمثل هذه المسألة يفيد تحقير أيّ إنسان كان فكيف الرسول الذي هو أعلم العلماء وأفضل الفضلاء.

ورابعها: أنه تعالى قال في حقّه: {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ} 434، {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} 435 وقال: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} 436، وقال في صفة القرآن: {وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} 437.

---

434 الرَّحْمَنُ 1، 2.

435 النساء 113.

436 طه 114.

437 الأنعام 59.

وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة، وقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ  
الروح) ليس فيه ما يدل على أنهم عن هذه المسائل سألوا أو عن غيرها  
إلا أنه تعالى ذكر له في الجواب عن هذا السؤال قوله: (قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ  
رَبِّي) وهذا الجواب لا يليق إلا بمسألتين من المسائل التي ذكرناها إحداهما  
السؤال عن ماهية الروح والثانية عن قدمها وحدوثها438.

ونحن نقول أنّ الروح من أمر الله.

وهنا نتساءل:

هل الروح المنفوخة في آدم:

هل هي روح آدم؟

أم إنّها روح الله لقوله (من روحي)

وإن قلنا من الله نتساءل:

أهي (خلق أم بالفعل كن)؟

أم الاثنان معا؟

إنّ خلق الله بالفعل كن، وآدم به أمر من أمر الله.

فما هذا الأمر؟

أهو خلق في خلق؟

أو أمر في خلق؟

أم ماذا؟

نحن نرى:

أنّ روح آدم مُخَدَّثَةٌ لأنّ آدم وهو أمر الله من الله مُخَدَّثٌ.

وعليه فالروح التي فيه مُخَدَّثَةٌ من الخالق الأزلي.

وبهذا ينتفي القول بالحلول والاتحاد لأنه ينتفي حلول الأزلي المُخَدَّثُ في

المخلوق المُخَدَّثُ.

---

<sup>438</sup> تفسير الرازي، ج 10، ص 116.

وهذا عن روح آدم فهي تختلف عن بقية أنواع الروح المذكورة في القرآن الكريم.

فروح تختلف تميزا لقوله تعالى: (ونفخت فيه).

وتناولنا معني نفخت لغة، وقلنا إن المعاني اللغوية جميعها تخص المخلوق وليس الخالق وفيها من التجسيد ما يتنافى مع كمال الله وجلاله.

لذا ف(نفخت فيه) شيء مادي عن أمر إلهي جاء بالكلمة التي يعرفها العرب لتقريب الصورة للمخاطب وجلاء المعنى للمتلقي.

ولا خروج نفس ولا ریح ولا قوة من قوة، ولا حلول ولا اتحاد ولا فم ولا شفتين. ورح الله المضافة إلى الله (روحي) تشريفا لآدم (كبيت الله، وناقاة الله، وكل ما هو مضاف لله ينال تشريفا بالقدر الذي أراده الله) وليست (من) تبعية ولكنها عن قدرة الله لا من التجزيئية، فهي بالأمر كن فكانت.

هذا عن روح آدم.

أما عن بقية الروح من مثل قوله تعالى: {يوسف يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} 439، {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 440، {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ} 441.

وغير ذلك فنحن لم نصل فيه إلا إلى القليل مصداقا لقوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا

---

439 يوسف 87.

440 النحل 102.

441 الواقعة 88-89.

قَلِيلًا} 442، فالروح بأنواعها من خلق الله لا يعلمه بالكمال والتمام إلا الله.

### تسمية آدم:

لقد سمى الله المخلوق بشرا من الطين آدم دون أن نعرف بأيّ لغة وعليه نحن نعتمد الاسم كما ورد في القرآن، وكل لغات العالم تتفق حول اسم (آدم) بنفس الاسم، وعليه نؤكد أنّ آدم قد سمّاه الله بلغة السماء وليس بلغة من لغات الأرض وهذا يخالف علماء اللغة والتفسير. ولغة السماء التي يفهما الأنبياء والصالحون من دون حروف وهجاء، كالتى بين أيدينا (ولكنها لغة كلام وسمع) ولا من صياح أو همس. وعليه نتساءل:

هل تكلم الله مع ملائكته بصوت وحروف كالتى أنزلت إلى الأرض؟

هل تتساوي لغة الخالق والمخلوق؟

وبأيّ لغة تكلمت النملة مع سليمان؟

وبأيّ لغة ردّ عليها؟ وبأيّ لغة تكلم الهدهد؟

وبأيّ لغة رد عليه سليمان؟

بأيّة حروف؟

بأيّة مفردات؟

بأيّ لغة يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته؟

وبأيّ لغة تسبح الكائنات؟

الموجودات؟

المعدومات؟

الأجنة في البطون؟

النسمات في الظهور؟

---

442 الكهف 85.

الطيور في أوكارها مع صغارها؟

الوحوش في البرية مع أشبالها؟

وفي بلاد العرب، الصين، الهند، الفرس وباقي الأمم:

هل تسبح الله بلسان الأرض التي تعيش عليها؟

أم هي تسبح بلغة واحدة تتفق ولا تختلف؟

ألا تكون هذه اللغة التي توحدت في التوجه لثلاثة مخلوقات (آدم - الجن

الملائكة)، هي اللغة التي يمكن أن نسميها لغة السماء؟

إذن:

فهناك لغة لم تفك رموزها بعد هي لغة السماء.

وبهذا الخصوص نؤكد: إن الله من صفاته الكلام وقد كلم الله موسى

تكليما مصداقا لقول تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} 443، وهو سميع

لدعاء عباده بكل لغاتهم نجوى وهمسا وصياحا مصداقا لقوله تعالى:

{وَأِنْ يَّجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} 444.

تفسير الاسم (آدم) عند علماء اللغة:

علماء المعاجم فسروا الاسم تفسيراً لغوياً لا نميل له وسنذكره من باب

الاستئناس لا من باب التعويل عليه في شيء: " (آدم) الأذمة القاربة.

والوسيلة إلى الشيء، يقال: "فلان أذمتي إليك أي وسيلتي، ويقال:

"بينهما أذمة ومُلحة أي حُلطة"، وقيل: الأذمة "الموافقة"، واختلف في

اشتقاق اسم آدم فقال بعضهم سُمِّيَ آدم:

- لأنه حُلِقَ من أذمة الأرض.

- وقال بعضهم لأذمة جعلها الله تعالى فيه.

---

443 النساء 146.

444 طه 7.

وقال الزجاج: يقول أهل اللغة: في آدم: إنَّ اشتقاقه من أديم الأرض لأنَّه خلق من تراب، ويقولون أيضا إنَّ اشتقاق آدم لأنَّه حُلِقَ من تُراب وكذلك الأُدْمَةُ إِنَّمَا هي مُشَبَّهَةٌ بِلَوْنِ التُّراب"445.

ونحن نقول: إنَّ آدم أبونا أبو البشر.

أما عن معنى آدم في كتب التفسير، فيقول بعضها: "آدم صَلَّى الله عليه وسلَّم كُنِيته أبو البَشَر، وقيل: أبو محمَّد ذكره السُّهيلي، وقيل: كُنِيته في الأرض أبو البشر، وكُنِيته في الجنَّة أبو محمَّد.

وأصله بهمزتين، لأنَّه (أفعل) إلا أنَّهم لَيُنَوُّوا الثانية، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها (واوا) فقلت: (أوادم) في الجمع؛ لأنَّه ليس لها أصل في الياء معروف، فجعلت الغالب عليها الواو، عن (الأخفش).

وفي آدم ستة أقوال: أرجحها أنَّه اسم أعجمي لا اشتقاق فيه، ووزنه (فَاعِلٌ) كَنَظَائِرِهِ نحو: (آزر) و(شالخ)، وإنَّما مُنِعَ من الصَّرْفِ للعلمية والعُجْمَةِ الشخصية.

والثاني: أنَّه مشتقٌّ من (الأُدْمَةِ)، وهي حُمْرَةٌ تميل إلى السَّوَاد، واختلفوا في الأُدْمَةِ، فزعم (الضَّحَّاك) أنَّها السُّمْرَة، وزعم (النَّضْر) أنَّها البياض، وأنَّ آدم صَلَّى الله عليه وسلَّم كان أبيض، مأخوذ من قولهم: ناقة أَدْمَاء، إذا كانت بيضاء، وعلى هذا الاشتقاق جمعه (أَدْمٌ) و(أَوَادِمٌ).

الثالث: أنَّه مشتقٌّ من أديم الأرض، وهو وجهها. ومنع من الصَّرْفِ على هَذَيْنِ القولين للوزن والعلميَّة.

الرابع: أنَّه مشتقٌّ من أديم أيضا على هذا الوزن أعني وزن فاعل، وهذا خطأ، لأنَّه كان ينبغي أن ينصرف، لأنَّ كونه مشتقٌّ من الأُدْمَةِ، وهو أديم الأرض جمعه (آدميون) فيلزم قائلو هذه المقالة صرفه.

الخامس: أنَّه عِبْرِيٌّ من الإِدام، وهو التراب.

---

<sup>445</sup> لسان العرب، ج 12، ص 8.

السادس: قال الطبري: "إنه في الأصل فعل رباعي مثل: (أكرم)، وسمي به لغرض إظهار الشيء حتى تعرف جهته" 446.

### السجود لآدم:

أمر الله تعالى الأنواع بالسجود لآدم فكانوا طائعين إلا إبليس لم يسجد. وهنا تبرز عدة أمور منها:

معنى السجود ودلالته.

معنى السجود:

سجد: "خضع وضع جبهته على الأرض، طأطأ رأسه، وانحنى" 447، وفي الكتاب الكريم: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ} 448.

دلالة السجود:

أجمع المسلمون على أنّ ذلك السجود ليس سُجُودَ عِبَادَةٍ، ثم اختلفوا على ثلاثة أقوال:

الأول: أنّ ذلك السجود كان لله تعالى وآدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كَالْقِبْلَةِ، وطعنوا في هذا القول من وجهين:

الأول: أنه لا يقال: صَلَّيتَ لِلْقِبْلَةِ، بل يقال: صَلَّيتَ إِلَى الْقِبْلَةِ، فلو كان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبلة لقليل: اسْجُدُوا إِلَى آدَم.

الثاني: أن (إبليس) قال: {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتِ عَلَيَّ} 449، أي: أنّ كونه مسجودا يدلّ على أنّ أعظم حالا من الساجد، ولو كان قِبْلَةً لما حصلت هذه الدرجة بدليل أنّ محمّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلي إلى الكعبة، ولم تكن الكعبة أفضل من محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

446 تفسير اللباب لابن عادل، ج 1، ص 210.

447 القاموس الفقهي، ج 1، ص 166.

448 الرعد 15.

449 الإسراء 62.



والجواب عن الأوّل: أنّه كما يجوز أن يقال: صَلَّيْتُ إِلَى الْقِبْلَةِ، جاز أن يقال: صَلَّيْتُ لِلْقِبْلَةِ؛ قال تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ} 450، والصَّلَاةُ لِلَّهِ لَا لِلذُّكُورِ" 451.

والقول الثاني: أن السجدة كان لآدم تعظيماً له وتحيّةً له كالسَّلَامِ مهم عليه، وقد كانت الأمم السَّالفة تفعل ذلك 452. ونقول:

ألا تكون من دلالات السجود:

اسجدوا لخلق آدم، فيكون السجود لأمر الله.

لتمييز آدم في خلقه عن الإنس والجن.

السجود تمييز عنهم لأن الملائكة والجن منفردين العنصر الخلقى نور ونار، وآدم متعدد العناصر.

وعليه فالسجود للأمر الإلهي، ولذا؛ فقد كان لا بدّ منه.

ومن قال: إنّ آدم قبله؛ فأدم لم يكن قبله، لأنّ السجود كان للأمر الإلهي، وسجود الأمر الإلهي ليس فيه قبله، ولا سيما الملائكة التي تعلم أنّ الله محيط، وهي تسجد متى وأينما أمرت.

أمّا عن تحديد قبله للصلاة (الكعبة)، مثلاً فذلك لتأكيد امتثال الأمر الإلهي الواحد الذي أمر باتخاذ هذه القبلة في أيّ مكان وجدت.

والسجود اعتراف من الملائكة بأن الله اصطفى آدم وميّزه عليهم وتخصيصاً في (إيّ جاعل في الأرض خليفة)، في الاستخلاف على الأرض.

---

450 الإسراء 78.

451 تفسير اللباب لابن عادل، ج 1، ص 220.

452 تفسير اللباب لابن عادل، ج 1، ص 221.

وكان أمر السجود بالحوار والاختيار مع الجن المكلفين وبالأمر مع الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لذا كان له اعتبارات.

اعتبارات حوار السجود والاستخلاف:  
استخلاف.

طاعة.

كفر من إبليس.

عداء لآدم وذريته.

طرد لإبليس من الحضرة الخطابية ثم من الجنة.

دخول آدم الجنة.

غواية آدم من إبليس.

خروج آدم من الجنة.

ندم آدم واستغفاره.

توبة الله عليه.

هبوط آدم إلى الأرض لتحقيق الاستخلاف.

اعتبارات خطاب السجود والاستخلاف:

من خلال التأمل في مشهد خطاب السجود والاستخلاف بين المخلوقات ذات الصلة الوثيقة بماضي الإنسان في الجنة وحاضره في الأرض ومستقبله بالعودة إلى الجنة منشأه أو إلى النار استنادا إلى نتيجة استخلافه في الأرض.

فقد انقسمت مخلوقات حضرة الخطاب الإلهي بين طائع مستفسر (الملائكة)، وعاص مجادل (إبليس) وخليفة لا يتكلم إلا بإذن ربه (آدم)، وبناءً على ذلك المشهد الخطابي تغيرت اعتبارات المخلوقات الثلاثة من

قبل الخطاب وأثناء الخطاب وما بعد الخطاب بحيث رسم مستقبل كل مخلوق من المخلوقات بعد خطاب وتكليف الاستخلاف:  
اعتبار الاستخلاف في الخطاب الإلهي إجمالاً:  
التساوي التام.

### ما أفضى إليه الخطاب الإلهي:

عدم المساواة تأسيساً على موقف كل مخلوق في المخاطبة الإلهية فكان:  
استفسار وتسليم وسجود.

ب- خلاف وكفر وامتناع وطرده لرفض السجود للأمر الإلهي.

ج- صمت وطاعة وتكريم.

3 - متربّات ما بعد خطاب الاستخلاف وتمثّل في:

- اعتبار تفضيلي لآدم.

- هبوط منزلة إبليس وطرده من حضرة الخطاب الإلهي.

4 - اعتبار التساوي من جديد بين آدم وإبليس وذلك بعد:

أ- وسوسة إبليس لآدم وزوجه.

ب- وقوع آدم وزوجه في المعصية.

ج- التساوي في هبوط آدم وزوجه وإبليس من الجنّة إلى الأرض.

وهنا تأتي مرحلة ما بعد الهبوط ويترتب عليها:

أ- هبوط واختبار.

ب- صراع وإصرار.

5- وهذا يترتب عليه اعتبار أخير (في الآخرة) تفاضلي ليس فيه مساواة

بل فيه.

أ- المرد للقرار (جنة أو نار)

ب- ضربّ الحجاب.

ج- تكريم وتنعيم.

د- عذاب وجحيم.

ولتفصيل ما أجمل نعود إلى القرآن الكريم ونقرأ مشاهد حضرة الخطاب الاستخلافي وما فيه من اعتبارات سبق الإشارة إليها:

1- اعتبار التساوي التام:

- قبل خطاب الاستخلاف كانت المخلوقات الثلاثة في تساو تام لأنّ الله خلقهم جميعا ولا نعلم بالقطع أي منهم خلق قبل الآخر ولكن من خلال السياق القرآني يتبين أنّ الجن الذين يمثلهم إبليس والملائكة الذين شهدوا خطاب الاستخلاف كانوا أسبق في الخلق من آدم، مع التأكيد أنّ هذا ترتيب سبق لا رتبة، ونقول سبق لأنّنا لا ندري هل الزمن قد خلق في ذلك المشهد أم لم يخلق؟ ولذا، قلنا سبق وليس زمن، وعليه ففي هذه المرحلة كان السائد اعتبار المساواة.

- ومن بين شواهد التساوي أنّ الله سبحانه وتعالى أعطى لكل مخلوق منهم تكليفا فقد كانت الملائكة ومعهم إبليس في حضرة التسبيح بحمد الله والتقديس له، والطاعة التامة.

ولتأكيد التساوي بين المخلوقات الثلاثة أعطى الله لآدم تكليفا يتناسب مع ما خلق عليه ومنه وله، وهذا التكليف يتباين بالطبع لتكليف الملائكة وإبليس وذلك لأسباب:

- مكان التكليف:

فتكليف آدم في الأرض، وتكليف الملائكة وإبليس (قبل الطرد) في السّماء

- زمان التكليف:

زمن التكليف لآدم (مدة حياة آدم ثم مدة حياة كل فرد من ذريته) وهذه المدة بالتأكيد محددة بعمر كل إنسان، وعليه نقول: إنّ كل إنسان بمفرده يمثل آدم في الأرض، وإن اختلف الاسم والعمر والزمن الذي ظهر فيه

لأنه قد كلف بما كلف به أبوه آدم من قبل على الأرض وليس في السماء.

أما الملائكة فلم يتغير تكليفهم من حيث الزمان (فزمنهم ممتد) فهم لا يموتون إلا في يوم الهلاك العام مصداقا لقوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 453، وكذلك طبيعة التكليف لم تتبدل فهم يسبحون بحمد الله ويقدمون له.

- طبيعة التكليف:

فالتكليف لآدم تمثل في عبادة الله وحده اختيارا وتعميرا للأرض وإحفاقا للحق إزهاقا للباطل، وللملائكة عبادة الله جبلا على الطاعة دون اختيار، أما إبليس فقد تبدل تكليفه بعد كفره وطرده من حضرة الملائكة المسيحين المقدسين، وألزم نفسه تكليفا من عند نفسه لا من عند الله مصداقا لقوله تعالى: {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} 454.

- ومن نتائج تبديل التكليف:

-الامتداد الزمني لإبليس لأنه أصبح من المنظرين، {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} 455. أمهلي إلى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة، {قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ} 456، إلى النفخة الأولى" 457. ويدل على أنه طلب الإنظار من الله تعالى إلى وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم

---

453 القصص 88.

454 الأعراف 14-16.

455 الأعراف 14.

456 الأعراف 15.

457 تفسير النسفي، ج 1، ص 362.

النَّاسَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَقْصُودُهُ أَنَّهُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ فَلَمْ يُعْطِهِ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ بَلْ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. ثُمَّ ههنا قولان:

الأوّل: أَنَّهُ تَعَالَى أَنْظَرَهُ إِلَى النَّفْخَةِ الْأُولَى لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: {إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} 458، والمراد منه اليوم الذي يموت فيه الأحياء كلهم، وقال آخرون: لم يوقت الله له أجلا بل قال: {إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ}، وقوله في الأخرى: (إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) المراد منه. الوقت المعلوم في علم الله تعالى. والدليل على صحة هذا القول أنّ إبليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز أن يعلم أنّ الله تعالى أخر أجله إلى الوقت الذي يعلمه إبليس، لأنّ ذلك المكلف يعلم أنّه متى تاب قبلت توبته فإذا علم أنّ وقت موته هو الوقت المحدد أقدم على المعصية بقلب فارغ، فإذا قرب وقت أجله تاب عن تلك المعاصي فثبت أنّ تعريف وقت الموت بعينه يجري مجرى الإغراء بالقبيح، وذلك غير جائز على الله تعالى" 459.

وعليه فقد أصبح تكليف إبليس ذاتي وليس إلهي فكان جزاؤه الطرد من:

- التكليف الإلهي، وأصبح تكليفه ذاتيا.

- الطرد من حضرة الخطاب الإلهي.

- الطرد من الجنة التي قام بإغواء آدم فيها، مصداقا لقوله تعالى: {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} 460، ثم يأتي:

- نتيجة التكليف الإلهي والذاتي (العودة للجنة أو دخول النار).

---

458 الحجر 37، 38

459 الرازي، ج 7، ص 53.

460 الأعراف 18.

إذن فقد كان في البدء المساواة اعتباراً بين المخلوقات الثلاثة وما يدعم ذلك الاعتبار الخطاب الإلهي بالمساواة كما في قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 461.

فالخطاب في الآية على التساوي لمخاطبين ومستمع، فالمخاطبان الملائكة وإبليس لقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ) والمقصود الملائكة وإبليس لأن الملائكة أعم لأنهم الأكثر في ذلك الموقف من إبليس وهو قد أُضيف لهم إضافة جمع في الخطاب لا جمع في النوع، مع وجود الخليفة (آدم) في مشهد الاستخلاف قبل وبعد النفخ فيه من روحه تعالى بحيث يعلمه الله خلقاً وعلماً وتكليفاً وتجهلاً للملائكة وإبليس خلقاً وعلماً وتكليفاً. وهنا نلاحظ أنّ مرتبة التساوي كانت على مرحلتين:

-الأولى مرحلة الخلق وقد كان التساوي قائماً بين الملائكة وإبليس قبل النفخ في آدم مصداقاً لقوله تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 462.

فهذا سجود الخلق، وتساءل هل كان هناك أكثر من سجود؟

هل كان سجود بعد الخلق وسجود بعد الاستخلاف؟

يقول تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 463، فهذا السجود بعد النفخ فيه من الروح التي خلقها الله له والإضافة لله إضافة تشريف لا إضافة تبعيض ومن هذا (ناقة الله) و(بيت الله)، والفاء في (قعوا) للسرعة وهي واقعة في جواب الشرط تفيد حدوث

461 البقرة 30.

462 ص 71-72.

463 ص 72.

الأمر قبل زمن حدوث الفعل، وفي هذا المشهد الخطابي لم يظهر فيه خطاب الملائكة واستفسارها، ولم يظهر فيه أيضا أمر الاستخلاف الذي ذكر في آية البقرة في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} 464، وعليه فدلالة الآيات في القرآن الكريم متجددة لا تقف عند حد ويبقى في القرآن علم لا يعلمه إلا الله جلّ وعلا.

وعليه:

- إنَّ آدم كان مستمعا للخطاب في (سجود الاستخلاف).
- وغير مستمع لخطاب قبل النفخ.
- وكان مستمعا لخطاب الاستخلاف لأنّه مرتكزة ومحوره.
- وآدم المخلوق الوحيد في حضرة الخطاب الإلهي الذي صمت لله وتكلّم بأمر الله فهو لم يجب ولم يقل إلا ما أمره الله به، بعد أن أظهرت الملائكة:
- تكليفها (فهي تسبح وتقدس لله).
- واستفسارها (عن الخليفة وتكليفه): (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ).
- فتكليف آدم (بالاستخلاف) أظهر عدم علم الملائكة بنوعية تكليفه، مع علمها بتكليفها، فاعتقدت أنه سيفسد فيها ويسفك الدماء، وهذا يتنافى



مع تكليفهم وجبلهم على الطاعة التامة المتمثل في قولهم (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ).

واستفسار الملائكة لن يفضي إلى نزول ربتهم بل إلى بقائها لأن سؤالهم سؤال استفسار لا إنكار مصداقا لقوله تعالى: {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} 465.

ومن هنا يبرز جانب تفاضلي لآدم يتكرر ثلاث مرات أثناء خطاب الاستحلاف:

تكريم العلم بالأسماء مصداقا لقوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 466.

ولما ظهر عدم معرفة الملائكة بما علمه الله لآدم بقولهم {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} 467.

2- تكريم تعليم الأسماء للملائكة.

مصداقا لقوله تعالى: {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} 468.

3- تكريم السجود:

سجود الملائكة بعد التعليم كما في آيات البقرة، (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا).

ما أفضى إليه الخطاب الإلهي:

---

465 البقرة 30.

466 البقرة 31.

467 البقرة 32.

468 البقرة 33.

وهنا ندخل منعطفًا جديدًا في الاعتبار التفاضلي لما أفضى إليه الخطاب الإلهي في تكريم السجود وذلك كالآتي:

أ- الملائكة احتفظت باعتبارها الأوّل بالطاعة التامة لله تسبيحا وتقديسا وطاعة لأمره في السجود لآدم.

ب- إبليس فقد ذلك الاعتبار (الطاعة التامة لله) والبقاء لبعض الوقت في (حضرة التسبيح والتقديس) حتى ينتهي من عرض حجته مصداقا لقوله تعالى: {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} 469.

فقال الله الحليم له: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} 470. فقال حجته التي تبرز العصيان والتكبر، {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} 471.

ولكن هل النار أفضل من الطين؟

هذا ظن إبليس "وقول إبليس لعنه الله: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) من العذر الذي هو أكبر من الذنب، كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول، يعني لعنه الله: وأنا خير منه، فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم بين أنه خير منه، بأنه خلق من نار، والنار أشرف مما خلقته منه، وهو الطين، فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وقاس قياسًا فاسدًا في مقابلة نص قوله تعالى: {فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 472، فشذ عن الملائكة بتك السجود؛ فلهذا أبلس من الرحمة، أي: أيس من الرحمة، فأخطأ قبّحه الله في قياسه ودعواه أنّ النار أشرف من الطين، فإنّ الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت،

---

469 البقرة 34.

470 الأعراف 12.

471 الأعراف 12.

472 سورة ص 72.

والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح. والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة؛ ولهذا خان إبليس عنصره، ونفع آدم عنصره في الرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله، والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة"473.

الطرد الأول: طرد من حضرة التقديس والتسييح مصداقا لقوله تعالى: {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ}474، وذلك بدليل إن إبليس سيكلف نفسه تكليفا ذاتيا يصر فيه على المعصية ويتبع آدم ليضله عن السبيل القويم ويتعدى أمره على تتبع ذريته، وهذا ما ورد في كتاب الله بقوله تعالى: {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا بَجْدٌ أَكْثَرُ لَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ}475، والطرد هنا من حضرة التسييح والتقديس والتكليف الإلهي بدليل قوله تعالى لأدم: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}476.

والتساؤل: لو كان الطرد من الجنة التي أسكن الله آدم فيها هل سيكون لإبليس القدرة على دخولها وإغواء آدم فيها؟

هل كان الهبوط من الجنة ثنائي أم جماعي؟

فلو كان ثنائي لهبط آدم وزوجه، ولكن سياق القرآن يؤكد أن الهبوط ثلاثي لقوله تعالى في أكثر من آية: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا

473 تفسير ابن كثير، ج 3، ص 392.

474 الأعراف 13.

475 الأعراف 14-18.

476 البقرة 34.

مَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ  
 وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ {477، وقوله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ  
 فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ  
 فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا  
 نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ  
 الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا  
 الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ  
 وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا  
 عَدُوٌّ مُبِينٌ {478.

إذن كانت لإبليس القدرة على دخول الجنة، وليست له القدرة على  
 دخول حضرة الملائكة (التسبيح والتقديس) لأنه طرد منها، وهنا سيكون  
 الطرد الثاني بالهبوط من الجنة إلى الأرض مصداقا لقوله تعالى: (قُلْنَا  
 اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

ولكن سيبرز معيار تفاضلي لآدم وزوجه:

- معيار الاستغفار والندم الذي لم يقيم به إبليس مصداقا لقوله تعالى:  
 {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ  
 قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ  
 قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ {479.

فإن كان في الهبوط مساواة فلم يكن في الندم والرجوع إلى الله مساواة  
 حيث تاب آدم وزوجه فتاب الله عليهما، وعصى إبليس وأصر على

477 البقرة 36.

478 الأعراف 19-22.

479 الأعراف 23-25.

العصيان فحرم من الجنة إلى الأبد. قال الله تعالى: {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ  
كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} 480.

وعليه فكان معيارا تفاضليا آخر لذرية آدم وهو الوصية التي تبعدهم عن  
طريق التكليف الذاتي والإغواء كما قال الله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ لَا  
يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا  
لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا  
الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} 481.  
وسوسة إبليس لآدم وزوجه:

قلنا إن إبليس طرد من حضرة التقديس والتسيح، وكانت له القدرة  
بدخول الجنة التي سكن فيها آدم فوسوس وقال وأقسم لهم أنهما إن أكلا  
من الشجرة أصبحا ملكين وعاشا خالدين، فهنا وسوسة، وقول، وقسم،  
يدل ذلك على أنه دخل لهما الجنة لأنه لم قد طرد منها بعد كما يشير  
النص القرآني.

### وقوع آدم وزوجه في المعصية:

أكل آدم وزوجه من الشجرة بعد غواية إبليس لهما، {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ  
عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ} 482.

وقوله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ  
قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا  
عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا  
وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا  
آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا

---

480 البقرة 37.

481 الأعراف 27.

482 البقر 37.

سَوَاءَهُمَا وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى {483.

- التساوي في هبوط آدم وزوجه وإبليس من الجنة إلى الأرض.  
- {وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {484.

وهنا يتساوى الجميع في الهبوط من الجنة آدم وزوجه وإبليس، لبدأ صراع من جديد محوره تصميم إبليس على غواية آدم وذريته، وعدم توبة إبليس، مع فتح باب الرحمة لآدم بالتوبة والندم على المعصية والنسيان، وهنا يبرز جانب تفاضلي جديد لآدم وهو.

#### اجتباء آدم وقبول توبته:

قال الله تعالى: {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {485.

وقله تعالى: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى {486، وهذا الاعتبار التفاضلي لم يكن لإبليس لأنه لم يتب ولن يتب.

وفي الأرض تكون خلافة آدم وذريته المتمثلة في عبادة الله وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، والصراع ضد قوى الشر التي تخرج من التكليف الإلهي إلى التكليف الذاتي الذي خرج إليه إبليس.

وهذا يترتب عليه اعتبار أخير (في الآخرة) تفاضلي ليس فيه مساواة بل فيه:

أ- المراد للقرار (جنة أو نار)، مصداقا لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ دَكْرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ

---

483 طه 115-121.

484 البقرة 37.

485 البقرة 37.

486 طه 122.

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 487، وقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا  
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ  
يُورَثُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} 488، وقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ  
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} 489.

ب- ضرب الحجاب.

وهنا يفصل الله بين عباده ففريق في الجنة وفريق في السعير مصداقا لقوله  
تعالى: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا  
رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ  
لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُوهَا عِوَجًا وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَيَبْنِيهِمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا  
بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ  
وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُوهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا  
أَعْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ  
اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ  
النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ  
اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا  
يَتَّحِدُونَ} 490.

ج- تكريم وتنعيم.

487 النحل 97.

488 غافر 40.

489 فصلت 46.

490 الأعراف 44-51.

فلا شك أن من سار وفق التكليف الإلهي سيكون له معيار تفاضلي يتباين بالقطع مع الذين ساروا وفق التكليف الذاتي الذي يعتمد الضلال والهوى مصداقا لقوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} {491}، وقوله تعالى: {وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَّكَهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} {492}، فالذين حققوا الخلافة على الأرض وانتصروا على هواهم ولم يتبعوا تكاليف ذاتية وأطاعوا الله فيما أراد من استخلافهم على الأرض كانوا من أصحاب الجنة الذين قال الله فيهم: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} {493}.

د- عذاب وجحيم:

أما الذين ساروا وفق هوى إبليس وابتعدوا عن الخطاب الإلهي ومستحقات الاستخلاف فإنهم سيرون صنوف العذاب والجحيم مصداقا لقوله تعالى: {وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} {494}.

ولسائل أن يسأل أين الملائكة واعتبارهم؟

<sup>491</sup> الجاثية 23.

<sup>492</sup> الأعراف 175-176.

<sup>493</sup> الفرقان 24.

<sup>494</sup> الفرقان 25-29.



نقول:

قد بقوا على تكليفهم الإلهي جبل على الطاعة لا يعصون ما أمرهم الله  
ويفعلون ما يؤمرون.  
وبالحساب والعقاب وبالجنة والنار تتوقف الاعتبارات المترتبة عن حضرة  
لخطاب الإلهي وتكليف الاستخلاف.

### علم آدم:

علم آدم من علم الله لذا يمكن أن نقول إن هناك:

- من الله علم.

- لآدم (علمه علما ولم يعلمه تعليما).

- للملائكة إنباء.

- لنا خير.

وإيضاحا لذلك نقول:

علم الله لا يعلمه غيره.

ولا يحيط به سواه.

والكل من خلقه تجاه هذا العلم على النقيض منه.

فعلم الله الذي لا يعلمه غيره:

علم ما في الصدور والأكوان:

وهذا العلم المطلق الذي لا يعلمه أحد إلا الله، فلا يمكن أن يدعي مدع

أنه يعلم ما يخفيه الآخر في صدره مهما بلغ من فراسة.

وعلم الصدور علم الله لا يعلمه غيره مصداقا لقوله تعالى: {قُلْ إِنْ تُحْفُوا

مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 495.

---

495 آل عمران 29.

أما علم الأكوان فالعلم بالمطلق لما في السماوات والأرض من مخلوقات مكلفة ومجبورة مرئية وغير مرئية معلومة وغير معلومة مصداقا لقوله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} 496.

والعلم من الله مباشرة علما لا تعليما لا يستلزم اشتراطات النمو وسلامة العقل والسن والوقت والزمن والحاجة الظرفية للمتعلم ولا الطريقة ولا الأسلوب ولا نوع العلم.

وعلم الله من علمه الواسع الذي وسع كل شيء علما، {إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} 497.

ولهذا التعليم يتم في المدارس والمساجد، وفي التعليم يحدث النجاح والفشل والتفوق، أما في تعليم العلم فهو تعليم من الله مباشرة وهكذا تعلم آدم فأعلم الملائكة والجن مما علمه الله له.

فعلمه الله علما لا تعليما، فالعلم بالعودة إلى مصدر العلم لا إلى المشتق منه (تعلما).

فعلمه سبحانه مقرون بقدرته، وقدرته مطلقة، وله سبحانه أن يعلم من شاء ما شاء بالقدر الذي يشاء، كيفما يشاء فلا أحد غير الله يعلم بالمطلق ما في الصدور ولا ما في السماوات ولا ما في الأرض إلا الله العليم.

إذن؛ فعلم الصدور علم يعلمه الله ولا يعلمه غيره، مصداقا لقوله تعالى: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} 498، وإنما يضع الله من ذلك العلم في

---

496 الأنعام 59.

497 طه 98.

498 التغابن 4.

صدر خلقه بالقدر الذي يريد وفق المراد من الله تعالى لهذا المعلم وما يتناسب مع دوره في مجاله المخلوق له.

- وعليه فعلم الله علم محيط لا محاط.
- وعلم الأنبياء علم محيط مما أراد الله.
- وعلم خلقه تعليم محاط لا محيط.

لهذا:

- فعلم الله لا يحاط به إلا بالقدر الذي يشاء منه من الإحاطة. مصداقا لقوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} 499، فعلم ما بين أيديهم العلم الذي يعلمون منه بالقدر الذي استطاعوا.

وما خلفهم: العلم الذي لم يظطلعوا عليه أصلا لأنه خلفهم، والإنسان يعلم أمامه بالنسبي ولا يرى ولا يعلم ما خلفه بالمطلق، وهذا في مجال العلم الإلهي، لا في مجال الرؤية العينية، مع التأكيد أن المسألة تخلو من المكانية لأنها في حق الله والله محيط لا محاط.

- فالخلق لا يحيطون بشيء من علم الله المعلم لهم إلا القليل وبالقدر الذي يشاء.

- الله الواسع وسع بعلمه علم ما في السماوات وما في الأرض.

- لا يقدر على حفظ العلم المطلق إلا الله.

- ومن علم الله المطلق الذي يحفظ به السماوات والأرض علم لم يحط به إلا الله الوسع العليم.

ومن علم الصدور نقول: علم الصدور الذي تطمئن به القلوب وترخ لعقائد والشرائع عند الإنسان.

---

499 البقرة 255.

إنّ العلم الذي علم الله منه لآدم.  
وأنبأ آدم منه الملائكة والجن.  
ونزل به آدم إلى الأرض.  
وانتقل إلى علم السطور.  
فأصبح هناك أربعة أنواع من العلم:  
العلم.  
والتعليم.  
والإنباء.  
والإخبار.  
قلنا:

إنّ العلم لله إحاطة وقدرة وتعلّيمًا.  
التعليم من الله العليم الحكيم لآدم.  
الإنباء من المتعلّم (آدم) للمنبأ (الملائكة).  
الإخبار بين اثنين لدى الطرف المخبر علم سابق بما يخبر به.  
وهذا يتجلّى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي  
الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ  
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ  
كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ  
قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي  
أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ {500.

في الآيات نرى من علم الله تعالى:  
الإخبار:

الله يقول للملائكة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً).

الملائكة على خبر بالخليفة، فالله قال لهم جاعل، وكأن العلم بالخليفة سابق عند الملائكة على جعل الخليفة لأنهم سيردون بعلم ما عندهم الذي هو خبر على الله بقولهم: (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

فقولهم أتجعل يفيد أن لديهم خبر بمجوعول سيكون خليفة في الأرض ومن خبره عندهم:

إنه:

يفسد.

يسفك الدماء.

وإنهم:

يسبحون بحمده.

ويقدسون له.

وهنا تبدو ثنائية مضادة:

يفسد فيها مقابل (نسبح بحمدك).

نقدس لك مقابل (يسفك الدماء).

وكان جواب الملائكة بالمطلق.

وأرى هنا إنهم تجاوزوا نطاق ما عندهم من خبر إلى العلم، وقلنا إن العلم عند العليم وعندهم خبر منه فقال الله لهم تذكيرا أو تعليما لهم من جديد في هذا الموقف بالتحديد (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

فما عندكم خبر وما عندي علم، لأنكم لا تحيطون بكل العلم.

وهنا عادوا إلى مقام التعليم الذي سيكون إنباءً من المعلم الخليفة المجهول به منهم المعلوم بالمطلق به عند الله.

وهنا نتساءل:

هل كان عند الملائكة علم سابق بما سيفعله آدم؟

هل كان في الأرض مخلوق كأدم أفسد في الأرض؟  
هل أدم نموذج لمخلوق آخر سبقه على الأرض؟  
الملائكة لم تعرف من هو أدم وما مكوناته فكيف عرفت أنه يسفك  
الدم؟

وكيف عرفت أن سفك الدم شيء سلبى ومحرم؟  
هل هي كانت عالمة بشريعة الله في الأرض قبل أن يسكنها آدم؟  
ومن أي مصدر عرفت ذلك العلم؟  
هل من اللوح المحفوظ بإرادة الله؟  
الملائكة ليست من دم فكيف عرفت مسماه وهي لم تره أصلاً؟  
وكيف سمته قبل أن ينبئها آدم الأسماء؟  
وهذا يقودنا إلى تساؤل آخر:

هل كانت الملائكة على علم بأسماء دون غيرها؟  
يقول الله تعالى: { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ  
أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا  
عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ  
بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا  
تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } 501.

ونقف عند لفظة (كلها) التي منه البعض يستثنى.  
فقد يكون وهذا مرجح أن تكون الملائكة تعلمت (بعضها) أي الأسماء،  
ولم تتعلم بعضه المكمل الذي تعلمه آدم وتفوق بها عليهم، ومن خلال  
البعض الذي تعلمته الملائكة قالت ما قالت، فلما أنباها آدم بما لم  
تتعلمه قالت لله (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا).

والملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته وإسكانه تعالى إياهم في الأرض هذا السؤال من العلم الذي لم يتعلموه فأخبرهم الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله تعالى: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) فأراد الله تعالى أن يزيدهم بيانا وأن يفصل لهم ذلك المجمل. فبين تعالى لهم من فضل آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لم يكن معلوما لهم من البعض الذي تعلموه، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضها عليهم ليظهر بذلك مكانة آدم لعلمه (بالأسماء كلها) وقصورهم عنه في العلم لأنهم علموا البعض فيتأكد ذلك الجواب الشافي) (أعلم ما لا تعلمون).

وهذا يقودنا إلى مبحث في علم اللغة، ونتساءل هل اللغات توفيقية أم مكتسبة؟

إمّا أن تكون توفيقية:

فهذا ما نرده على علم الأصول، فقد عرفت الملائكة الدم وقد لا تعرف مكوناته.

وإمّا أن تكون مكتسبة بوضع المصطلحات العلمية لذلك المكوّن لأبناء آدم لأنهم اكتشفوا:

أنواع الدم وفصائله وأن كل فصيلة تصلح لنوعها.

وعلموا أنّ كل دم لجنس م المخلوقات الأرضية لا يصلح للنوع الإنساني فمثلا لا يصلح دم الحمار أو الأسد أو الطيور لينقل إلى الإنسان فيعيش به.

أمراض الدم وفيروساته لم يكن من علم الملائكة، ونعتقد أنه كان عند آدم أصلا وعند ذريته فرعا.

لذا، نقول: إن كانت الملائكة على علم ببعض المسميات التي ستكون على الأرض من مثل الدم، فهي لا شك ليست على علم بتفاصيل مكونات ذلك الاسم.

وهنا نتساءل: هل سفك كل دم محرّم؟

وهنا نقف عند معنى سفك: "(سفك) السَّفْكَ صَبُّ الدَّمِ" 502.

أيّ دم لا نعلم؟

والسفك بهذا المعنى ليس القتل وسفك دم الأضاحي والقرّبات ليس محرّما.

والقاتل عندما يقتل بنية القتل هو يزهق روح القتيل فهّمه الأوّل هم موت القتيل بأية صورة من الصور الشنق الخنق الطعن التجويع السم إلى غير ذلك من أدوات للقتل، وهذا ليس سفكا للدم وإنما دخل في باب الإفساد والذي لم تعلمه الملائكة.

وعليه: فليس كل سفك للدم محرّم كما قالت الملائكة.

- {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَيِّرٍ لِّلَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} 503، وإن كان المعنى إراقة الدم فسفح الدم هو إراقاته ولكن من غير المكان المخصوص بذلك بالطريقة المخصوصة التي جاءت شرعا عن السنة الشريفة المتواترة. وحتى إن كان سفح الدم من نفس المكان المخصوص من غير النية الصحية والعقيدة السليمة فهو محرّم أيضا. وعليه:

فلم تكن الملائكة على علم بهذا ولا بغيره عن الدم، لأن ما علمته هو بعض عن الأسماء.

مع كونها أيضا قد علمت البعض من الأسماء كما نعتقد من قوله تعالى: (إلا ما علمتنا).

<sup>502</sup> لسان العرب، ج 10، ص 439.

<sup>503</sup> الأنعام 145.



وأثما لم تعلم عن شريعة آدم على الأرض ولا رسالته إلا البعض الذي جعلها في عداد غير العاملة.

وهنا نتساءل ما اللغة التي تكلم بها آدم مع الملائكة والجن؟  
قلنا قبل ذلك هي لغة السماء التي علمها الله لآدم.  
كما يمكن أن نقول أيضا هي لغة علمها آدم.  
كما هي لغة علمها الملائكة.  
وهي لغة علمها الجن!  
كيف؟

هل علمت الجن والملائكة لغة آدم؟  
أم هل علم آدم لغة الجن والملائكة؟  
أم كانت لغة واحدة يعلمها الجميع غير لغته الخاصة به؟  
أم هي لغة خلقت في وقت الحوار، للتفاهم بينهم من الله، وهذا لا يتناقض  
مع قدرة الله سبحانه تعالى؟  
وإن كانت لغتان:  
لغة لآدم.

ولغة للجن والملائكة.  
فأيهما أسبق؟

ومن خلال النص القرآني فالجن سبقت آدم في الخلق وكذلك الملائكة،  
ولا يرقى علمنا لمعرفة أي من الجن أو الملائكة أسبق في الخلق؟  
لكن من المؤكد أن الاثنين الجن والملائكة أسبق من آدم خلقا حيث  
يقول الله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ  
وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ  
بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} 504.

والجان من خلال سياق الآية خلق قبل آدم.  
وعليه، فقد خلقت لغته معه.

إذا فلغة الجان ومنهم إبليس سبقت خلق آدم ولغته.  
وبالتالي لغة الملائكة أسبق من لغة آدم.

وهنا يبرز احتمالات حول اللغة التي تكلمها آدم:  
-ألا تكون لغة مشتركة بين اللغات الثلاث؟

لغة غير لغة الإنس والجن والملائكة، لغة خلقت في لحظة الخطاب  
والإنباء لأنّ الله خاطبهم بها، وهم سمعوها وفهموها.  
ألا يكون فهم هذه اللغة خلق في ملكات المخلوقات الثلاثة في لحظة  
الخطاب الإلهي؟

مع احتفاظ كل مخلوق بلغته؟ أو بلغاته التي سينطقها ويتقنها كآدم فيما  
بعد عند هبوطه على الأرض وبث ذريته؟

وما المانع أن تكون هناك لغات للجن، كما أن هناك لغات للإنس؟  
وهذا يفتح مجال أن يكون هناك لغات للملائكة أيضا!

أليس الوحي المنزل على موسى قد نزل بلسان موسى حتى يفهمه فرعون  
الذي يتحدث اللغة نفسها؟

وهنا نتساءل:

ما لغة الكلام التي كلم الله بها موسى صلى الله عليه وسلّم؟

أهي لغة مصر القديمة؟ أم لغة أهل مدين الذين قبع موسى فيهم قرابة  
العشر سنين ثم تزوج منهم بامرأة هي لا تتكلم المصرية؟

أم هي لغة خلق فهمها في حواس موسى في لحظة الكلام؟

أم يحقّ لنا أن نشطح شطحة ونقول: (إنّ كل من سمع الكلام الإلهي فهم  
جميع اللغات) وليس ذلك بمحال على قدرة الله.

ونتساءل:

ما لغة الوحي المنزل عن طريق الملك لعيسى صلى الله عليه وسلم والأنبياء  
في عصره وهم المتحدثون بالسريانية؟

وهذه اللغة قد تحدّث بها الملك المكلف بالوحي لهؤلاء الأنبياء.

وما لغة الروح الذي بشرّ العذراء بميلاد المسيح صلى الله عليه وسلم؟  
ومن خلال التساؤلات السابقة والفرضيات التي صاحبته، يتسنى لنا أن  
نقول: (إنّ الملائكة تحدّثوا بلسان البشر بأمر الله).

لذا ليس من المفروض عقلا أن يتحدّث البشر بلسان الملائكة.  
وعليه فمن الممكن التفاهم بين البشر والملائكة، إمّا بلسان مبین أو بقدرة  
إلهية تمكّن أيا منهما أن يفهم لسان الآخر.

ولتوضيح الأمر ننظر في القرآن الكريم ليستبين لنا ما نرؤو إليه من لغة  
مشتركة بين الإنسان والملائكة يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ  
ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي  
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا  
نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} 505.

الذين قالوا ربّنا الله:

أهم عربّ؟

فرس؟

هنود؟

أم غير ذلك؟

أم من كل شعوب العالم، بكل لغاته؟ المعلومة لنا والمجهولة!  
بالتأكيد الله ربّ العالمين، (الحمد لله ربّ العالمين) وربّ لغات العالمين،  
وملائكة الله وفقا للنص بقراءة مفتوحة لا مغلقة (حيث قيل إن الملائكة  
تحدّث المستقيمين في حالات ثلاث الموت البعث الحساب)، تنزل على

الذين استقاموا وقالوا ربنا الله، ويخاطبهم في حال استقامتهم في أي وقت لا في أوقات ثلاث كما بعض المفسرين.

فبأي لغة ينزلون عليهم؟

المنطق يقول أنّ الملائكة تنزل بلغة هؤلاء المستقيمين.

أي بلغة البشر.

إذن، الملائكة يمكن أن تتحدث لغة البشر.

وبما أنّ آدم أبو البشر كان من علمه علم الأسماء كلها.

فهو أعلم من الملائكة في هذا المجال بأمر الله.

ولهذا لا ينتفي أن تكون هذه الميزة لذريته.

ومن الاحتمالات:

- أن يكون لكل منهم لغته الخاصة وهذا يترتب عليه.

أن يكون آدم قد تميّز عليهم (الجن والملائكة) فخاطب كل منهم بلغته، مع افتراض أنّ الجن والملائكة لم تعلم لغة آدم التي تكلم بها في موقف حوار الإنباء والاستخلاف!

وهذه الفرضية تؤسس لها من الآتي:

أنّ آدم أنبأ الملائكة بلغة الملائكة.

والجن بلغة الجن.

بلغة الملائكة والجن.

أم بلغة الجنة لغة الجميع

مصدقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا

أَدَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ {506}.

والتأمل في الآية نجد أنّ آدم أنبأ الملائكة بما أمره الله به، ثم حدث:

- الملائكة لم ترد جواباً لآدم.

- الملائكة ردت جواباً لله.

- آدم لم يجر حواراً آخر مع الملائكة.

- آدم أنبأ الملائكة بلغتهم.

- إذا آدم يعرف لغة الملائكة.

- الملائكة فهمت ما قاله آدم.

والتساؤل:

هل آدم حدّث الملائكة بلغة أخرى غير التي يعلمونها في تلك الحضرة؟

وإنّ الله أوقع فيهم فهم هذه اللغة؟

لذا أحجموا عن الحوار معه:

لأنّهم فهموا ولم يعلموا لغة آدم.

أم إنهم علموا وفهموا.

وترتب على ذلك:

أنّه وقع في علمهم أنه أعلم منهم فلذا انصرفوا عن حوار معه باللغة التي

أنبأهم بها وهم على علم بها؟

أم أنهم اقتنعوا وسلّموا الأمر لله فقالوا: (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا

عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

وعليه فقد كانت هناك لغة جامعة وهي لغة الجنّة.

وعدم ردهم عليه لأنه علم لغة الجنّة.

لذا، يمكن أن نسميها في تلك الحضرة بالتحديد (لغة العلم).

وهي لغة القوّة والقدرة الممنوحة من الله لآدم والتي تميّز بها على الجن والملائكة وترتب على هذه اللغة:

تسليم الملائكة بالأمر لله مع كونها لم تخرج عن دائرة الإيمان والتسليم الكاملين بالله ولله. مصداقا لقوله تعالى (لا علم لنا إلا ما علمتنا). معصية إبليس لأنه استكبر بغير حقّ، والحقّ هو العلم الذي جهله إبليس، ولم تطلع عليه الملائكة.

وهنا يبدو موقفان:

كبر بجهل وإصرار (لإبليس).

2- تسليم بعلم وإنابة (للملائكة).

هذا عن لغة آدم في السماء والتي هي جزء من علم الأسماء الذي علمه الله لآدم.

فماذا عن لغة آدم في الأرض؟

ونتساءل:

هل كل من تكلم بلغة كان مفحما للآخر؟

هل كل لغة هي لغة علم؟

هل أي لغة يمكن أن تكون لغة علم؟

هل كل متكلم بلغة يمكن أن يكون آدم بالنسبة إلى الملائكة؟

ألا يكون كل من تكلم بلغة هو آدم في الكلام وليس آدم في العلم؟

ألا يكون ذلك دافعا لأن تكتمل آدمية المتكلم فيكون الكلام بعلم؟

ألا يكون الكلام بكبر دون علم هو تساو مع إبليس من حيث الموقف؟

مع الاحتفاظ بالجنسية لكل من منهما والاتفاق في الجهل والكبر؟

ألا تكون الطامة الكبرى في أن ينحدر ابن آدم إلى إبليس؟

نعم ينحدر إلى إبليس:

يكون ذليلا بنفسه لأنه جاهل بالكلية.

فهو بذلك فقد أو أفقد لغته العلم الذي هو أس الميزة التي امتاز بها آدم  
على الجن والملائكة واستحقّ الخلافة.

وعليه نرى:

إنّ كل من فقد العلم في لغته.

أو أفقد لغته العلم.

فهو لا يستحقّ الخلافة التي استحقّها آدم.

وعليه:

فكل لغة لا تحتوي علما ليس العيب فيها بل العيب في متكلّمها.  
وعلينا هنا أن نناقش قضية أخرى عن اللغة هي في ذات الوقت وثيقة  
الصلة بما سبق أن تطرقنا له.

وقد قلنا إنّ لغة آدم في السّماء هي لغة العلم الجنّة والعلم دون زيادة أو  
نقصان، بحيث تكون لغة المتكلّم على قدر ما يحتاج المخاطب لا على  
قدر ما يعلم المتكلّم.

وهنا نتساءل:

هل لغة آدم هي لغة أبناؤه؟

لذا نطرح تساؤلا آخر سيحيلنا إلى فك رتق التساؤل السابق.

اللغة أهي:

توقيفية؟

مكتسبة؟

مخترعة؟

نقول:

1- اللغات كلها توقيفية بمعنى أن الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك  
الألفاظ وتلك المعاني، وبأنّ تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني.

بمعنى أن الله قد خلق في ملكات كل إنسان التوافق مع أي لغة على وجه البسيطة والتفاعل معها والتعامل بها والإضافة إليها والحذف منها حسب مقتضيات الحاجة التي تدعوه لاستخدام مفردة من دون أخرى. هذا من باب أنّها توقيفية.

أمّا من جهة أنّها مكتسبة، فمن باب التجربة غير المنكرة أنّ الإنسان الذي تتكون لديه ملكات اللغة ولكن ليست لديه اللغة. وإتّما تتأتى مفردات اللغة من خلال الاكتساب عن طريق الاختلاط والتعايش مع أفراد نوعه الإنسي فيسمع منه ثم يردد أصواتا متفق على أنّها تعطي إشارات لدى المتلقي هذه الإشارات توحى بغرض من الأغراض التي يمكن أن نسميها معنى من المعاني.

وهنا تبدو تساؤلات:

- هل الصوت يسبق الدلالة؟
  - أو هل يسبق الرمز المرموز؟
  - أو هل الدال المدلول؟
  - هل يسبق المبنى المعنى؟
  - أم أنّ المعنى موجود داخل كل إنسان بالفطرة أو بملكات تلقي اللغة كما أسلفنا التي أعدها الله فيه من قبل ولادته؟
- واستبيان غموض ذلك التساؤل سيحيلنا إلى الوقوف على الحقيقة بنسبة كبيرة.

الصوت والدلالة:

الصوت هو خروج النفس من الجوف وانقطاعه في مكان من الحنجرة حتى الشفة، ومن هنا نشأت الحروف الجوفية والحلقية والصفيرية والشفوية.

ولكل صوت من الأصوات معنى قد يكون مستقل بذاته أو يتأتى ذلك المعنى من خلال اتحاده مع صوت أو مجموعة أصوات أخرى.



وتوجد أصوات في لغات تختفي في لغات أخرى مع وجود نفس المعاني في اللغات التي اختفت فيها تلك الأصوات لعدم وجود تلك الأصوات أصلا لعدم القدرة على النطق بها لانعدام الممارسة على نطقها. على سبيل المثال:

حرف العين لا يوجد في الإنجليزية وهو موجود في العربية ويستخدم في العربية ليعطي مع غيره دلالات هي موجودة في الإنجليزية بأصوات أخرى.

كلمة على تعني فوق وكلمة (up) تعني فوق.

لذا؛ فوجود المعنى هو ما يمكن أن نسميه الملكة والفطرة واكتساب الصوت هو ما يكمن أن نسميه المكتسب أو المتعلم. هل يسبق الرمز المرموز؟

قبل أن نتكلم في هذا التساؤل ينبغي أن ننوه إلى أن المرموز إليه كامن في ذهن الإنسان وما يتبقى هو الأداة أو الوسيلة التي يتم بها التعامل مع ذلك المرموز عن رمز اتفاقي بين اثنين المرسل والمستقبل.

المرسل الذي يريد أن يرسل رسالة معينة إلى المستقبل ليتم لهما التواصل عن طريق رمز ما، وهنا يمكن أن تكون الأصوات (لغة أو غير لغة) لونا أو رسما الطريق الذي يجمع بين المرسل والمستقبل وتوضيح ذلك الأمر يبدو جليا في حياتنا اليومية على مستوى العالم أجمع:

في المرور:

عن طريق الكلمة.

قف = stop.

عن طريق اللون:

اللون الأحمر في إشارة المرور يعني التوقف.

عن طريق الرسم: رسم الكف المنبسط يعن التوقف أيضا.

ويمكن عن طريق الصوت لا من آلة النطق عند الإنسان من مثل: صفارة رجل المرور أو صفارة حكم المباراة، فطول المدة وقصرها له مدلول يؤدي غرض الكلمة بأية لغة كانت.

وعليه: فالمدلول واحد والدال مختلف أو المرموز واحد والرمز مختلف. ولكن سبق كل ذلك علما من نوع ما اتفق عليه حول دلالة كل رمز سواء أكان صوتا أو رسما أو لونا أو إشارة أو إيماءة.

هل يسبق الدال المدلول؟

العلاقة تكاد تكون متساوية بين الدال والرمز ولكن قد تفترق في أشياء منها: أن الدال يمكن أن يحتوي الرمز وليس العكس، فإشارة العين ارتفاعا وانخفاضا لا تعني دلالة واحدة فقد تعني:

الاستغراق في التأمل.

التعجب.

الانبهار.

الاحتقار.

التوبيخ.

والمدلول من نظرة العين تلك بهذه الكيفية لا يعلم إلا من خلال مجموعة من العلاقات تحدد في سياقها ووضعها الزمني والنفسي والاجتماعي والمتعارف عليه.

أما الرمز، فالعين التي نجدها على ورقة الدواء التي يصفها الطبيب للمريض هي عين أمنحتب الطبيب الفرعوني وقد استعمل ذلك لأول مرة أبو قراط أبو الطب اليوناني ثم صارت العين هذه رمزا طبيا على مستوى العالم.

فالعين واحدة والمدلول أو المرموز مختلفان.

إذن، اللغة قد تكون توقيفية وقد تكون مكتسبة.

- وفي حالة آدم صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم اللغة توقيفية لأنَّ الله علمها وعلمه دفعة واحدة من دون تدرج.

- وفي حالة أبنائه توقيفية مكتسبة: توقيفية بخلق المعاني داخل كل إنسان.

مكتسبة بأن يضع الإنسان الأصوات التي تدل على الحاجة ومشبعاتها اتفاقاً مع الجماعة التي يعيش معها.  
وعلى ما تقدّم:

- لغة آدم في السماء توقيفية لفظاً ومعنى.

- لغة أبنائه توقيفية معنى مكتسبة لفظاً.

- لغة آدم على الأرض كلغة أبنائه.

- غير انه يختلف عنهم بأنّه نشأ تامّاً مسوّاً لغة (لفظاً ومعنى).

بيد أنّ أبنائه لا يُعلّمُ تمام لغتهم لفظاً ومعنى إلا بعد ربح من الزمن.  
وننتقل لبحث أمر شديد الأهمية يدور حول:

وهنا نتساءل عن:

ملكة اللغة بين العاقل وغير العاقل:

- العاقل (الإنسان) عنده لغة.

ألا تكون عند غير العاقل ملكة اللغة؟

نتفق جميعاً أنّ العقل المدبر هو من أهم ما تميز به الإنسان العاقل على الحيوان، ومن هنا لا يجب أن يوضع الإنسان المجنون فاقد العقل في مرتبة الحيوان، لأنّه إنسان فقد آلة العقل المدبر المميز، ولكن ينزع عنه ميزة التكليف والمحاسبة على أفعاله.

وعليه: فالعقل المدبّر هو المسئول عن الاحتفاظ بملكة اللغة (تسوية وفطرة)، ولأنّ الحيوان يفتقد لذا النوع من العقل فهو لا يمكن له اكتساب اللغة وتطويرها ووضع مصلحات الأشياء وجعلها لغة علم بعد أن كانت لغة تعامل.

مع التنويه إننا لا نقصد لا من قريب ولا من بعيد أنّ الذي لا يطوّر لغته ويجعلها لغة علم كالتي تكلم بها آدم مع الملائكة يخرج عن الوصف الإنساني.

بل يمكن أن نطلق عليه أنّه لم يرق على درجة التمام الإنساني.

أمّا الحيوان غير العاقل فهو لا يستطيع تعلّم اللغة لماذا؟

- لأنّه لا يمتلك ملكات اللغة من جهاز لغوي قادر على تنظيم الأصوات لتعطي دلالات متنوعة حسب حاجة الإنسان المادية (من حاجات ومشبعاتها) والمعنوية (من أمور روحانية ونفسية).

- ولا الفطرة التي تؤهله لتلقي أي لغة وضبطها مع المعاني الراسخة في العقل المدبر.

- ولا العقل المدبر الذي يطوّر الأصوات وفق مقتضيات الحاجة لا زيادة ولا نقصا.

وعلى ما تقدّم:

لا يمكن لأيّ نوع من الحيوان أن يكتسب لغة عاقلة وأن يطوّرها وأن يجعلها لغة علم.

ونعود للتساؤل:

اللفظ والمعنى أيهما أسبق عند آدم بالتحديد من خلال آية (الإنباء).

فقول الله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها).

يقتضي أن يكون التعليم لاحقاً على الأسماء.

أي أنّ تلك الأسماء كانت أسماء قبل ذلك التعليم.

وإن كان الأمر كذلك كانت اللغات حاصلة قبل ذلك التعليم.

وأنّ آدم عليه لما أنبأ الملائكة بعلم الأسماء فلا بدّ وأن الملائكة كانت على بتلك الأسماء حتى يتسنى لها الحكم عليه بكونه صادقاً في تعيين تلك الأسماء لتلك المسميات، وإلا لا يحصل العلم بصدقه، وهذا يعني أن يكون وضع تلك الأسماء لتلك المسميات متقدماً على ذلك التعليم.

وهنا نتساءل: إذا كانت الملائكة على علم بالمسميات، وفهمت الأسماء التي أنبأها بها آدم.

فما ميزة آدم عليها؟

إذن، الأمر يكمن في صفة تلك الأسماء ومكنوناتها وخصائصها، وهنا تبدو جليلة لغة العلم لا لغة الحوار هي الميزة التي تميز بها آدم.

لذا، يمكن أن نقول: أنّ المعنى يسبق اللفظ من هذه الجهة طالما أنّ الأسماء موجودة من قبل أن يعلمها آدم ومن قبل أن ينبئ بها الملائكة والجن.

وميزة آدم في علمه صفات الأشياء وخواصها ويقوي ذلك أن الاسم الذي هو مفرد السّماء يشتق من:

السمة أو من السمو.

- فإن كان من السمة كان الاسم هو العلامة وصفات الأشياء وخواصها دالة على ماهيتها وكيونتها.

فيصح أن يكون المراد من الأسماء:

الصفات، والخواص وهذا يندرج في لغة العلم التي تكلم بها آدم صلّى الله عليه وسلّم وإن كان من السمو: بمعنى أنّ آدم تعلّم كيف يسمو على الملائكة بلغة العلم التي تفوق لغة الملائكة والجن، فيكون لدى آدم ملكة السمو بالعلم لأنّ العلم بالشيء دليل عليه والدليل على الشيء أعلى من الشيء والعلم بالدليل أرقى وأعلى من العلم بالمدلول، فكان الدليل أسمى في الحقيقة لذا فقد سما آدم على الملائكة بعلمه.

لذا؛ فكان لآدم ميزة وهي السمو بلغة العلم لأن العلم فضيلة والفضيلة في معرفة حقائق الأشياء أكثر من الفضيلة في معرفة أسمائها، ومعرفة حقيقة الأسماء كان لآدم مع جواز أنّ الملائكة والجن كانوا يعلمون الأسماء ويجهلون حقائقها.

وإذا كانت لغة آدم علما فكيف انتشر هذا العلم؟

هل انتشرت اللغة بالعلم الذي تحتويه؟

أم انتشرت اللغة دون العلم الذي احتوته في مرحلة آدم السماوية؟

انتشار اللغة:

وهنا يمكن أن نقف على تفسير لانتشار اللغات من غير جزم على أنه الأصوب فنقول: إنه يجوز أن يكون المراد من الأسماء (أسماء) كل ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولد آدم.

وكان أبناء آدم صلى الله عليه وسلم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات آدم وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد منهم بلغة معينة من تلك اللغات، فغلب عليه ذلك اللسان، فلما طالت المدة ومات منهم قرن بعد قرن نسوا سائر اللغات، فهذا هو السبب في تغير الألسنة في ولد آدم عليه الصلاة.

وهذا الرأي يشير إلى أنهم كانوا يتكلمون لغة آدم الأرضية في التعامل من غير لغة آدم السماوية العلمية التي كلم بها الملائكة.

إذن، انتشرت اللغة دون العلم بالأشياء التي علمها آدم على حقيقتها، فكان على أبنائه أن يفتشوا فيما بين أيديهم من أصول على فروع تلملم دقائق الأشياء وتفاصيلها ليقروا بطن الأرض ويعلموا من أسرارها فيعمروها ويكونوا بحق خلفاء عليها.

فمن أظهر ما أبطنته اللغة بالعلم وحول اللغة من لغة كلام إلى لغة علم كان آدم في نفسه، ومن لم يفعل فقد تنازل عن دوره وميراثه في علم آدم ولغة علمه ودوره في الخلافة.

- ونرفض التفسير التوراتي في انتشار اللغة بأن الناس كانوا في بابل ولما وقعت المعصية تلبلت ألسنتهم وتفرقوا فاتفقت كل جماعة على لغة فنطقت بها.

وعلم آدم بالأسماء لم يكن ليؤتى له لولا تعليم الله له.

وتعليم الله بالمركن في مرحل سويته ولا ينسحب علي ما نعلمه نحن عن  
مراحل التعليم التي تتدرج بالإنسان في مراحل عدة حتى يشهد له أنه نال  
القسط المناسب من التعليم الذي يؤهله من أن يمارس نشاطا تعليميا تجاه  
الآخرين.

فعلم الله بالقدرة المطلقة كن فيكون.

### تعليم آدم:

قلنا العلم لله مطلقا ولآدم التعليم في دائرة النسبية فالعلم الذي يعلمه الله  
لا يمكن أن يكون آدم قد تعلمه، كما أنّ الله الكلام ولموسى التكليم،  
فعلم وكلم بنية واحدة صرفا ووزنا ونقول: دلالة كليهما في مجاله الفعلي  
مختلفة:

- فعلم الله يحيط بتعليم آدم.
  - وتعليم آدم لا يحيط بعلم الله.
  - وكلام الله يحيط بتكليم موسى.
  - وتكليم موسى لا يحيط بكلام الله.
  - وبصر الله يحيط بأبصار وبصيرة خلقه.
  - وإبصارا وبصيرة خلقه لا يحيطون ببصره.
- وعلم الله الواسع رحمة بعباده وتجل من تجلياته الرحمانية ومن تجليات رحمته  
خلق الإنسان وتعليمه قال الله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} 507.  
وقلنا قبل ذلك في التسوية الكونية أنّ الله تجلّى باسمه الرحمن على خلقه  
رحمة بهم فالرحمن على العرش استوى.  
والرحمن خلق خلقه رحمة بهم لقوله تعالى: {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ  
تَفَافُوتٍ} 508.

---

507 الأعراف 156.

508 الملك 3.

والرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ.  
والقرآن رحمة وشفاء.  
والرَّحْمَنُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ.  
وعلمه البيان.  
ووضع الميزان.

فعلم آدم رحمة بآدم ورحمة بالملائكة والجن لأنهم أنبئوا من علم الرَّحْمَنِ  
الذي أعده للإنسان.  
وعلم الله المطلق غيب.  
ولا يعلم الغيب إلا الله:

أمَّا ما يقال عن علم الملائكة بآدم وأفعاله فهو في مجال الخبر لا في مجال  
علم الغيب الذي يعتقد البعض أن الملائكة تعلمه.

ونقول لا يعلم الغيب إلا الله مصداقا لقوله تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} 509.

ولقد أطلع الله على ذلك الغيب للملائكة منه لا كله، فصار العلم  
عندهم خيرا، فهم قالوا ما أطلعهم عليه من علم فصار العلم خيرا لأنه  
بين عالم عليهم وبين من عنده خبر.

فقال الله للملائكة: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً).

وتفسيرا لذلك قالوا: ربَّنَا، وما يكون ذلك الخليفة؟ أهذا الذي أعلمتنا به  
من قبل يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم  
بعضًا؟

لذا، قالوا: ربَّنَا، أيجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحْنُ نَسْبِحُ  
بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ. قال إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، يعلم الله طبيعة ذلك



الخليفة وما سيكون من الملائكة الذين لا يعلمون ما سيصير منهم وحتى من شأن إبليس الذي معهم في تلك الحضرة.

وعلمهم ما هو إلا خبر عن قوله سبحانه لهم: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ {510، فخلقه الله بيديه لكيلا يتكبر إبليس على المخلوق بجنسه، ولا الملائكة بعلمهم. لذا، قال تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها)، ثم عرض المسميات على الملائكة، فقال: (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)، أن آدم لا يستحق الخلافة، وأن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء. فقالوا لله: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم). فهنا كانت أوبتهم لمكانهم في العلم بأن علمهم ليس إلا من الله بالقدر الذي أراد.

فقال الله: (يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم). قال: (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبءون وما كنتم تكتمون).

وهنا نقف عند:

وعلم آدم الأسماء كلها

وعلم: فهذا التعليم الذي نقصده

ونتساءل؟

كيف كان التعليم؟

قبل خلقه؟

أم بعد خلقه؟

نقول:

الكيفية بالقدرة (كن).

في مرحلة سويته.

لأنّ العلم تسوية.

والتسوية رحمة.

والرحمة بعلم.

والعلم من الرحمن.

والرحمن الذي علّم آدم لقوله تعالى: {الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان  
علّمه البيان} 511.

الله تعالى افتتح السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة وهو القرآن الكريم،  
فإن شفاء القلوب والأجساد بالرحمة التي تطهر الذنوب لذا كان إظهار  
العلم الرحمة، والرحمة هي تجلي الاقتدار والهيبة والعظمة وهذا ما يتوارد  
لجوارح الإنسان وخواطره عند سماع: (الرحمن) فيتجلى في مظهرين:  
الجلال:

فهو سبحانه:

عزيز.

شديد.

منتقم.

مقتدر.

هذا بالنسبة إلى الكفار والفجار.

وتجلي جمال للمؤمن:

فهو:

رحمن.

منعم.

باسط.

---

511 الرحمن 14.

رازق.

غافر للأبرار.

ثم في الآية دلالات من دلالات العلم:

الدلالة الأولى: في لفظ (الرحمن)

الرحمن اسم علم للذات مصداقا قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا

الرحمن أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} 512، أي، أيًّا ما منهما، ذلك

قلناه في الموسوعة في باب النداء والدعاء بالأسماء إنه صحيح أن نقول:

يا الرحمن كما يجوز أن نقول يا الله.

وقوله تعالى: علم القرآن:

لمن؟

للإنسان الأول.

وهنا نقف عند (علم).

فعلم توحى بالقدم.

لذا تختلف كلمة علم عن أنزل؟

فما دلالة علم؟

وما دلالة أنزل؟

نقول:

إنّ العلم بالقرآن سابق على إنزال القرآن.

كيف؟

لقوله تعالى: (علم القرآن خلق الإنسان).

فالقرآن أنزله الله على الإنسان (محمد صلى الله عليه وسلم).

وعلم القرآن (للإنسان المخلوق بشرا أولا آدم).

آدم الذي علمه البيان الذي من علمه (الأسماء كلها) الذي تعلم منه آدم في حضرة التسوية.

لذا؛ فقد علم الله من القرآن بالقدر الذي يراه إنزالاً للأنبياء مصداقاً لقوله تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} 513. فكيف يؤتى الكتاب وهو طفل لأن سياق الآية يقول، وأتاني يعني أنه قد علمه وهذا ما يدخل في المثل بين آدم وعيسى (إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم) وهذا سيبحث في حينه.

وما علمه من الكتاب ما جاء على لسانه في القرآن: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} 514.

الإنسان:

بالكلي هو آدم وبالنسبي كل إنسان.

والفرق:

أنّ آدم علمه تعليماً.

وكل إنسان إخباراً عن طريق نبي أو كتاب.

علم آدم تسويةً ونفخ.

وعلم في الصدور (مباشرة على دفعة واحدة) وهو العلم الذي تلقاه في السماء

أمّا غيره من البشر (عدا الأنبياء) فعلمهم يقع تحت علم (ما في السطور).

وعلم ما في السطور:

علم الأقلام.

---

513 مريم 30.

514 الصف 6.

لا نفخا ولا وحيًا ولا إلهامًا.

علم القراءة.

لا علم الإقراء.

لذا، لما انتهت الرسالات وأغلق باب الوحي قال الله تعالى لآخر، أذن،  
قد استمعت لوحي السماء، ولآخر وسيط بين الخالق والمخلوق: {اقْرَأْ  
بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي  
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} 515.

وهنا كان التوقف عن:

علم الكليات والانتقال إلى علم الجزئيات.

من علم الأصول إلى الفروع.

من علم الكتاب إلى علم المكتوب.

لذا، نعود إلى قول الله تعالى: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا  
أَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ  
فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ  
كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} 516.

فعلم من الكتاب يختلف ولا شك عن علم المكتوب.

أما علم الكتاب المطلق فهو لله مصداقا لقوله تعالى: {يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ  
الْكِتَابِ} 517.

ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى، لا شك في ذلك، لذا نقول:

- إنَّ علم آدم كان علم من الكتاب الذي به ميزه الله على الملائكة.

وهذا يقودنا إلى رسالة آدم.

---

515 العلق 15.

516 النمل 40.

517 الرعد 43.

نبوة آدم:

بادئ ذي بدء نقول:

إنَّ آدم من المصطفين مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>518</sup>، وهذا الاصطفاء لم يكن اصطفاء تزكية أو اصطفاء سلوك مجرد فقط، فهو ليس كاصطفاء مريم، يقول الحق جل وعلا، ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>519</sup>، فمريم مصطفاة ولكن ليس للنبوة.

أما آدم فقد كان اصطفاءه اصطفاءً خاصا يتمثل في:

اصطفاء تفضيل على الأنواع، وذلك بدلالة أمر الله للأنواع بالسجود لآدم مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾<sup>520</sup>، هنا السجود حصل من نوع الملائكة، ونوع الجن إلا من كفر منهم وهو إبليس، فالجن لم يرفضوا كلهم السجود لآدم بدلالة قوله تعالى: (كان من الجن) وعليه فنوع الجن كان مخلوقا وطائعا لأمر الله بالسجود لآدم إلا إبليس الذي رفض السجود.

اصطفاء تكليف حيث سيكلف آدم ومن بعده أبنائه من نوعه بالقيام بأمر رسالة السماء إلى الأرض ومن عليها ليهتدي الناس بهديهم، ولم يكن لأحد من الأنواع الأخرى مثل هذا الدور فيما نعلم.

اصطفاء نبوة، بدليل ما جاء في القرآن الكريم من خطاب الله عز وجل لآدم وأمره له بالإنشاء بنوة لم يكن في علم الأنواع الأخرى من ملائكة

---

<sup>518</sup> آل عمران 33-34.

<sup>519</sup> آل عمران 42.

<sup>520</sup> الكهف 50.

وجن ما في هذه النبوة، يقول الحق جل وعلا: { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } 521.

وقد استنبط بعض العلماء نبوة آدم عليه السلام قبل إسكانه الجنة من قوله تعالى: (فلما أنبأهم بأسمائهم)، فأمره الله تعالى أن ينبئ الملائكة بما ليس عندهم من علم الله جل وعز 522، وهذا يدل على أن نبوة آدم بدأت من أمر الإنباء الذي أمر الله عز وجل، وكأن الله عز وجل يخبرنا أن هذا الخليفة هو الذي سيكون النبي على الأرض بعد أن كان نبيا في السماء.

ونبوة آدم في السماء هي نبوة العلم المخصوص، وليس من مجال للإنباء بالتوحيد لأنه أمر مستحيل في حضرة الخطاب الإلهي، عليه فالحاصل هو نبوة مضمونها علم معلم من الله عز وجل.

والأمر الآخر الذي يجعل نبوة آدم في السماء نبوة على درجة كبيرة من التفضيل أنها أول، لقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوْلَ قَالَ آدَمُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنَبِيِّ كَانَ قَالَ نَعَمْ نَبِيِّ مُكَلَّمٍ" 523.

أي إنها لم تبلغ عن طريق وحي الملائكة بل كانت بالتكليم، ويين ذلك الخطاب الظاهر في قوله تعالى: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)، والمؤكد بقول الرسول الأكرم محمد صلى الله

521 البقرة 31-33.

522 تفسير القرطبي، ج 1، ص 339.

523 مسند أحمد، ج 35، ص 432.

عليه وسلّم، الذي لا ينطق عن الهوى قال رسول الله قال آدم نبي مكلم  
يعني بغير واسطة إذ من الأنبياء غير مكلمين قال الله تعالى منهم من كلم  
الله 524.

وآدم نبي الأنواع في السّماء، وليس داخل النوع ولذلك لأنّ:

- الجنّ نوع.

- الملائكة نوع.

- حواء نوع اسكن أنت وزوجك.

فهي نبوة مخصوصة لأئها نبوة للأنواع المخلوقة، بأمر الله عزّ وجلّ.  
أمّا موقف الأنواع من هذه النبوة، فالعموم آمن بها حيث كانت الملائكة  
على الإيمان التام، وكذلك الجن وقد استثنى منهم من لم يؤمن وهو إبليس  
ومن معه، وقد أشار الله عزّ وجلّ إليهم بقوله جل وعلا: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا  
يُفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا  
لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ﴾ 525.

وهكذا كان الإيمان:

الإيمان مطلق من الملائكة

مطلق من الإنس حواء

نسبي من الجن لعصيان إبليس

وقد كان التبليغ بالإنباء بدأ بأنباء آدم للأنواع المخلوقة، فأدم أنبا بالذي  
أمره الله عزّ وجلّ، مع أنّ الملائكة والجن كانوا سابقين في الخلق عليه إلا  
أنهم لم يكن لديهم علم بما أنبا آدم، الملائكة والجن علمهما نسبي، لأنّها  
لم تعلم عن آدم سوى أنّه خليفة بما أمرها الله عزّ وجلّ.

---

<sup>524</sup> تنزيه الأنبياء، ج 1، ص 74.

<sup>525</sup> الأعراف 27.



ومرت الأنواع من دون الملائكة لأنها مخلوقات سماوية بسيطرة سليمان  
صلى الله عليه وسلم، { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ  
فَهُمْ يُوزَعُونَ } 526.

ثم انتهى بالكافة المخلوقة برسالة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم  
مصادقا لقوله تعالى: { قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا  
سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ  
تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ  
شَطَطًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا } 527.

آدم على الأرض:

نبوة آدم أول رسالة من السماء إلى الأرض لإقامة الخلافة التي اصطفاه  
الله لها وميزه بها على سائر مخلوقاته في السماء وكرمه على سائر مخلوقات  
الأرض، مصادقا لقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ  
وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } 528.

إذن، نحن بين اصطفاء وتكريم، اصطفاء في السماء وتكريم في الأرض  
لآدم وذريته مصادقا لقوله تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا  
تَفْضِيلًا } 529.

ولسائل أن يتساءل:

ما الفرق بين اصطفاء آدم وبين اصطفاء بقية الرسل؟

نقول:

---

526 النمل 17.

527 الجن 1-6.

528 آل عمران 33.

529 الإسراء 70.

اصطفاء آدم من بين أنواع عدة في الخلق، أمّا اصطفاء الأنبياء من بين نوع واحد في الخلق.

واصطفاء آدم كان في السّماء.

واصطفاء الأنبياء كان على الأرض.

وهذا يدفعنا إلى التّكريم:

فتكريم الأنبياء على الأرض من الله.

ولم يكن هذا التّكريم كلي من الذين بعثوا فيهم، فقد تبلور تكريمهم بين ثلاث:

فريق آمن بهم وكرّمهم.

وفريق كفروا بهم وحالوا إلحاق الأذى بهم وفي بعض الأحيان آذوهم بالفعل.

وفريق لم يسمع بهم فلم يكرّمهم ولم يلحق بهم الأذى.

وهذه المواقف لا تزال شاخصة مع الأنبياء حتّى الآن.

أمّا آدم:

فقد كان اصطفاءه مرتبط بتكريمه مرتبط بعلمه مرتبط برسالته.

فالاصطفاء لآدم كان في مكانين في السّماء وفي الأرض فهو:

في السّماء اصطفاه الله من بين الجن والملائكة للأمر الجليل وهو الخلافة،

لذا فقد علم وعلمت المخلوقات برسالته قبل أن يهبط إلى الأرض الذي

كرّم بسبب دوره فيها، واستفسر حول أداء مهمته عليها بقول الملائكة:

{ أَجْتَعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ

لَكَ } 530.

فلقد قصرت الملائكة دور آدم على الإفساد وسفك الدماء.

وقصرت دورها على (نسبح بحمدك ونقدّس لك).

بينما تعمير الأرض يستلزم الأمران معا وهما عند آدم وليس عند الملائكة، فالتعمير والخلافة يحتاجان إلى تنزيه النفس عن النقائص والمعاصي، لا تنزيه الله لأن الله منزّه ويقتصر دور المسبح المنزه على ذكر أن الله منزّه (سبحان الله) (قدوس قدوس)، بينما الأمر الصعب أن يتنزه المخلوق للخالق، وهذا ما تفقده الملائكة لكونها مجبولة على الطاعة، أمّا من هدي إلى النجدين فيترك الأسوأ إلى الأحسن بالغم من الفتن التي تحيط به ليختار الأسوأ، ولأن آدم هو الذي يمكن أن يقهر رغبته في الأسوأ إلى الأحسن فهو الذي يستحقّ الخلافة على الأرض لأنّ هذا الاختيار من طبيعة الحياة عليها، وليس من طبيعة الحياة في السماء، لذا فآدم الذي يستحقّ الخلافة لأنه يجمع بين النقيضين، إمكانية المعصية والطاعة اختياراً.

لذا؛ فقد سلّح الله آدم بسلاح يسيطر به على الأرض ويقيم الخلافة عليها ألا وهو سلاح العلم بالأسماء الحسنى، وهذا السلاح العلمي الذي علمه الله لأدم لم يكن عند الملائكة، فأقام آدم الخلافة على الأرض تأسيساً على هذا العلم الوهبي الذي لم يُعلّم للملائكة، مع قدرة آدم في تدبير العلوم العقلية الكسبية التي استنبطها آدم من خلال النظر والتجربة، وهذا لم يتأت للملائكة بأية حال من الأحوال. وعليه:

- فنبوة آدم سماوية أرضية.
- سماوية الملامح أرضية التفاصيل.
- سماوية الأصول أرضية الفروع.
- سماوية المبادئ أرضية التطبيق.

لذا؛ فهو النبي الأوّل المكلم الذي تلقى العلم والرّسالة بالأمر (كن) لقوله تعالى: {فإذا سويته ونفخت فيه من روحي} 531.

فقد كان علم الله الذي أراد أن يعلّمه لآدم وطبيعة الرّسالة محتويين في هذه النفخة، ثمّ جاء دور التشريع والتفضيل في صورة خطاب حضرة الكلام وما ترتب عليه من تكريم آدم على مخلوقات الحضرة الكلامية. وما ترتب على نسيان آدم وأكله من الشجرة التي تّوهم أنها شجرة الخلد من هبوط لأداء رسالته وتحوّلها من الجانب السماوي إلى الجانب الأرضي.

ولا نستطيع أن نفصل بين خلافة آدم ورسالته، فقد كانت عين الرّسالة في الخلافة والعكس صحيح، فخلافته لن تكون عبثاً ولا تجارب ذاتية محضة، بل المؤكّد أنها سيكون لها من المبادئ الممنهجة التي تدعمها وتجعلها صالحة لأداء ما أرسل به آدم.

وهنا نتساءل

ما كينونة رسالة آدم؟

ممن؟

ولمن؟

وبما؟

ولما؟

وعلى أيّ مسرح؟

تكمن رسالة آدم في أنها عين الاصطفاء النوعي والجنسي الاثنان في آن واحد.

النوعي: في تمام القدرة على أدائها بشكل يتواءم مع القدرات التي أعده الله بها، والتي لم تتح لغيره من أنواع الخلق الذين تساءلوا وعصوا بسبب خلافة آدم.

الجنسي: فقد كان آدم النفس الأولى التي سواها الله في جنسه والتي ستمكّن لبقية الذرية أن تستمر على الأرض للخلافة بما أرسل به آدم. ولقد وافقت شخصية آدم بين ما هو سماوي وما هو أرضي بالشكل الأمثل الذي سار بعد ذلك أنموذج لبقية ذريته، وفي حال ضياع ذلك الأنموذج أرسل الله الرّسل للتذكير بدور هذه الذرية على الأرض سلوكيا وعقائديا.

مصدقا لقوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} 532.

فإن قيل أنّ الناس الذين تلوا آدم أمة واحدة على الإيمان الذي عرفوه عن آدم لأنهم تلقوا عن ذات النموذج الأمثل المعد للخلافة على الأرض، حيث كانت تعاملات آدم وسلوكياته على الأرض تمثل نوعا من الرّسالة العملية لا القولية لنفسه ولزوجه ولأبنائه وبمجموع هؤلاء كانت اللبنة الأولى للناس ناهيك عن ذرية هؤلاء الذين تلقوا من المعين الأصل بالرّسالة الأولى على الأرض.

وهنا نتساءل:

هل الناس الذين كانوا مع آدم كانوا جميعهم على الإيمان؟

هل الذي تلوه مباشرة كانوا على الإيمان؟

أم كانوا على الكفر؟

أم كانوا على الاثنتين؟

إننا نرى أنهم كانوا أمة واحدة في المجموع الاجتماعي، وغير واحدة في المجموع السلوكي، كيف؟

الدليل من القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: {وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَمْ يُتَقَبَّلُ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ} 533.

فابني آدم من أمة واحدة اجتماعيا وليس كذلك سلوكيا.

ومن يرى أنّ الأمة هم القوم المجتمعون على الشيء الواحد يقتدي بعضهم ببعض، وهو مأخوذ من الإتمام، فهذه الآية تنقض ذلك حيث إنّ السلوك الاجتماعي والاتجاه العقائدي يفرقان بين المرء وأخيه وزوجه وبنيه.

فإنّ دلت الآية على أن الناس كانوا أمة واحدة، ولكنها لم تدل على أنّهم كانوا أمة واحدة في الحقّ عقائديا وسلوكيا أم في الباطل عقائديا وسلوكيا.

فآية ابني آدم تدل على أن جانبا كان على الحقّ، ومنهم الابن الذي تقبل الله قربانه.

وأنّ جانبا كان على الباطل ومنهم الابن الذي لم يتقبل قربانه. مع وجود آدم وهو النبي والخليفة على الأرض بينهما.

وهذا الخلاف الحادث بين الابنين لم يكن خلافا عقائديا بل خلافا سلوكيا، فالقاتل ما قتل إلا بسبب الحسد لأن الله تقبل قربان أخيه ولم يتقبل قربانه.

فغضبه وحسده وقتله لأخيه من أجل عدم تقبل قربانه من الله. وعليه فالإيمان وحده لا يفيد دوما سلوك يؤيده ويدعمه. ومن هنا يتبين أن الناس في عهد آدم وحتى أول رسول بعده على احتمالات منها:

- أن يكون الناس أمة واحدة اجتماعيا
  - لم يكونوا أمة واحدة سلوكيا
  - ثم من الجائز أن يكونوا:
  - أمة واحدة عقائديا
  - أو أنهم أمة واحدة اجتماعيا.
  - أو يكونوا أمة واحدة اجتماعيا وغير واحدة عقائديا.
- والشاهد على ذلك قول الله تعالى: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلم يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 534.
- فسيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان أمة من حيث العقيدة. والمشركون كانوا أمة من حيث العقيدة التي يعتقدون فيها غير عقيدة سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم.
- وذلك بغض النظر عن العلاقة الاجتماعية الرابطة أو الفارقة بين سيدنا إبراهيم والمشركين في عصره.
- وآدم كان أمة في السماء.
  - وكان أمة في الأرض.
  - وكان آدم يمثل كل الأنبياء في عصره فهو يشر وينذر.

---

534 النحل 120.

- وكل نبي يمثل آدم في عصره فهو يبشر وينذر، لذا (بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين).

مبشرين: يبشرون من كان على ما كان عليه آدم سلوكا صحيحا وعقيدة سليمة.

ومنذرين: يندرون من انحرف سلوكيا وعقديا.

لذا يمكن أن نقول: إنّ آدم بشر من سلك سلوكا حسنا، ونعتقد أن العقيدة في عهد آدم لم تخرج عن سياقها الصحيح، حيث لم يُعبَد في عصر آدم على الأرجح من دون الله، ولم تعرف أمة آدم الأولى الشرك بأنواعه، وهذا من خلال عموم القرآن الكريم، ونرفض ما جاء في الإسرائيليات من مثل: إن آدم سمى ابنه عبد الحرث تمنا بالشیطان حتى يعيش حيث كان من أسماء إبليس الحرث، فهذا لا يستقيم نقلا ولا عقلا.

فآدم أو مبشر وأول منذر وأول نبي للكافة.

ونبوة آدم في الأرض كانت نبوة أرضية تحتاج من هو مكلف عليها من الإنس والجنّ وتلزمهما بعقيدة وسلوك، ولم تكن نبوة آدم مجهولة المصدر لمن جاءوا بعده فيتساءلوا:

### نبوة آدم:

نبوة من الله الذي خلقه وسواه وعدله في أي صورة ما شاء جعل أبناءه على صور متنوعة في الرسم متفقة في المرسوم، متنوعة في الشكل متفقة في المعنى والهدف والرّسالة.

من الله الذي قال لآدم: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 535.



ونبوة آدم أو المرسل إليه من ربه (هو الهدى) وقال الله (يأتينكم) للذين هبطوا فدخل مع آدم آخرين.

والهدى من يتبعه لن يضل ولن يشقى كما في سورة طه.

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فالخطاب جمعي.

ولكن من المؤكد أنّ النبي آدم هو الذي انزل عليه الهدى لأنّه المكلف بالرسالة وبالخلافة.

كما أنّ الأنبياء من بعده من الإنس من ذريته.

ولم يصل إلينا أنه كان أنبياء من الجن للإنس.

ولم يصل إلينا أنه كان أنبياء من الجن للجن.

ولكن ما تأكد صحته أن أنبياء الإنس هم المبعوثون للإنس والجن مصداقا لقوله تعالى: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} 536.

وهنا نتساءل:

هل يمكن أن يكون من جنود نبي من أنبياء الله جند كافر؟

نقول: لا يستقيم في حقّ الأنبياء أن يكون من جنودهم كافر.

وكان مجلس سليمان مجلس علم وإيمان وأمر بمعروف ونهي عن منكر،

فهل من المعقول أن يكون في مجلسه كافر يستعين به في قضاء مهمة

إيمانية لنشر الإسلام كما حدث في خطاب النبي سليمان صلّى الله عليه

وسلم وعفريت الجن؟

بالطبع لا، لأنّه لا يستقيم شرعا ولا عقلا:

شرعا لأنّ الله لا يجعل من جنود النبي كافر.

الكافر لا يدعو غيره للإيمان والإسلام.

النبي لا يدعو كافر من جنسه ولا من غير جنسه لأن يؤدّي مهمة ليست من عقيدته لأنه لن يؤدّيها بنية صادقة.

فصل الخطاب في قول الله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُعْجِزًا فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} 537.

وعليه فالنبي الإنسي يكون للجنّي والعكس غير متحقّق.

وبما أنّ الهبوط كان جماعي ولم يكن أحادي أو ثنائي نتساءل:

هل الهبوط كان لآدم وزوجه وإبليس فقط؟

أم كان هناك جمع آخر على سبيل المثال الجن الذين كانوا في خطاب الخلق والسجود؟

أم كان الهبوط لإبليس وزجه إن كان له زوجة؟

وهل لإبليس ذرية كما لآدم ذرية؟

وعليه يتحدد لمن كانت نبوة آدم؟

في السماء

وفي الأرض

- كانت في السماء لمخلوقات الحضرة بشكل غير مباشر بغير بشارة أو إنذار، فالبشارة والإنذار من دور الرسول والنبي على الأرض لا في السماء.

ونبوة آدم في السماء حتى تعلم الملائكة أن الجبل على الطاعة الذي  
يمكن من فعل ما يرضي الله لأقل شأن من التخيير بين الفعل ونقيضه  
ليصبح من يتقوى بطاعته على معصيته أفضل ممن انتفت عنده اختيارات  
المعصية.

وفي الأرض:

كان آدم لنفسه ولزوجه وأبنائه.

فهو قد عرف عدوه في السماء والذي ما زال يلاحقه في الأرض.

فهو قد عرف طريقه ولن يضل عنه ولن يبتعد عنه.

فهو قد تلقى الدرس القاسي وهبط من الجنة.

إذن نبوته متحققة لنفسه ولذريته ولزوجه.

فهل كان نبيا للجن؟

سبق أن أوضحنا أنّ نبوة آدم متحققة للجن في السماء.

ولكن هل تدخل ذرية إبليس (هو وقبيله) فيمن تشملهم نبوة آدم؟

بالمنطق نقول: نعم.

كما أنّ ذرية آدم تشملهم غواية إبليس.

لأنّ الله قال في البقرة وطه، {فَأَمَّا يَا تَبِئْتِكُمْ مِئِّي هُدَى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 538. {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا تَبِئْتِكُمْ مِئِّي هُدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَشْقَى} 539.

فلم يتحدد من يتبع الهدى آدم وذريته أم ذرية إبليس.

وعليه:

فقد يدخل في الهدى من ذرية إبليس.

وقد يدخل في الضلال من ذرية آدم.

---

538 البقرة 38.

539 طه 123.

وبما أنّ آدم هو الخليفة فهو المنزل عليه الهدى، من غير جزم أنّ ذريته سيتبعون ذلك الهدى أم إنّهم سينصرفون عنه.

وان ذرية إبليس ستتبع الهدى أم ستسير في الضلال على سنة أبيها. وهنا يبدو تساؤلاً:

هل يخل من يؤمن من ذرية إبليس الجنة؟

وهنا آراء:

1- لا يدخلون الجنة "قال ابن عباس: لا يدخل مؤمنو الجن الجنة؛ لأنهم من ذرية إبليس، ولا تدخل ذرية إبليس الجنة" 540. يدخلون الجنة:

ونحن نرى هذا الرأي انطلاقاً من القرآن الكريم، فمؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئْتُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ 541.

وهؤلاء هن الحور العين المكنونات في الجنة فكيف يصل غيرهم الجن عن لم يكونوا في الجنة، وقوله تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجنّ هذه الآية بالشكر القوي أبلغ من الإنس، فقالوا: ولا بشيء من آلائك ربّنا نكذب، فلك الحمد، مصداقاً لقول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم: "عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ لَقَدْ قَرَأْتُمَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كَلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، قَالُوا لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلكَ الْحَمْدُ" 542.

<sup>540</sup> تفسير ابن كثير، ج 7، ص 303.

<sup>541</sup> الرحمن 74.

<sup>542</sup> سنن الترمذي، ج 11، ص 99.

فلم يكن تعالى ليمتت على الجن بجزء لا يحصل لهم.  
 فإنه سبحانه وتعالى إن كان يجازي كافرهم بالنار- وهو مقام عدل-  
 فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة -فهو مقام فضل-أولى وأحرى.  
 ومن المعلوم أنّ الجن منهم المؤمن والكافر الصالح والطالح وهم ينتظرون  
 الهدى ويبحثون عنه منذ الهبوط مع آدم (فإما يأتينكم مني هدى) لذا،  
 فمؤمنهم في الجنة وكافرهم في النار مصداقاً لقوله تعالى: {وَأَنَا مِنَّا  
 الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا وَأَنَا ظَنَّنا أَن لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي  
 الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى أَمْنَا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا  
 يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ  
 فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} 543.

وفي الآيات دلائل منها:

- 1- إنّ الجنّ مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فأمنوا بالرّسول  
 صلّى الله عليه وسلّم.
- 2- أنّ الجنّ مكلفون كالإنس.
- 3- أنّ الجنّ يستمعون كلاماً تفهمه من لغتنا فهي على علم بالعربيّة.
- 4- أنّ المؤمن منهم يدعو غيره من الجنّ إلى الإيمان.

فصل في بيان أصل الجن:

اختلف العلماء في أصل الجنّ، فروى الحسن البصري أنّ الجنّ ولد  
 إبليس، والإنس ولد آدم ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء  
 في الثواب والعقاب، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء كافر فهو شيطاناً، روى  
 الضحاك عن ابن عباس أنّ: الجنّ هم ولد الجان، وليسوا شياطين ومنهم  
 المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين ولد إبليس، لا يموتون إلّا مع إبليس،  
 وروي أنّ ذلك النفر كانوا يهوداً" 544.

543 الجن 11-15.

544 تفسير الباب لابن عادل، ج 15، ص 496.

وعلى ما تقدّم فأدم صلّى الله عليه وسلّم:

نبيا لنفسه.

نبيا لزوجه.

نبيا لأبنائه.

نبيا لذريته.

نبيا إلى الجن المكلف.

وبما كانت نبوته؟

كانت نبوته بإحقاق الحقّ وإزهاق الباطل.

- الحقّ.

- الإصلاح.

- عدم الإفساد.

- صون الدماء.

- عدم سفك الدماء.

- تسبح الله.

- تقديس الله.

- العدل.

- المحبة.

- تقدير الآخر.

إلى ما غير ذلك من أسس لا تخلو أية رسالة لنبي بعد آدم ممّا أرسل به

أدم لخلافة الأرض على أساس مرضاة الله.

**فضائل آدم:**

من الفضائل والقيم في حياة آدم صلّى الله عليه وسلّم:

المعصية والاستغفار.

- سيدنا آدم أوّل البشر المخلوق بدون أب وأم مخلوق بالقدرّة الإلهية  
(كن) فكان آدم بالأمر الإلهي وفق المشيئة وهو أبو البشر أجمعين ينسب  
إليه ولا ينسب هو إلى أحد، وهو صلّى الله عليه وسلّم المنوط:  
بتحقّق الخلافة على الأرض.  
بعد استحقاقها في السّماء.  
بعد حضرة الكلام.  
ولغة العلم.  
وسجود التشريف له.  
من الملائكة والجن.  
واختبار العزم في الحفاظ على نعيم الجنّة:  
ونسيان العهد:  
والضعف أمام الإغواء: { وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } 545.  
والاقتراب من الشجرة.  
والنيل منها.  
والعقاب.  
والندم.  
والاستغفار.  
والتوبة.  
والهبوط.  
والاستخلاف.  
وعليه: فيما أنّه الخليفة الأوّل (نصا) فهو أبو الخلفاء من بعده جميعا.  
-أبو الخلفاء.  
أبو العاصين.

أبو النادمين.

أبو التائبين.

أبو المستغفرين.

أبو الطائعين.

أبو الطاغين.

أبو اللغة.

أبو الشرائع.

أبو العلوم.

أبو الأنبياء

وعلى الإجمال (أبو المتناقضات من البشر) تحت قاعدة: (الاختيار بين الخير والشر).

وكان بلاء آدم منذ خلقه متحقق ومتمثل في:

الاعتلاء بالجانب الإلهي الذي يمثله:

الملائكة الطائعون بالملق لما أنبأهم آدم من علم الله على لسانه.

الهبوط بالجانب الشيطاني ويمثله:

إبليس بالجانب الشيطاني الفاسق عن أمر الله بالملق.

قال الله تعالى: {إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} 546.

وكان عداء إبليس لآدم:

- لأنّ آدم لم يفسق عن أمر ربّه وحتى لو عصى لأنّه لم يصر على الذنب.

- إبليس عصى وفسق عن أمر ربّه لأنّه أصر على الذنب.

- وعليه فباب الرجوع لآدم عن المعصية مفتوح.

---

546 الكهف 50.



- باب الرجوع عن الفسق (مغلق) أغلقه إبليس بجداله مع الله في توهم فضله الزائف على آدم بنوعه.

- آدم يمكن أن يعصي ويتوب.

- إبليس عصي ولم ولن يتوب.

فهو بذلك في معصية متصلة.

ومن هنا، كانت التناقضات في الفعل الآدمي منذ وجوده في الجنة حتى هبط منها.

وهذه التناقضات تمي إلى الجانب الخيري المفتوح دائما بالرجوع عن الذنب وعدم الإصرار عليه.

وعليه نتساءل:

هل كان آدم نبي في السماء؟

وإذا كانت الإجابة بالإيجاب فما المترتب على ذلك؟

وإذا كانت الإجابة بالنفي فما المترتب على ذلك؟

وهل يجوز للنبي أن يعصي الله؟

أو هل المعصية متحققة في حق الأنبياء؟

من المؤكد أن آدم كان نبيا على الأرض وليس منبئ.

فهل آدم أخطأ على الأرض؟

هل نسي آدم على الأرض؟

هل أنقص عصيان آدم في السماء حقه في الخلافة على الأرض؟

من المعلوم أن آدم أخطأ في السماء هو وزوجه، وهذا هو الحقيقة المثبتة

في القرآن والراسخة في أذهان معظم الأمة والتي تخالف ما ورد في كتب

أهل الكتاب (يراجع سفر التكوين) في التوراة، حيث مثبت فيها أنّ

حواء قامت بقبول غواية إبليس أولاً ثم ساهمت معه في غواية إبليس.

ولكن هذه القضية تحتاج منّا قراءة جديدة تتعمق في النص تفككه

وتتأمل مفرداته بشكل جديد.

يقول الله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} 547.

لقد ذكرت قصة آدم في القرآن خمس مرات قبل هذه الآيات وهذه هي المرة السادسة: في سورة البقرة ثم في الأعراف ثم في الحجر ثم في الإسراء ثم في الكهف وهنا ربط بين إشارات القصة في السور الأخرى وبين ملمح جديد في هذه الآيات بالتحديد تعويلا على أهمية القرآن الكريم وما فيه من آيات وعبر تسبق ما دار لآدم من أحداث توحى بحقائق قد تكون جديدة في مجال قراءة تحليلية لنص القرآن الكريم قال الله تعالى {وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} 548، فما الذي سيحدثه تكرار النص الذي يتناول قصة آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقد نبه الله آدم وذريته من عداوة إبليس لهم أجمعين.

- وله ولزوجه خاصة فقال الله تعالى: (إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ).  
- وبالرغم من التنبيه فقد نسي آدم وحده (ولم نجد ذكر لزوجه في النسيان).

- نسي آدم وترك ذلك العهد.  
قديم.

- وقد عهد الله لآدم فقط ولم يعهد لزوجه ألا يأكل من الشجرة ولا يقربها

<sup>547</sup> طه 115-122.

<sup>548</sup> طه 113.

- وقال الله تعالى: (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)، ولم يقل سبحانه ولم نجد لهما عزمًا. والعزم التصميم بقوة على فعل الشيء أو تركه بإرادة، فسواء فعله أو تركه فهو نتيجة ما عزم عليه، مجتازا ما يترتب على الفعل إن فعل والترك عن ترك.

- فلم يكن له عزم بالقيام بالطاعة.

- أو لم يكن له عزم موجود على ترك المعصية.

- أو لم يكن له عزمًا على التحفظ والاحتراز عن الغفلة بالاحتياط في كيفية الاجتهاد بالبعد عن المعصية.

ففي الآيات لا ذكر لحواء فعليه قد تكون:

- لها عزم.

- لم تأكل من الشجرة.

- لم تنه عن الشجرة نهيًا مثل نهي آدم

أو:

- ليس لها عزم مثل آدم.

- أكلت من الشجرة.

- نهيته عن الشجرة بحيث يكون الأمر والنهي لآدم يشمل زوجته (وهذا نرجحه). بدليل قوله تعالى: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} {549، فهو منبئ لها بما يؤمر به وينهى عنه.

والتساؤل هنا:

ما دلالة قوله تعالى: (فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ).

(يخرجنكما).

وهل المخرج من الجنة إبليس؟

أم فعل آدم الذي فعله؟

أم الله سبحانه وتعالى نتيجة لفعل آدم بوسوسة إبليس؟

نقول:

الله يجازي على الإحسان إحسانا والضد بالضد مصداقا لقوله تعالى:

{ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } 550.

ويقول الله تعالى: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ

فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } 551، { مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا

مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ دَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ } 552.

فذلك:

- لأنَّ إحسان الله سبحانه بالمطلق.

- وإحسان الإنسان بالنسي في المجالين الإلهي والإنساني.

- إحسان الإنسان لله بالعبادة هو للإنسان وليس لله مصداقا لقوله

تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ

لِّلْعَبِيدِ } 553.

وعليه:

فالمخرج لهما من الجنة هو الله تعالى بما أساء، لقبول آدم وسوسة إبليس

وفعل ما ترتب عليه الخروج.

ومن المؤكد إنَّ زوج آدم قد فعلت ما فعل آدم؟

وإلا لما هبطت معه من الجنة؟

وهنا يبدو تساءل:

---

550 الرَّحْمَنُ 60.

551 النِّعَامُ 160.

552 غَافِرٌ 39-40.

553 فَصَلَتْ 46.

- لما أسند الله في القرآن الكريم إلى آدم وحده فعل الشقاء دون زوجه مع اشتراكهما في الفعل (الأكل من الشجرة)؟  
قد يكون ذلك لأنّ آدم هو القيم على زوجه وسيشقى بعد الهبوط بإطعامها، وهو كان في حلّ من السعي على هذا القوت.  
أو لأنّه سيشقى بما سيناله وزوجه من الأثر المترتب على فعل الأكل من الشجرة. وبهذا يكون الشقاء على وجهين:

مادّي: إذا أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة في المتعارف عليه، وإن لم يكن في جميع الظروف. لقوله تعالى: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى)، وبهبوطه سيكون من المفروض عليه أن يحقق ما كان له في الجنة بقدر استطاعته، وهو لن يحقق ذلك لأن الأول من فعل الله القادر بالمطلق، والثاني من فعل آدم في دائرة النسبية.

- معنوي: بما سيناله من ندم على ما صدر منه.  
وما يؤكد أنّ الأمر لحواء كان طريق آدم قوله تعالى: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى).

وهنا أربع حاجات تتطلب أربع مشبعات ضمنهن الله لآدم في الجنة:  
1- ألا تجوع.

ولا تعرى.

لا تظمأ.

4- لا تضحى

والشبع والري والكسوة والسكن في الظل هي الأسس التي يدور عليها أمر الإنسان في حياته. فذكر الله تعالى حصول هذه الأشياء لآدم في الجنة من غير حاجة إلى الكسب والطلب وذكرها بلفظ النفي لأضدادها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحى ليخترق سمع آدم بعضاً ممّا سيناله

من ألوان الشقاء التي حذره منها حتى يجتهد آدم في الابتعاد عن السبب الذي يوقعه فيها، وهذه الأشياء كلها مما سيجده آدم في قوله: فتشقى. وما ينسحب على آدم ينسحب لا شك على زوجته، لأنها سيصيبها من الشقاء جانب لا محالة مما سيصيب آدم في حال عن وقع في المحذّر منه.

- والوسوسة كانت لآدم من إبليس وليس من زوج آدم.

- ولم يثبت أن إبليس سوس لها فلم يكن لها نصيب من الوسوسة كما في ظاهر الآية وهذا ما سيخالفنا فيه البعض الكثير. مصداقا لقوله تعالى:

{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى} 554، فلم يقل الله: وسوس إليها.

وعليه:

الوسوسة كانت من إبليس لآدم.

- الأكل كان من آدم.

ونتساءل:

هل زوج آدم أكلت معه؟

أم الأكل إبليس وآدم؟

- والمعصية كانت من آدم.

يقول الله تعالى: {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} 555.

والمعنى الأوّل:

فوسوس إليه.

فأكلا منها.

<sup>554</sup> طه 121-122.

<sup>555</sup> طه 121-122.

فقد يكون المعنى (أكل الموسوس والموسوس له) وليس لزواج آدم نصيب من الوسوسة وعليه ليس لها نصيب في الأكل.

فأكلا:

الكل قد يكون من إبليس أو لا طمأنةً لآدم ثم من آدم إتباعاً لإبليس الذي وسوس له بأمر عظيم توقع آدم أنه سيتحقق إذا أكل آدم من الشجرة المحرمة التي ستجعله من الخالدين.

وقد يكون إقدام آدم على هذا الفعل السلب بغرض موجب في ذهنه كأنه سيستخدم ذلك الخلد الوهمي عن تحقق في عبادة الله، وهذا تبرير ضعيف حيث لا يتقوى بالمعصية لإنجاز فعل طاعة، كالذي يستعين بمسكّر لعدم النوم طلباً في قيام الليل.

وعلى كل فآدم عصى ولكن لم تكن نيته الفسق عن أمر ربه وعدم التوبة والاستغفار إن تحقق له أن وقع في الخطيئة، وهذا ما فعله آدم لما انتبه على وقع المصيبة التي حلت به وبزوجه.

ندم.

استغفر.

تاب.

هبط.

لم يعص ثانية على الأرجح.

وهذا من موجبات المعصية التي ليست بإصرار لأنها تدفع للعودة إلى الوضع الموجب الذي خلق له آدم.

العبادة.

والطاعة.

والاستخلاف.

ولأنّ الإنسان يطمع في المجهول، وكل ممنوع مرغوب بقدر ما باختلاف الهواء والحاجات، وإذا وصل الإنسان إلى المرغوب الممنوع شعر بأنه لا قيمة له ولا فائدة فيه عاد وندم. لذا، كانت الوسوسة بممنوع غير متحقّق من إبليس وإن كان متحقّق من الله.

الوسوسة كانت بتطميعة في أمرين:

1- الخلد: فقال إبليس كما في النص القرآني، (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخلد)، أضاف الشجرة إلى الخلد فكل من أكل منها صار مخلدا بزعم إبليس.

وهنا تبدو لمحة في غاية الأهمية:

كلمة (أدلك) للمفرد المذكر المخاطب، وليس للمؤنث أي وجود حضورا أو غيابا، فالمدلول على الشجرة بالوسوسة آدم وليس زوجته، وهذا يرجح أن الآكلين من الشجرة (إبليس وادم) وليس آدم وزوجه.

- الملك الدائم في قول إبليس في النص القرآني: (وَمُلْكٍ لَّآبِيلَى) فكل من أكل من هذه الشجرة دام ملكه، وهنا ما زال الخطاب لإبليس وموجه إلى آدم.

وهنا نتساءل:

أليس آدم من عباد الله المخلصين أم لا؟

هل تتحقّق الغواية للمخلصين؟

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ مَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ



لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ إِنَّ  
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ {556}.

وعلى ضوء الآيات:

إن كانت الإجابة بالإثبات.

امتنع وصول إبليس إلى آدم لغوايته.

وإن كانت بالنفي.

امتنعت نبوته، لأن كل نبي مُخْلِص.

وهنا نعود على ما أسلفنا قوله:

آدم منبئ في السماء وليس نبي.

آدم نبي في الأرض وليس منبئ.

وذلك لعدم وجود الملائكة الذين سألوا عن خلافة آدم.

فذلك يقطع كونه منبئ.

ويفتح كونه نبي لذريته.

لذا، كل نبي مخلص.

كل منبئ ليس مخلص.

ولم تقع معصية من أي نبي بسبب غواية إبليس له على الأرض وفق ما  
قرناه.

وفق النص القرآني:

فإنَّ غواية آدم متحققة في السماء لا في الأرض مصداقا لقوله تعالى:

{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} {557}، وهذا

كان قبل الهبوط، وهنا أيضا لم يظهر أي دور لرج آدم، وكان ما وصل

إلينا وكنا نعتبره من المسلمات يشوبه الآن غموض غير قليل.

ونقول: إنَّ آدم الذي كان في السماء غوى بدليل القرآن (فغوى).

---

556 الحجر 39-46.

557 طه 21-22.

أما آدم في الأرض فهو من المخلصين مصداقا لقوله تعالى: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ).

والدليل الدامغ في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ).

- في الأرض وليس في السماء.

- عبادك (المخلصين) في الأرض.

- عبادي في الأرض ليس لك عليهم سلطان وليس في السماء حال وجود آدم عبد مفرد، وإذا جاز لنا الزيادة فاثنان آدم وزوجه، وهذا المثني لا ينطبق عليه الجمع المتمثل في قوله تعالى (عبادي)، وهذا ذلك الحوار كان قبل الهبوط.

وعليه فنحن نرجح:

- إنَّ آدم أذنب عصي وغوى في السماء.

- آدم لم يعص ولم يغو على الأرض لأنه مخلص من المعصية ومن الغواية.

- زوج آدم لم تخضع للوسوسة.

- زوج آدم لم توسوس لآدم كما هو شائع تأثرا بالنص التوراتي.

- زوج آدم لم تعص.

- زوج آدم لم تكن غاوية.

وهنا نتساءل تأسيسا على ما سبق:

يقول الله تعالى: (فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى).

- من الآكلين؟

من الذين بدت سواتهما؟

من اللذين طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة؟

- النص يبدأ بوسوسة من إبليس لآدم فهما اثنان.

- الكل من اثنين المخاطب والمخاطب.

- عليه فيكون هذا في سياق متصل (فبددت سوءة الأكلين) إبليس وآدم والضمير (ألف الاثنين) يدل على حاضرين لا عل حاضر وغائبة، ومنا تحققت معصية آدم.

ولكن هل هذا الفعل هو معصية تستلزم إطلاق (عاص) على آدم، مع كون آدم سيتوب ويستغفر ويستخلف في الأرض وسيكون نبيا؟  
نقول: هذا قول الله ولا يجوز لغيره فإنه لا يُسأل عما يفعل والكل سيسأل.

ولا يجوز لنا إطلاق المعصية على آدم لأنها حصلت منه مرة واحدة، كما أننا لا يجوز أن نطلق على الصحابة كفار لأنهم كانوا هكذا قبل الإسلام، ثم بالإسلام الذي يجب ما قبله انزاح لقب كافر إلى لقب مسلم مؤمن صحابي جليل.

- كما إننا لا يجوز أن نطلق لقب شارب للخمر على من تاب منها، وكذلك في بقية الذنوب التي لم يقع فيها الأنبياء فكيف عندما نتناول سيرة نبي.

- إلا أنّ زوجه لازمته في مرحلتي الجنة والهبوط إلى الأرض بغير يقين أنها وقعت منها مما وقع من آدم رغم وجود نص يقول الله فيه: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ

الْجَنَّةَ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَخْبُكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ  
لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ {558}.

وهنا نتساءل:

ألا يمكن أن تكون الوسوسة وقعت مرتين؟

مرة بين إبليس وادم.

ومرة بين إبليس وادم وزوجه.

ألا يعني ذلك أن آدم أكل مرتين، وحواء أكلت مرة واحدة هي التي

حدثت في الوسوسة الثانية

ألا يعني ذلك أن السوءة التي بدت بدت مرتين؟

1- سوءة إبليس وادم.

2- سوءة آدم وزوجه.

وهل تكون السوءة هي العورة الجنسية فقط؟

أم يمكن أن تكون سوءة المعصية ورفع لباس الأمن في الجنة بتقوى الله

وعدم معصيته، فتكون السوءة هنا معنوية وليست مادية مصداقا لقوله

تعالى {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ

إِلَىٰ حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا

عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ

آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ

أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ

وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ {559}.

558 الأعراف 119-122.

559 الأعراف 23-27.

فلما عصيا في الوسوسة الثانية بدت المعصية وهي السوءة التي نقصدها،  
قالا: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

- ثم نجد الله ينبه ذرية آدم وزوجه بألا يقعوا فيما وقعا فيه أبواهما، ومن  
هنا يستبين معنى السوءة (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي  
سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ).

فما المقصود من لباس التقوى؟

هو الذي نزع عن آدم وزوجه الذي كانا يتقيان به من إبليس فلما عصيا  
في الوسوسة الثانية نزع هذا اللباس فبدت سوءة المعصية.

- مع كون المعنى المادي لم يزل قائما، غير أننا اجتهدنا كما اجتهدنا من  
قبل في كون السجود كان مرة أم مرتين، وتوصلنا إلى أنه كان مرتان.  
وعليه:

فالوسوسة كانت مرتين:

الأولى: من إبليس لآدم بمفرده.

الثانية: من إبليس لآدم وزوجه.

- إن الذي نزع عنهما هو لباس التقوى، وان السوءة التي بدت بين آدم  
وبين إبليس في الوسوسة الأولى سوءة المعصية التي عليها إبليس، وسوءة  
الزلة التي وقع فيها آدم، والتي هي من الممهدات للهبوط على الأرض  
لمزاولة الاستخلاف.

- السوءة الثانية كانت بين آدم وزوجه ونرى أنها سوءة المعصية لا السوءة  
الجنسية.

- بالرغم أن معصية آدم كانت في الجانب السلبي إلا أنّ لها من  
الإيجابيات:

- فتحت باب الرحمة.

التوبة.

الندم.

الاستغفار.  
العودة للموجب.  
الاعتراف لله.  
عدم الاعتراف لغير الله.  
توخي الحذر من الوقوع في الذنب.  
عدم الإصرار على الذنب.  
عدم اليأس.  
معرفة العدو.  
الاستعداد الأرقى.  
فتح مجالات الأمل.  
مواصلة الموجب.  
اجتناب السالب.  
المستقبل أزهى من الماضي.  
الموجهة للعدو.  
مواجهة النفس.  
الاعتراف بالتقصير.  
الثبات على الأفضل.  
التغيير سنة الكون.  
الموجب يذهب بالسالب.  
الحقّ يزهق الباطل.  
الحسنات يذهبن السيئات.

تحت قاعدتي {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} 560. و{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} 561.

### نبوة آدم نبوة كافة:

النبي بصفة عامة: مخبر عن ربه نبأ عظيم، يهدف إلى تغيير في المجتمع على صعيد من الأصعدة، قال الله تعالى: {عم يتساءلون عن النبأ العظيم} 562 لذلك فقد وصف الله ما جاء النبي ليخبر به بالنبأ بالعظيم.

والنبي يكون مرسلاً برسالة ذات شريعة وأحكام، أو يرسل برسالة رسول آخر على شريعته يدعوا إلى ما دعا إليه، يرشد الناس إلى الحق الذي اختلفوا فيه أو بدلوه، ليعالج نقصاً ما طرأ على المجتمع.

وآدم من رسل كافة: وهم الذين يتوجهون إلى كافة الأجناس يستهدفون سائر الأماكن والأزمان، ويعالجون الكليات على مستوى الخلق جميعاً كسيدنا آدم وسيدنا نوح وسيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم. فسيدنا آدم كان للكافة (المحدودة) التي في عصره والمتمثلة في: أبنائه لينظم لهم أمور الحياة في الأرض.

ب- تنظيم العلاقات بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه.

فقد كان آدم أول رسول ينبيء الملائكة ولا تنبؤه الملائكة، لأن الذي علمه الله، وأرسله إلى الجميع من دون واسطة ملك من الملائكة، فهو لم يوحى إليه عن طريق ملك، لأن علمه من الله بالفطرة مصداقاً لقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا).

---

<sup>560</sup> هود 114.

<sup>561</sup> الأنبياء 18.

<sup>562</sup> النبأ 1.

تعليم من الله ليعلم غيره من المخلوقات الملائكة والجن، {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} 563.

- وليعلم ذريته أنّ الله خلق الإنسان لأمر عظيم على هذه الأرض، وهذا (النبأ العظيم) الذي أرسل به وله.

- تنظيم العلاقات البينية (بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان والأرض)، فقد كان أحد أبنائه راعيا والآخر مزارعا كما علمهما أبوهما آدم صلى الله عليه وسلم، وكان لله قربان يتقرب به الإنسان وهذا من شريعة ذلك الوقت، فيتقبل الله من الصالح لصدق نيته وحسن قربته، ولم يتقبل من الآخر لسوء نيته وسوء قربانه، قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} 564.

والمدقق في بداية الآيات (واتل عليهم نبأ آدم بالحق) فالخلاف على قبول القربان لا على الزواج كما هو شائع، وهذا هو الحق الذي جاء به القرآن.

كما أن من الشريعة المعمول بها أن القاتل في النار مصداقا لقوله تعالى: (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ).

فلم يكن هناك قصاص لأنّ قديمي الإنسان لم تثبتا بعد على الأرض، فقد قتل نصف ذرية آدم من الذكور فإن أقتص من الآخر ذهب الذرية

563 البقرة 33.

564 المائدة 27-29.



الموجدة في ذلك الوقت، وهذه الشريعة كانت مناسبة لتلك الحقبة الأولى من حياة البشر على الأرض، وآدم بهذه الكيفية نبي الكافة الموجودة. ونعتقد أنه من المهم التفصيل في حقيقة أساسية سبق التلميح إليها فيما سبق أنّ رسالة السماء إلى الأرض ومن عليها واحدة في مضمون عقيدتها التي تركز على التسليم بوحداية الخالق والشهادة بأن لا إله إلا الله. وإنما المختلف فيها وسائل الإبلاغ وموجبات اليقين، فوسائل الإبلاغ تتباين بين نصح وإرشاد نابع من إنباء إلهي مصداقا لقوله تعالى: {أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} 565، وكما قال يوسف لصاحبي السجن: {أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} 566، "وإن كان لم يُرسل إليهم، فالأنبياء مأمورون أمرا عاما بالإرشاد إلى الحق" 567، وبين صحف فيها من شرائع الله لعباده، {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} 568، وبين كتب مفصلة، {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} 569.

أما موجبات اليقين فتتنقسم على حجج مادية وأخرى معنوية، وهذا التباين راجع إلى متطلبات العقول، فبينما يعقل البعض بما يرى، يعي الآخر بما يرى، فإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام قدما للناس موجبات فكرية تتمثل في الجدل الفكري الحسن عند سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم، {قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ

565 الأعراف 68.

566 يوسف 39.

567 التحرير والتنوير، ج 10، ص 276.

568 الأعلى 16-19.

569 الأعراف 52.

يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ {570}، وفي قرآن معجز أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {571}.

لذلك نقول: أن ما من نبوة أو رسالة إلا وهي صالحة للكافة وإن كانت لخاصة مستهدفة بالإرسال، فكل الرسائل واحدة لأنها من الواحد القهار، إمامة اختار الله عز وجل أقوام بعينهم لرسالة خاصة فنقول: إن في القرآن تفسير لذلك يتمثل في إصرار الأكثرية من هذه الفئة المخصوصة على الكفر، يقول الحق جل وعلا:

{قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {572}.

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {573}.

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ {574}.

{إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ {575}.

570 الأنبياء 59-66.

571 يونس 37-38.

572 الشعراء 188-190.

573 النحل 75.

574 يوسف 106.

575 يونس 60.

{ تِلْكَ الْقُرَى نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ } 576.

{ ثُمَّ لَا تَيَسَّنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } 577.

{ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } 578.

فالعلة هي أن الأكثرية في الخصوص كفرت بأنعم الله حتى تحول هذا الكفر إلى سلوك عند الأكثرية الوارثة مما يفضي إلى احتجاج هؤلاء بعدم المعرفة، { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ } 579، عليه لا بد من إرسال الرسل للتبليغ، { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ } 580، فكانت كل الرسائل لتلقي على مثل هؤلاء الحجة فيفوز من يفوز ويخسر من يخسر مصداقا لقوله تعالى: { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلِهَا ظَالِمُونَ } 581.

يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ الْعُلَلِ الْأُخْرَى الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ الْاِخْتِصَاصِ بِقَوْمٍ هَدَفًا لِرِسَالَةٍ مِنَ الرِّسَالَاتِ كَمَا فِي رِسَالَةِ سَيِّدِنَا عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ اخْتَصَّتْ بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ لَمَّا بَدَأَ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَإِصْرَارِهِ عَلَيْهِ،

---

576 الأعراف 101-102.

577 الأعراف 17.

578 الأنعام 111.

579 الزخرف 23.

580 النحل 36.

581 القصص 59.

"فيعسى إنّما بعث للأجناس من بني إسرائيل خاصة بدليل قوله في الإنجيل إني لم أبعث إلى الأجناس وإنما بعثت إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل، وكذلك قال للحواريين لا تسلكوا في سبيل الأجناس ولكن اختصروا بالضرورة إلى الغنم الرابضة من بني إسرائيل"<sup>582</sup>.

أما الكافّة فهي النبوة القائمة على الإحصاء والإحاطة، أمّا زمنية أو مكانية أو كلية، وسنحاول أن نستعرض هذه الأنواع الثلاث للوصول إلى حقيقة مفهوم كل منها وعلى النحو الآتي:

أولاً: الكافّة الزمنية

نصت كتب المتون على عدة أحاديث تؤكد نبوة آدم صلّى الله عليه وسلّم، فعن أبي ذر قال: "قلت للنبي صلّى الله عليه وسلّم أي الأنبياء أوّل قال آدم قلت أو نبيا كان قال نعم نبي مكلم"<sup>583</sup>، فلا موجب بعد هذا لمناقشة نبوته صلّى الله عليه وسلّم، ولكن أمرا آخر يثير مكامن الفكر ويحركها للبحث في التساؤلات الآتية:

بمن اختصت نبوة آدم؟

هل كان نبيا للكافة أم كان لخاصة معينة؟

قبل الخوض في هذا الباب لا بدّ لنا من وقفة مع بعض سمات نبوة آدم صلّى الله عليه وسلّم، فهي النبوة الأولى التي لم يكلف بها على الأرض وإنّما كان تكليفه بها في السماء عند العرش وبتكليم ربّ العالمين جلّ وعلا كما نص على ذلك حديث الرسول الأكرم محمّد صلّى الله عليه وسلّم، هذه الحقيقة تؤدّي إلى أدلة هي:

آدم أوّل من كلمه الله من الأنبياء.

آدم أوّل نبي نطق بالتوحيد على الأرض.

آدم أوّل نبي دعا إلى الإصلاح وعمل عليه.

---

<sup>582</sup> الإعلام بما في دين النصارى، القرطبي، ص 274.

<sup>583</sup> شعب الإيمان، البيهقي، ج1، ص 141.

نبوة آدم من غير واسطة (ملك) وإنما هي تكليف مباشر.  
بَلَّغَ آدم نبوته كما أُبلِّغُ بها (بدون كتاب أو صحف أو ألواح).  
وقد كُلف بتبليغ من حوله وأولهم حواء التي لم تشترك معه بالنبوة، فكان تبليغها واجبا على آدم، ثم أولاده من بعد ذلك وأولادهم من بعدهم ما دام حيا، فإذا مات انقطع تكليف الإبلاغ، هنا لنحاول معرفة حدود نبوته فنتساءل هل كان على الأرض غير آدم وأولاده من البشر؟ والجواب متفق عليه أن لا أحد من جنسه غيرهم، عليه فنبوّة آدم للكافة الموجودة في زمن حياته لانتفاء وجود الخاصة في هذا الزمن، فهي إذن نبوة كافة زمانية، وذلك لتحقق شروط الكافة وهي الحصر والإحاطة، الحصر يتمثل في انتفاء الاستثناء، أما الإحاطة فتعني تبليغ كل من وجب له التبليغ، وكل ذلك في زمن مخصوص يبدأ من هبوط آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينتهي بوفاة.

أما علم آدم؛ فهو مرتبط بخلق، فقد "خلق الله تعالى آدم ابتداء ولم يخلقه بتوسط طبيعة كما خلق نسله، كان على أفضل اعتدال وأكمل عقل فصار قلبه معدنا للحكمة الإنسانية وجسده مهيا للأفعال البشرية فلم يتمتع عليه شيء منها حتى أحاط علما وقدرة بجميعها، ولذلك علم الأسماء كلها وألهم الحكمة بأسرها، وأطلع على أسرار النجوم وعملها، وعرف منافع الحيوان والنبات ومضارها، ولولا ذلك لما فرق بين الغذاء والدواء ولا بين السموم القاتلة والشفاء ولا اهتدى بالنجوم في بر ولا بحر وكان هو المدبر لأولاده مدة حياته" 584.

ونضيف إلى ذلك بعض الحقائق المهمة عن النبي آدم وهي:  
إنّه أوّل نبي أرسل من الأعلى إلى الأدنى (من السماء إلى الأرض).  
نزل آدم متحضرا من صور الجنة ومشاهدها العظيمة.

---

584 أعلام النبوة، الماوردى، ج 1، ص 54.

كان آدم أنس الطباع لأنه نزل برفقة حواء زوجته التي يسكن إليها.  
آدم من الأنبياء الذين لديهم علم من السماء والأرض مشاهدة وإنباءً.  
هكذا يتبين أن نبوة آدم كانت نبوة كاملة، وهي نبوة كاملة، لأنها أُرست  
عقيدة التوحيد زمنًا طويلًا وبين أجيال متعاقبة؛ فقد كان بين آدم  
وإدريس إلى نوح قرون من الزمن كلهم على التوحيد والإسلام، ثم حدث  
الشرك في قوم نوح 585.

فمن الذي وحد عقيدة كل هؤلاء، ألم يكن آدم؟ فهو على ذلك نبي  
للكافة الزمانية.

ثانياً: الكافة المكانية.

تدلل معطيات نبوة سيدنا نوح صلى الله عليه وسلم على حقيقة كونه  
من أنبياء الكافة، لأنه وحسب ما تذكر أغلب المصادر فإن الطوفان لم  
يبق إلا من كان على السفينة، يقول الماوردي في أعلام النبوة عن  
الطوفان: "ثم كثر الناس فافترقوا بعد إدريس وزادوا إلى زمن نوح..، وهو  
آخر نبي بعث قبل الطوفان فلم يبق في الأرض ذو روح إلا من ركبها  
وغاض الطوفان بعد مائة وخمسين يوماً فاستوت على الجودي وهو جبل  
بأرض الجزيرة شهراً وسمي الماء طوفانا لأنه طفا فوق كل شيء" 586.

والحق أن الآيات التي اشتملت على وصف الطوفان تشير في أكثر من  
وجه إلى أن العرق شمل الأرض كل الأرض، يقول الحق سبحانه: {حَتَّى  
إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا  
مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا  
بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ  
كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

<sup>585</sup> شرح كتاب كشف الشبهات في التوحيد، ج 1، ص 7.

<sup>586</sup> أعلام النبوة، ج 1، ص 54.

الْكَافِرِينَ قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {587، ولنتأمل دلائل الشمول في الآية وهي:

(اِحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ)، مِنْ كُلِّ أَرَادَ حَمْلَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ زَوْجَيْنِ الذَّكَرِ زَوْجٍ وَالْأُنْثَى زَوْجٍ...، واختلفوا في أنه هل دخل في قوله: (زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) غير الحيوان أم لا؟ فنقول: أما الحيوان فداخل لأنَّ قوله مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يدخل فيه كل الحيوانات، وأما النبات فاللفظ لا يدل عليه، إلا أنه بحسب قرينة الحال لا يبعد بسبب أنَّ النَّاسَ محتاجون إلى النبات بجميع أقسامه<sup>588</sup>، وأكد بعض المفسرين شمول النبات بالحمل فقال الألوسي: "عن علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً أن نوحاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمل معه في السفينة من جميع الشجر"<sup>589</sup>، من هنا نتساءل:

إذا كان الإغراق لبعض الأرض؛ فما فائدة حمل الأزواج وهي موجودة على الأرض خارج موقع الطوفان؟ لا بدَّ أن يكون الإغراق شاملاً لكل من هم خارج السفينة. عليه فإن للحمل دلالات إعجازية هي: الحفاظ على النوع.

ب- حمل زوجين وليس زوج واحد فيه تلبية لطبائع بعض المخلوقات التي تأنف التزاوج مع زوجها من البطن الواحدة.

ج- الحمل كان جزءاً من مهمة نوح في إعمار الأرض التي استُخلف عليها.

---

<sup>587</sup> هود 40-44.

<sup>588</sup> تفسير الرازي، ج 8، ص 408.

<sup>589</sup> تفسير الألوسي، ج 8، ص 235.

(لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) في هذه الآية دال على الشمول هو أسلوب نفي الجنس، فلو قال أحد أن العقاب كان لقوم نوح فقط وهم في بقعة جغرافية واحدة لما استقام نفي الجنس في الآية حيث سيكون هناك ناج في مكان ما وهو معصوم من العقاب لكونه ناج، كما سيكون هنا عاصم غير الله إذا لم يكن الغرق شاملا لكل الأرض، فسيكون هناك جبل عاصم في مكان ما وسيكون هناك سفينة عاصمة في مكان ما، وهذا ما لا يرتضيه مؤمن بربه لما فيه من تناقض بين النص القرآني والقول بعدم شمول الغرق كل الأرض. أما الاستثناء؛ فهو مخصوص بمن حقت عليه رحمة الله وهم نوح ومن معه فقط.

يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي، الخطاب هنا جاء باستخدام صيغة التنكير (أرض) وواضح أنها تدل على العموم، ولو كان الخطاب بالتعريف مثل يا أيها الأرض لكان لزاما أن تكون أرض محددة معروفة مقصودة بالخطاب، لكن صيغة التنكير أدت إلى بيان دلالة الشمول، والأمر كذلك مع السماء.

والنتيجة الحاصلة مما سبق هي أن الغرق شمل كل الأرض واستثنى نوحا ومن معه ومن حمل، فالغارقون من الكافرين هم الكافة الفانية، والناجون من المؤمنين هم الكافة الباقية مصداقا لقوله تعالى: {ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} 590، وبعد هذا وبعد انتهاء الطوفان يبقى احتمالان:

الأول: أن يكون من ركب قد بلغ قبل الحمل.

الثاني: أن يكون من ركب غير مبلغ.

وفي كلا الحالتين يبقى نوح نبيا للكافة المتبقية، لأنه في الاحتمال الأول سيبلغ من ركب معه فهذه مهمته التي كلف بها، أما الاحتمال الثاني

---

590 الإسرائ 3.



فيؤدّي إلى إنّ نبوة نوح هي لهذه الكافة الناجية على السفينة، وآيته لهم غرق الكافرين، عليه نعتقد أنّ نبوة نوح كانت كافة مكانية (السفينة) لمن حُمل معه في الفلك المشحون.

ثالثاً: الكافة الكلية، قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } 591، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَإِنَّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ" 592.

هذان النصان يدلان بشكل قاطع على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الكافة بالنسبة للمؤمن بالله وكتبه ورسله، لكننا نتوقع أن يسأل سائل عن طبيعة هذه الكافة وحدودها، ولماذا هي كافة كلية مطلقة؟

نقول ما من إجابة شافية على هذا التساؤل من واقع يراه القريب والبعيد وهو أم ما من جنس أو نوع أو لون بشري دخل الإسلام ولم يجد فيه التوافق المطلق بين متطلباته العقلية والروحية وبين ما هو موجود في مضمون الرسالة الكافة، حتى أنّ أهل الألسن الأعجمية على اختلاف لم يُنهم عن الإيمان عائق اللغة وذلك للمضمون الشامل لقضايا الحياة، ومعاصرة نصوص الرسالة الكافة من قرآن كريم وحديث صحيح شريف لكل متطلبات الحياة العصرية. ولعل أبرز ما يهتم به من يريد أن يتخذ الإسلام ديناً هو مبدأ المساواة المطلقة بين الناس في الحقوق والواجبات، حقاً إنّّه لمبدأ عظيم اتفق عليه كل المسلمين من علماء وعامة، وربما لا يجده أحد في ديانة أخرى تلاعب علماءها بالنصوص ليضعوا شرائع جديدة تتناسب مع مصالحه الخاصة كأخبار اليهود الذين اشترطوا على

591 سبأ 28.

592 صحيح البخاري، ج 2، ص 257.

من يريد الدخول في اليهودية أن يكون حامل لدم يهودي وخصوا دم الأم وهذا أمر قد لا يملكه إنسان لأنه ليس بيده فهو مولود على هذا. كذلك فان الظروف قد تهيأت للرسالة الكافّة، وتتمثل أولاً بكل ما سبق من رسالات هيأت الناس للرسالة القاطعة في أحكامها ولتكون كافة لهم عن الرسالات السابقة {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} 593، كذلك حصول التقارب بين الأمم، "فقد كانت الأمم من قبل تعيش في عزلة بعضها عن بعض، كما كانت - في طفولتها - تعيش بما يشبه مشاعر القومية، أي تعيش في داخل حدود (القوم) الذين تنتسب إليهم. فكان الله يرسل إليهم يومئذ رسلا [مخصوصين]، كل منهم يدعو في داخل منطقة من الأرض محدودة، ويدعو قومه خاصة فيقول لهم: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، ويعلم الله سبحانه وتعالى في سابق علمه أن البشرية ستنتزع ذات يوم وتصل إلى مرحلة الرشد، وأن فوارق المكان والزمان ستضيق وتتداوب، فعندئذ يرسل إليها رسولا واحدا - هو خاتم النبيين محمد فيبلغ الرسالة إلى آفاق الأرض، ويحملها أتباعه من بعده إلى كل أطراف المعمورة، بحيث لا يبقى صقع من أصقاع الأرض لا تصل إليه" 594.

أما ديمومة الكافّة، فذلك راجع إلى أمرين الأول: ما نص عليه المولى عزّ وجلّ من حفظ الذكر (القرآن) الذي يمثل دستور وأصل الرسالة الكافّة التي خصها الله بالحفظ، فشريعتنا الحنيفة البيضاء فقد وعد الله وتعهد بفضله ورحمته بحفظها قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

593 التوبة 33.

594 ركائز الإيمان، ج 1، ص 318.

لِحَافِظُونَ} 595، وهياً لها رجالاً ونساءً في كل عصر ومصر وفي كل قرن  
وزمن لحفظها من جميع نواحيها" 596.

أما الأمر الثاني فيتمثل في سنة التبليغ التي فرضها الله على لسان نبيه  
الذي لا ينطق عن الهوى على المسلمين في كل زمان ومكان مصداقاً  
لقوله تعالى: { هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } 597، فأمر النبي  
صلى الله عليه وسلم أمته بتبليغ ما يعلمون منه إلى غيرهم فقال: "بَلِّغُوا  
عَنِّي وَلَوْ آيَةً" 598، وقال: "أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ  
يُبَلِّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ - ثُمَّ قَالَ - أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ  
مَرَّتَيْنِ" 599.

هذه هي بعض ملامح الرسالة الكافية الكلية، فلا مكان تأني عنه ولا  
ينأى عنها، ولا زمان يصح لها وآخر لا يصح فهي لكل زمان ولكل  
مكان، وهي كذلك لكل جنس ولون فلا فرق بين الناس كما نص على  
ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ  
وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى  
عَرَبِيٍّ وَلَا لَأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ" 600.  
وعليه فقد كانت لآدم خصوصية في رسالته كما كانت له خصوصية في  
خلقه وفي علمه وغير ذلك مما خصه الله به.

---

595 الحجر 9.

596 كتاب العلل، ج 1، ص 9.

597 آل عمران 138.

598 صحيح البخاري، ج 12، ص 174.

599 صحيح البخاري، ج 14، ص 341.

600 مسند أحمد، ج 1، ص 244.

## ابتلاءات آدم:

الابتلاء ملازم لسيرة الأنبياء بوجه عام، ولا نكاد نجد نبيا من أنبياء الله إلا وقد مرت به صنوف من البلاء، وكأن الابتلاء لازم أساسي لكل نبي فينتج عنه صبورا وعزاء لكل من آمن بالله ربّا وبأبي رسول مرسل من عند الله سبحانه وتعالى.

وبالرّبط بين ابتلاءات الأنبياء وابتلاءات آدم يتبين الآتي:

- كل أنبياء الله كانت ابتلاءاتهم في الأرض.

- سيدنا آدم أبو البشر كانت ابتلاءاته في السماء.

وقبل الخوض في ابتلاءات سيدنا آدم علينا أن نحدد المقصود من الابتلاء، ونجد أنفسنا أمام مجموعة من المفردات قريبة المعنى في الأذهان التي ترد بمعنى الابتلاء وهي غير كذلك إلا أنّ كلا منها يحمل خصوصية في ذاته مثل:

التجربة.

التجريب.

الاختبار.

الفتنة.

البلاء.

البلوى.

الابتلاء.

ونتساءل:

هل كل هذه المفردات التي تحمل عديد الصنوف من المشاق أو من النعم تتساوى لتعطي لنا معنى يمكن أن نتكئ عليه في معرفة ما الابتلاء؟  
أولا سنناقش كل مفردة على حدا ونسقطها على آدم لنرى هل تتناسب مع ما حدث لآدم من ابتلاءات أم لا؟

- التجربة:

"وَجَرَّبَ الرَّجُلَ تَجْرِبَةً اخْتَبَرَهُ" 601، وهذا التعريف اللغوي لا يفني بالغرض، لأنَّ التجربة بهذا الشكل:

تقع على.

وليس من.

والأهم أن تكون من الإنسان لا أن تقع عليه، لأنَّها بهذا الشكل تكون تجريباً على الإنسان من غيره.

ونرى أنَّ التجربة تقع (من) مجرب (على) مجرب به (ل) غرض يرمي إليه المجرَّب وفاعلها يكون من الحنكة بحيث لا يصيبه الخطأ بأي شكل من الأشكال إلا في حدود ضيقة جداً.

لهذا فالتجربة تعتبر:

- أحكاماً ناتجة عن أفعال.

- وخطوات حققت أهدافها فانتجت تجربة يمكن تكرارها للتأكد من صحة فروضها.

- وهي بذلك أوسع من التجريب مع أنَّه الميدان الذي أنتجت فيه ونقحت به.

- ولا تكتمل التجربة إلا في الميدان وبالخطوات التي تجرى فيه.

- ونتائج التجربة يمكن أن تكون سالبة أو موجبة، أو أنها موجبة وتفهم على أنها سالبة، ومن شواهد ذلك، "عَنْ أَنَسٍ "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ قَالَ فَخَرَجَ شَيْصًا فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ مَا لِنَحْلِكُمْ قَالُوا قُلْتَ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ" 602.

فهنا يدخل في باب التجريب الذي له أكثر من مغزى:

- النبي يختص بأمر الدين عن طريق الوحي.

<sup>601</sup> لسان العرب، ج 1، ص 259.

<sup>602</sup> صحيح مسلم، ج 12، ص 54.

-النبى يعلم الناس أن من أمور الدنيا لا بدّ من التجريب فيه ولا دخل للدين أو الوحي.

- لو بذر الكافر بذرة لأنبتت، وكذلك المسلم، بغض النظر عن الدين.

- النبي يعلم من تجارته بوصفه عربيّ أن النخل لا بدّ أن يلقح.

- النبي يوجه الناس على الموجب.

- لو "نفيد لغة" عدم حدوث جواب الشرط لعدم حدوث فعله وإن كان الأمر على سبيل الإلزام لقال النبي صلى الله عليه وسلم إن لم تفعلوا.

- الأمر على سبيل التجربة (الخاصة) لأنه لم يكن لكل الصحابة بوجه عام ولكن لفئة مخصوصة مرّ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم. ولهذا فالنتيجة موجبة لمن استوعب التجريب، بأن أمور الدنيا لها قوانينها التي لا بدّ أن تراعى ويأتقان.

لذا؛ فالتجربة يمكن أن تكون سالبة، أو موجبة حسب المستعمل لها، فمثلا التجربة على الذرة يمكن أن تفيد حياة البشر لتوفير الطاقة ولتشغيل المصانع والتدفئة، ويمكن أن تكون لإبادة البشر.

وعليه:

فالتجربة تقع في الماضي، أما ما يقع في الحاضر فهو التجريب، لذا نحن نعتمد المعنى القرآني (فتنة)، {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}603، {وَنَبِّئُوهُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}604.

ولا نعتمد المعنى الإنجيلي (يا رب لا تضعنا في تجربة) وقد تكون تجربة في الإنجيل هي فتنة وترجمت تجربة إلى العربية.

---

603 الأنفال 28.

604 الأنبياء 35.

-الله سبحانه وتعالى أفعاله كاملة ولا تحتاج إلى تجرّبة، ولكن الذي نقوله أن أفعاله لا تجرّبة فيها لأنّ التجرّبة تحتل النجاح والفشل، وأفعال الله على الكمال.

- لا تجرّبة في حقّ الله.

- التجرّبة في حقّ الإنسان، لأنّها تخضع للمراجعة، وأفعال الله لا تخضع للمراجعة.

وعلى ما تقدّم فما حدث لآدم من ابتلاءات لم يكن تجرّبة لأنّها لم تقع منه في الأرض لأنّ قوانين السماء لها من الخصوصية التي تحكمها بشكل متباين عن الأرض، وما وقع عليه لا ينبغي أن نسميه تجرّبة إذا نسبناه إلى الله، لأنّه كما قلنا التجرّبة تحتل النجاح والفشل وهذا ممتنع في حقّ الله. والتساؤل:

هل ما حدث لآدم في السماء تجريب؟!

لا نقطع بإجابة حتى نستبين الأمر ثم نرجح النتيجة التي سنصل إليها.  
- التجريب:

والتجريب هو المبني على خطة لها خطوات وفق أسباب وتسعى إلى أهداف يمكن الوصول إليها من خلال فروض محددة.

والتجريب ليس يقينا لأنّه لو كان يقينا لأصبح تجرّبة.

والتجريب محاولات جادة من خلال اعتماده مبدأ التعديل والتغيير والنجاح والفشل فإذا فشلنا كان تجريباً، وإذا نجحنا أصبح تجرّبة من خلال معرفتنا لقوانينها وقدرتنا على إعادتها.

والتجريب مبني على الشك الذي تتساوى فيه كفتا النجاح والفشل.

ومما سبق:

فالتجريب يتنافى في حقّ الله لأنّ المجرّب يريد أن يخرج بتجرّبة يمكن تطبيقها وهذا يكون في حقّ المخلوق لا الخالق.

وعليه فهو يتعد عن الابتلاء بالمعنى الذي نبحت فيه، إذ إن التجريب يمكن أن يكون على البشر مع إمكانية تعرض حياتهم للخطر وهذا أمر سلبي، أما الابتلاء الإلهي فهو موجب يستهدف مصلحة الميتلى وفائدته بالموجب وإن بدا السالب فيه مصداقا لقوله تعالى: { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } 605، فلا بلاء لنبي إلا لنفع له ولأمته.

- التجريب يبني على الشك والشك يتنافى في حق الله.

- التجريب يجرى بمراحل وفعل الله بالأمر كن.

- التجريب يريد أن يصل إلى نتيجة مجهولة، والله العليم الحكيم علمه مطلق لا يعزب عنه ما في السماوات والأرض مصداقا لقوله تعالى: { عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } 606.

فهذا عن علم الغيب فماذا عن علم الشهادة؟

في ذات الخصوص نقول:

- التجريب منفية في حق الله.

- ولم يمر بها آدم فهو مخلوق في أحسن تقويم.

- ولم يكن تجريبه يتوقع منها النجاح والفضل.

- التجريب أيضا لا يصح أن ينسب لفعل الله.

- ما حدث لآدم في السماء ليس تجريبا.

- لا يحتاج إلى التجريب إلا لمن لديه نقص في العلم وفي المعلومة، وهذا

يتنافى في حق الله الذي يعلم كل شيء لأنه خلق كل شيء { أَلَا يَعْلَمُ

مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } 607.

---

605 البقرة 216.

606 سبأ 3.

607 الملك 14.



فهو الخلاق العليم الذي خلق الخلق ويعلم أفعالهم من قبل أن يفعلوها  
مصدقا لقوله تعالى: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ  
وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ  
سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ  
وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ} 608.

ويبقى التساؤل:

هل ما حدث لآدم اختبار؟

وهل الاختبار هو الامتحان؟

من الوهلة الأولى يتراءى لنا أنّ الاختبار يقصد به (معرفة ما لدى الميختبر  
من خبرة)

والخبرة لا تتأتى إلا من تجارب سابقة.

وقد نفينا أن تكون لدى آدم تجربة سابقة أو تجريب وصل به على  
تجربة، وإمّا لديه علم علّمه الله إياه مصدقا لقوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ  
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ} 609.

-والامتحان مشتق من المحنة بغرض أن يظهر الممتحن ما لديه من قدرة  
ليبتعد عن هذه المحنة أو يبعدها عنه.

وعليه فالامتحان شيء سالب لو أن الغرض منه كشف ما لدى الممتحن  
من معلومة، ونرى أن يكون الاسم العلمي لهذا المسمى في المجال  
التعليمي التربوي غير هذا الاسم.

والاختبار كما عرفته بعض المصادر:

"فعل ما يظهر به الشيء".

وهو من الله: إظهاره ما يعلم من أسرار خلقه.

فإن علم الله تعالى قسمان:

---

608 الرعد 810.

609 البقرة 31.

- قسمٌ يتقدم وجود الشيء في اللوح.  
- وقسمٌ يتأخر وجوده في مظاهر الخلق.  
والبلاء الذي هو الاختبار، في القسم الثاني لا الأوّل "610، أي؛ الذي يتأخّر وجوده في مظاهر الخلق.  
وهنا خلط المعرف بين البلاء والاختبار.  
ويقول أيضا:

"الفرق بين التجريب والاختبار: "أنّ التجريب هو تكرار الاختبار والإكثار منه ويدل على هذا أن التفعيل هو للمبالغة والتكرار، وأصله من قولك جربته إذا داواه من الجرب فنظر أصلح حاله أم لا، ولا يقال إنّ الله تعالى يجرب قياسا على قولهم يختبر ويبتلي لان ذلك مجاز والمجاز لا يقاس عليه" 611.

ونجد هنا خلطا بين المفردات لا المصطلحات لأننا لم نقف على مصطلح لكلمة من الكلمات التي نبحت فيها في قديم الكتب، لذا سنحاول أن نصل إلى تعريف أقرب إلى الموضوع الذي نبحت فيه من بعد مناقشة ما سبق.

نقول: الله تنفي لديه الحاجة لفعل يريد أن يظهر به الشيء لأنه يعلمه من قبل خلقه ومن بعد خلقه.  
وقال: علم الله يتقدّم ويتأخر.

ونقول: (علم الله أزلي لأنه الأوّل فلا سابق له) وعلمه مطلق بالكلية لا يخضع للزمن فيزيد أو ينقص يتقدّم أو يتأخر.  
- وهذا يجوز في حقّ العبد ولا يجوز في حقّ الله.

أمّا في حقّ المعبود نقول: (الاختبار معرفة الخبر بالمطلق) دون الاختبار الذي يكون في حقّ العبد، والله هو الخبر يعلم الخبر لأنه خالقه وخالق

---

<sup>610</sup> التعريفات، ج 1، ص 3.

<sup>611</sup> الفروق اللغوية، ج 1، ص 117.

فاعله الذي يفعله بإرادته واختياره، ولما كان العبد مختاراً في أفعاله، كان من لوازم معرفة ما عليه من خبر صحيح أو فاسد أن يعلم خبره خالقه بالمطلق، فإن صدق فعله مع قوله ومع عقيدته فقد صحَّ خبره، وإلا فلا، وبهذا يكون الاختبار في حقِّ المخلوق: إرادة معرفة الخبر.

وفي حقِّ الخالق: معرفة الخبر بالمطلق.

وعليه نقول:

الاختبار غير جائز في حقِّ الله لأن الله هو الخبير فهل يختبر ليعلم خبراً؟  
كما أن الاختبار يدخل في باب التجربة والتجريب.

- وهذا ينتفي وجوده في حقِّ الخالق.

- وغير منتف في حقِّ المخلوق.

وعليه فأدم لم يقع في اختبار لأن الله يعلم خبره من قبل أن يخلقه لتكليف الاستخلاف.

ونتساءل: هل ما حدث لأدم هو فتنة له؟

بداية نبحت في معنى الفتنة، ثم ننظر هل ما حدث له فتنة أم لا؟

الفتنة:

لم نجد تعريفاً شافياً للفتنة التي هي جزء رئيس من الابتلاء على الأرض،

أما في السماء لا ندري هل حدثت فتنة في السماء أم لا؟

وقيل فيها:

الفتنة: الاختبار والامتحان، ومنه قوله تعالى: {وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ

فِتْنَةً} 612.

الفتنة: الوقوع في المكروه، ومنه قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائذَنْ لِي

وَلَا تَقْتَبِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} 613.

الفتنة: الكفر، ومنه قوله تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} 614.

---

612 الأنبياء 35.

613 التوبة 49.

الفتنة: انشغال الفكر، ومنه: على الجميلة أن تستر وجهها خوف  
الفتنة<sup>615</sup>.

وبالنظر إلى الأقوال السابقة:

نقول: أنّ هذه الأقوال لم تعرّف الفتنة، بل عددها.

وعليه نتساءل:

هل الفتنة هي:

الوقوع في الكفر؟

الوقوع في الخطيئة؟

تزيين الباطل؟

الإجبار على الكفر؟

هل الفتنة قريبة من الاختبار؟

هل هما مفترقان؟

مقترنان؟

وما الفرق بينهما؟

قيل في الفروق اللغوية: "الفرق بين الفتنة والاختبار: "أنّ الفتنة أشد  
الاختبار وأبلغه، وأصله عرض الذهب على النار لتبين صلاحه من  
فساده<sup>616</sup>، ومنه قوله تعالى: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} <sup>617</sup>.

ونقول:

الفتنة هي غير ما يرد إلى خاطر الإنسان من أوّل ما تطرق الكلمة سمعه،  
فالكلمة (فتنة) هنا على معناها الأصلي لا المجازي لأن أصل الكلمة  
(فتنة) تعني النار، كما أنّها في هذا التعريف تعني النار وبهذا جاء

---

<sup>614</sup> البقرة 217.

<sup>615</sup> معجم لغة الفقهاء، ج 1، ص 339.

<sup>616</sup> الفروق اللغوية، ج 1، ص 396.

<sup>617</sup> الذاريات 13.

الاستشهاد القرآني في الآية السابقة لأن الله يتبع الآية السابقة بقوله تعالى عن الجنة: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ دُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} 618.

والمصلح من الفاسد قد علمه الله من قبل بناء على عمله في الدنيا، فلا حاجة لتشبيه أهلها (أي النار) بالذهب، فالكفار والفاسقون لا علاقة لهم بالذهب.

وعلى هذا فصاحب الفروق اللغوية قد خلط الأمر.

- الفتنة تكون في الخير والشر 619، ألا تسمع قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} 620، وقال تعالى: {لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا} 621. فجعل النعمة فتنة لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المنعم عليه بها كالذهب إذا أريد المبالغة في تعرف حاله والله تعالى لا يختبر العبد لتغيير حاله في الخير والشر وإنما المراد بذلك شدة التكليف 622.

وفي التعريف السابق أين يقع الخير والشر قد يكون لبسا فنجد تضاربا حيث جعل الأولاد والأموال خيرا بالمطلق وهذا غير صحيح، والمثل قائم في ابن نوح، وفي القاتل من ابني آدم، وكذلك في المال الذي أهلك قارون.

- كما نجد بونا بين الفتنة التي هي قد تكون في الخير والشر كالقتال والنساء فلا يعرف الخير في أيهما.

---

618 الذاريات 12-19.

619 الفروق اللغوية، ج 1، ص 396.

620 التغابن 15.

621 الجن 16.

622 الفروق اللغوية، ج 1، ص 396.

- والتعويل على مثال الذهب قد لا يصيب إلا مع المؤمن وهو أقرب إلى التمحيص لمعرفة الخبيث من الطيب فيمكث الطيب ويذهب بالخبيث أما ما يمكث في مثال الفروق اللغوية هو الخبيث لا الطيب خلافا للمنطق ولنص القرآن حيث يقول الله تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} 623. والآية خير دليل لما ذهبنا إليه.

وعليه فضرب المثل بالذهب في الفتنة لا يستقيم بالكلية.

- أما آية الجنّ فالماء الغدق في الدنيا لا في الآخرة وهو يقع في باب مقابلة النعمة بشكر المنعم الذي لا يفعله إلا القليل، والفتنة هنا انتظار الصلاح من العبد مقابلة للنعمة التي أنعم الله بها على العبد.

ومن شكر النعمة التي هي الماء الغدق ذكر المنعم بالثناء والشكر ومن لم يشكر ربه على هذه النعمة يهلكه الله في العذاب، وعليه فلا بد من أن تقرأ الآية في سياق متصل كما أنزلت، {وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} 624.

- فالشكر عبادة وقليل من عباد الله من يقوم عليها لأدائها، مصداقا لقوله تعالى: {هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} 625.

الفتنة تعني انتظار ما سيفعله المنعم عليه اتجاه النعمة فإن شكر وذكر المنعم، كانت له النعمة الكبرى وهي الجنة مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا

623 الرعد 17.

624 الجن 16-17.

625 النمل 40.

تَمُدُّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ  
وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَى {626}.

- فالفتنة انتظار ما سيفعله العبد تجاه النعمة التي لا يدرك أين يكمن  
الخير أو الشر فيها وفق إرادة حرة مختارة وكل ذلك لا يخرج عن علم الله  
المطلق.

وعليه:

(فالفتنة لا تكون خيرا مطلقا أو شرا مطلقا ولكن الاثنان في دائرة  
النسبية حسب الاستعمال والتوجيه).

أما الفتنة لغة كما جاء في اللسان فقد جاءت تعديدا لا تعريفا للفتنة:

- الفِتْنَةُ الاختبار.
- والفِتْنَةُ المِحْنَةُ.
- والفِتْنَةُ المال.
- والفِتْنَةُ الأَوْلَادُ.
- والفِتْنَةُ الكُفْرُ.
- والفِتْنَةُ اختلافُ النَّاسِ بالآراء.
- والفِتْنَةُ الإِحْرَاقُ بالنَّارِ.
- وقيل الفِتْنَةُ في التَّأْوِيلِ الظُّلْمُ يقال فلان مَفْتُونٌ بطلب الدنيا قد غَلَا في طلبها.

- الفِتْنَةُ الحِيرَةُ وقوله عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ)، أي حِيرَةً  
ومعناه أَنَّهُمْ أَفْتِنُوا بِشَجَرَةِ الرَّقُومِ وكَدَّبُوا بِكُوْنِهَا وذلك أَنَّهُمْ لما سمعوا أَنَّهُمْ  
تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الجَحِيمِ قالوا الشجر يَحْتَرِقُ فِي النَّارِ فكيف يَنْبُتُ الشجرُ  
فِي النَّارِ؟ فصارت فتنة لهم وقوله عَزَّ وَجَلَّ (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ

الظالمين) يقول لا تُظهِرُهُمْ عَلَيْنَا فَيُعْجِبُوا وَيظنوا أنهم خير منا، فالفتنة ههنا إعجاب الكفار بكفرهم.

- ويقال فَتَنَ الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ وَافْتَنَّ.

- وأهل الحجاز يقولون فَتَنَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا وَهَّتَتْ وَأَحْبَهَا.

- وَأُفْتِنَ الرَّجُلُ وَفُتِنَ فَهُوَ مَفْتُونٌ إِذَا أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ فَذَهَبَ مَالُهُ أَوْ عَقْلُهُ وَكَذَلِكَ إِذَا اخْتَبَرَ قَالَ تَعَالَى: (وَفْتَنَّاكَ فُتُونًا).

- وَقِيلَ الْفِتْنَةُ الْإِضْلَالُ.

- وَالْفِتْنَةُ الْكُفْرُ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ).

- وَالْفِتْنَةُ الْفَضِيحَةُ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ) قِيلَ مَعْنَاهُ فَضِيحَتُهُ وَقِيلَ كَفَرَهُ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اخْتِبَارَهُ بِمَا يَظْهَرُ بِهِ أَمْرُهُ.

- وَالْفِتْنَةُ الْعَذَابُ نَحْوَ تَعْذِيبِ الْكُفَّارِ ضَعْفِي الْمُؤْمِنِينَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ كَمَا مُطِّيَّ بِلَالٌ عَلَى الرَّمَضَاءِ يَعْذِبُ حَتَّى افْتَكَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَأَعْتَقَهُ.

- وَالْفِتْنَةُ مَا يَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْقِتَالِ وَالْفِتْنَةُ الْقِتْلُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا)، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ: {فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ} 627، أَيْ يَقْتُلُهُمْ. وَأَمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ "أَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُطْمٍ مِنْ الْأَطَامِ فَقَالَ هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى إِيَّيَ أَرَى الْفِتْنََ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ" 628، فَإِنَّهُ يَكُونُ الْقِتْلُ وَالْحُرُوبُ وَالِاخْتِلَافُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا تَحَزَّبُوا وَيَكُونُ مَا يُبْلَوْنَ بِهِ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا فَيُفْتِنُونَ بِذَلِكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَالْعَمَلِ لَهَا وَقَوْلُهُ صَلَّى

627 يونس 83.

628 صحيح البخاري، ج 11، ص 431.



الله عليه وسلّم: "ما تركت فتنة بعدي أضرب على الرجال من النساء" 629،  
يقول أخاف أن يُعجبوا بهنّ فينشغلوا عن الآخرة والعمل لها.

- والفتنة الاختبارُ وفتنه يفتنه اختبره وقوله عزّ وجلّ: (أولاً يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ)، قيل معناه يُخْتَبَرُونَ بالدعوى إلى الجهاد وقيل يُفْتَنُونَ بإنزال العذاب والمكروه

- والفتنُ الإحراق بالنار الشيء في النار يفتنه أحرقه 630.

وعلى ما تقدّم فأدم لم يفتن لأنّ كل هذه الأنواع من الفتن تحدث في الدنيا وكان ما حدث لآدم من ابتلاء كان في السماء.

- فأدم لم يدخل النار.

- آدم لم يفتن بامرأة لعدم وجود امرأة محرمة عليه في الأصل فهو يملك المرأة بأصلها وعمومها متمثلة في زوجته.

- آدم لم يختبر.

- آدم لم يقع في المكروه بمعنى الكفر.

- آدم لم يفتن بالمال ولا الولد ففي السماء لم يكن هناك مال أو ولد.

- لم يفتن بامرأة يهواها.

وهكذا تسقط عنه كل معاني الفتنة السابقة.

والفتنة لا تكون في حقّ الأنبياء بالمعنى السالب لأنهم لا يتعرضون لكل ما سبق من معان سالبة لأنهم مخلصون، ولكن ما ينطبق عليهم هو ما جاء في القرآن الكريم عن سيدنا موسى: {فتناك فُتُونَا} 631، أي، خلصناك تخلصاً من قولهم: فتنت الذهب من الفضة إذا أردت تخلصه 632.

<sup>629</sup> كنز العمال، ج 16، ص 286.

<sup>630</sup> لسان العرب، ج 13، ص 317.

<sup>631</sup> طه 40.

<sup>632</sup> تفسير الرازي، ج 10، ص 407.

والفتنة كما نراها: خروج من المأمور به من الله إلى المنهي عنه من دون رجعة بتوبة ويستثنى من ذلك الأنبياء لحيلة من الشيطان بوسوسة أو قسم أو وعد أو مناصحة أو تزيين أو بهوى من النفس.

وهنا قد يتساءل متسائل:

فما قولك في قول الله تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } 633.

نقول:

- قال الله تعالى (يا بني آدم) فالنداء مخصوص به منادى بعينه هم بنو آدم، ولم يكن النداء مخصوص به آدم؛ فهو بذلك لا تلحق الفتنة.
- يوجد في الآية نهي موجه مقتصر على بني آدم للتحذير من الفتنة.
- وقوله تعالى: (كما اخرج أبويكم). فهنا خروج وليس فتنة، ولم يقل تعالى كما فتن أبويكم.
- وهنا نقف عند لفظتي: (لا يفتننكم) وقلنا المقصود بالفتنة في الدنيا وذلك يدل على أن النداء لبني آدم الذين هم بلا شك في الدنيا ولم يكونوا مع أبويهم في الجنة.
- ويشمل هذا المنادى كل أبناء آدم بعد هبوطه إلى الأرض حتى قيام الساعة.
- فالفتنة قد تشملهم جميعا.
- ويخرج منهم العباد المخلصون وهم الأنبياء والصالحون الذين ليس للشيطان سلطان عليهم.

- اللفظة الثانية (كما أخرج أبايكم) فهنا تشبيه والمعلوم أن المشبه به ليس هو عين المشبه، فالإخراج الذي حدث لآدم من الجنة لم يكن فتنة كفر أو ضلال، إنما هو وسوسة وتزيين ومناصحة مصداقا لقوله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ} 634.

ففي الآيات:

أمر:

اسكن أنت وزوجك.

فكلا من حيث شئتما.

ونهي:

ولا تقربا هذه الشجرة:

تحذير:

فتكونا من الظالمين.

وعليه فلا فتنة لآدم في السماء بل ابتلاء.

والابتلاء الأكبر لآدم كان في السماء حيث عدا إبليس الظاهر له من

البداية والذي قام بأفعال الغرض منها غواية آدم لا فتنته وهذه الأفعال:

- الوسوسة. يقول الله تعالى: (فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ).

- التزيين بالباطل (وَقَالَ مَا تَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ).

لماذا؟

- لينزع عنهما التقوى: (لِيُبْدِيَ لهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا).
- مناصحة بكذب بعد قسم: (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ).
- التغريز: (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ).
- لطف الله وعتابه لآدم وزوجه: (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ).

وعلى ما تقدم:

- فأدم لم يكفر ولم يضل ولم يصبر على الذنب كما فعل إبليس.
- آدم تاب واستغفر وغفر له وأحسن في الدنيا، والجنة هي مأواه لا شك في ذلك.

- فتنة أبنائه تكون:

- بهوى من النفس.

- أو اتباع لإبليس

- أو كفر بالله.

- وخروج نهائي من الجنة.

ومن يقع في هذه الفتنة ينطبق عليه قول الله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبِّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} 635.

ولا شك أنّ آدم مؤمن ولم يكن لإبليس عليه سلطان في الدنيا لأنّه نبي،  
وكل نبي مخلص كما سبق أن أسلفنا.

إذا آدم لم يتعرض لتجريب أو لتجربة أو فتنة.

ولم يتبق غير البلاء والابتلاء ونرى أنّهما من باب واحد مبنى ومعنى.

الابتلاء كما جاء في اللسان:

- بَلَوْتُ الرَّجَلَ بَلَوًا وَبَلَاءً وَابْتَلَيْتَهُ اخْتَبَرْتَهُ.

- وَبَلَاءُهُ يَبْلُوهُ بَلَوًا إِذَا جَرَّبْتَهُ وَاخْتَبَرْتَهُ.

- وَقَدْ ابْتَلَيْتُهُ فَأَبْلَانِي أَي، اسْتَحْبَرْتُهُ؛ فَأَخْبِرْنِي.

- أَبْلَى بِمَعْنَى أَخْبَرَ.

- وَابْتَلَاهُ اللَّهُ افْتَحَنَهُ.

الابتلاء يكون في الخير والشر معا من غير فرق بين فعليهما ومنه قوله  
تعالى: (وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِ وَالْخَيْرِ فَتَنَّا)، والبلاء الإنعام قال الله تعالى  
(وَأَتَيْنَاهُم مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ)، أي إنعام بيّن وفي الحديث مَنْ:  
"أَبْلَى فَذَكَرَ فَقَدْ شَكَرَ" 636.

وعليه فالبلاء موجب وليس سالبا لأنّه كما جاء في اللغة هو الإنعام،  
ولا يقع لعباد الله ولا سيما الأنبياء إلا خيرا.

ونسقط من معنى الابتلاء الاختبار والامتحان وكشف الخير.

ونخرج الأنبياء الذين هم مخلصون من باب الفتنة إذا ابتلوا بالخير أو الشر  
لأنه سيتجهون بكل تأكيد إلى الصالح لا الطالح.

يقول الله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ  
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا  
عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ  
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ 637.

<sup>636</sup> لسان العرب، ج 14، ص 83.

<sup>637</sup> الصافات 104-111.

والبلاء عاقبته حسنى كما في الآيات، أما الفتنة فعاقبتها تحمل الخير والشر كما جاء في قوت القلوب: "إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز ومنهم من يخرج أسود محترقا ومنهم من يخرج بين ذلك" 638.

وهنا، خلط بين الفتنة والبلاء:

فالفتنة في حق بني آدم من غير الأنبياء.

والبلاء المبين في حق الأنبياء الذي مآله إلى خير.

معنى قوله: (لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)، هو أنه يبلوهم ليصبرهم أيهم أطوع لله وأشد استمرارا على خدمته لأن من هذا حاله هو الذي يفوز بالجنة فبين تعالى أنه كلف لأجل ذلك لا لأجل أن يعصى. وقيل معنى نبلوهم بمعنى نعلمهم أي منهم أحسن عملا 639.

وعليه فكان ابتلاء آدم بين اثنين:

ملك مطيع مستفسر، {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 640.

2- جن عاص كافر، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} 641.

وقد اجتاز آدم الابتلاءين بالإنباء، والاستغفار وكان الخليفة على الأرض.

---

<sup>638</sup> قوت القلوب، ج 1، ص 156.

<sup>639</sup> تفسير الرازي، ج 8، ص 371.

<sup>640</sup> البقرة 30.

<sup>641</sup> الكهف 50.

## علاقة آدم بزوجه:

بداية لابدّ أن نقف عند لفظة زوج لغة لنقف على معنى لها لنتربط به  
وبين مدلول (زوج آدم)، وقبل ذلك نتساءل:

ما الزوج؟

ما عدده؟

ما نوعه؟

مذكر!

مؤنث!

أم يعني؟

العدد.

النوع.

الصفة.

جاء في اللغة:

"الرَّوْجُ: البَعْلُ، والرَّوْجَةُ، وخِلافُ الفَرْدِ، ويقالُ لِلأُنثَيْنِ هِما رَوْجان، وهُما  
رَوْجٌ" 642. وهي ناكِحٌ وناكِحَةٌ ذاتُ رَوْجٍ 643.

الرَّوْجُ: عند أهل الحجاز يقع على الذكر والأنثى جميعاً.  
وعلى واحد منهما.

الرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل بغير هاء وهما جميعاً زوج، وذلك  
أفصح عند العلماء وأصح.

وأهل نجد يقولون: زوجة للأنثى وهو أكثر من زوج، وزوج أفصح من  
زوجة. 644

ومّا تقدّم لغة:

---

642 القاموس المحيط، ج 1، ص 182.

643 القاموس المحيط، ج 1، ص 239.

644 المذكر والمؤنث، ج 1، ص 5.

نجد التعويل على علاقيتين:

- علاقة العدد.

- علاقة النوع.

ففي علاقة العدد لم يتبين عدد الزوج

أهو ثاني الواحد؟

بمعنى أنّ الذكر الفرد والأنثى زوج له.

أم يمكن أن يكون الذكر الفرد زوجه ذكر فرد لأنه ثانيه.

وكذلك الأنثى المفردة يكون زوجها لها الأنثى المفردة لأنها ثانيتها؟

وعلى هذا يكون التعريف السابق لغة قد عوّل على علاقة العدد لا

على علاقة النوع.

وقد يكون الذكر زوج للأنثى.

وقد تكون الأنثى زوج للذكر.

وهذا في علاقة العددية دون النوع.

ونتساءل:

وهل يمكن أن يتعدد الزوج بالعدد والنوع؟

فيصبح ثالث الاثنين  $3=1+2$  عددا وزوجين في النكاح.

أو رابع الثلاثة  $4=1+3$  ثلاثة أزواج بالنوع وأربعة من حيث العدد.

أو خامس الأربعة  $5=1+4$  أربعة أزواج، وخمسة من حيث العدد.

فالزوجية تتعدد مع المفرد وداخل الجماعة.

كل واحدة تشكل زوجا مع الواحد.

وعليه:

فالتعدد داخل النوع.

زوجا (بالنكاح).

وفي خارج النوع بالعدد:

يكون زوجا خارج النوع.



زوج بالعدد لا بالنوع.

وهذا التعدد الذي أردناه بالجمع إلى الواحد يعني ممّا يعنيه.

- معنى من معاني التعدد في التزواج الشرعي رجل أحلت له امرأة واثنان وثلاثة وأربعة. مصداقا لقوله تعالى: {فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} 645.

فأصبح مدلول الزوج يمكن أن يتكون من:

1- زوجة + زوج (فواحدة تكفي لأن يتحقق بالإضافة إليها معنى الزوج) ويتحقق بها الزوجية.

فأصبحت الواحدة زوجا للواحد.

والواحد زوجا للواحدة.

2- المثنى هو الاثنتين (مثنى من النساء امرأتان) فيتكون الزوج من اثنتين بالإضافة إلى الواحد (الزوج الرجل) فيكون العدد الرقمي (ثلاثة) وهذا العدد يحقق معنى الزوج مع كل واحدة من الاثنتين.

- وتصبح كل واحدة من الثنتين في نفسها زوجا له.

- ويكون الواحد الثابت الذي هو الرجل زوج للمثنى (الاثنتين) أي لكل منهما.

- وزوج للواحدة.

- وكل واحدة من المثنى زوج للواحد.

- الاثنان زوجان (الواحدة زوج، والواحدة زوج) فهما زوجان

- وهما زوج في الآن نفسه، فالمثنى من النساء كل واحدة من المثنى زوج للواحد (الزوج) الرجل.

وعليه:

تنتفي الدلالة الثنائية التي لا تزال تقبع في ذهن معظم الناس بأن الزوج يتكون من عدد زوجي بغض النظر عن قيمة هذا العدد الرقمية.

رجل + مثنى (امرأتان) = 3 = زوجين.

ومن حيث المجموع فالمجموع = 4

ومن حيث الزوجية فالأمر لا يتجاوز الزوجين.

3- الثلاث من النساء بالإضافة إلى الرجل (الزوج) الواحد المفرد فيكون المجموع هو العدد الرقمي (4) وهذا العدد يتحقق فيه معنى الزوج بالمفهوم الشائع.

- أصبح الواحد زوجا لكل واحدة من الثلاث.

- والثلاث كما بينا كل واحدة زوج للواحد.

- وكل واحدة من الثلاث وزج للواحد

- والمثنى من الثلاث كل واحدة زوج للواحد

وهذا بتفكيك العلاقة التركيبية للعدد (واحدة، ومثنى، وثلاث، بالإضافة إلى الواحد (الزوج الرجل المفرد).

4- ورباع من النساء أربعة نساء وهذا العدد مكوّن من  $5=1+4$  وكل زوج منهنّ زوج للرجل المفرد الواحد (واحدة، ومثنى، وثلاث، ورباع) تراكميا لا فرديا بأن كل عدد بمفرده، فيكون العدد تراكميا (أربعة نساء). فيكون العدد (5)  $1+4$  محققا لرباعية الزوج مع كون لعدد (5).

5- العودة للأصل في الزوج (فواحدة تكفي).

لأنّ ما ينطبق على الواحدة من صفة في الزوج ينطبق على المثنى والثلاث والرّباع.

قال الله تعالى: {فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} 646.

وتلك العلاقة الزوجية بين الذكر الواحد والأنثى إن تعددت يكون لا حصر للعد المقصود منه الزوجين (2) وفق مبدأ التعدد في الزواج عند المسلمين وغيرهم، بل يكون الأصل وجود الزوج الرجل مقابل الزوج المرأة.

وعليه:

- القاسم المشترك في الزوج هو الواحد لأن الواحد هو الأصل.  
- والقاسم المشترك في الزوجة الأنثى هو الواحدة لأن الواحدة هي الأصل مصداقا لقوله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} {647، والتعويل العدل حيث هو الأصل في التعدد.  
وعليه فالعلاقة الزوجية من المفرد وغيره:

لا تكون إلا باقتران من آخر، سواء من نوعه فتكون عددية (رجل + رجل) = زوج بعلاقة عددية، أو من غيره داخل الجنس فتصير نكاحا.  
ذكر + ذكر = زوج (علاقة عددية) داخل الأخوة أو خارجها.  
ذكر + أنثى (زوج بالنكاح).

وفي علاقة الأخوة:

ذكر + أنثى = (زوج) علاقة عددية بعلاقة الأخوة

ذكر + ذكر

أنثى + أنثى

مصداقا لقوله تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} {648.

وهناك علاقة الصحبة:

تتكون العلاقة العددية

---

647 النساء 3.

648 الشورى 49-50.

ذكر + ذكر

أنثى + أنثى

ذكر + أنثى

وعلى ما تقدّم:

- فالواحد هو الأصل (آدم).

- والواحدة هي الأصل (زوج آدم).

- لذا، قد بدأ الله بالأصل (آدم زوج لزوج، وزوجه زوج له).

ونتساءل:

هل الزوج هو المثنى؟

أم الزوج فرد + فرد؟

أم فرد + أفراد؟

نقول:

بالمعنى العقلي:

- الزوج يمكن أن يكون مثنى ومثنيين ومثان إلى النهاية.

- والفرد فرد وإن تعددت أفراده إلى النهاية.

- الفرد زوج بالعلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة، وإن بدا في ظاهره مفردا

من حيث العدد فهو زوج من حيث المعنى لا من حيث العدد.

- العدد (1) زوج بالإضافة إلى (المثنى) وعليه:

- فالعدد (3) وهو عدد فردي زوج في ذاته وبالإضافة على غيره

وبتفكيكه بالمعنى السابق.

- العدد (5) الواحد الزوج + رباع = زوج بالمعنى العلائقي لا الرقمي.

والتساؤل:

- هل تبقى علاقة الزوج قائمة إذا ما استبعدنا المعنى العلائقي بين الرجل

والمرأة؟

- هل المثنى من الرجال إضافة إلى رجل يتكون منهم (زوج) كما في مثنى، وثلاث؟

- المثنى في معنى الزوج لابدّ فيه من وحدة النوع، فهل يشترط توفر ذلك المبدأ في المثنى إن انتفت تلك العلاقة؟

- وماذا نقول؟

- وإن قلنا زوج فهل لابدّ من أن تتوفر تلك العلاقة التي بين آدم وزوجه؟

هل المثنى بالإضافة للفرد بدون العلاقة الآدمية تنتج زوجاً؟

للإجابة على هذه التساؤلات ننظر في كتاب الله لنرى هل تطرقت آياته لهذه التساؤلات أم لا، وإن كانت في آياته هذه المعاني فكيف يتم توجيهها؟

يقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} 649.

والمأمل في الآية يجد:

الآية موجهة لكل الأمة، وهذا التعدد وإن كثر يبقى:

- كل تعدد للفرد لا يكون إلا فرادى.

- كل تعدد للمثنى لا يكون إلا مثنى.

أما قول الله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} 650، فلا يمت بصلة على ما نحن بصدد، وعليه:

- فالفرد الرجل لا يتعدد.

- المثنى يعدد ومتعدد في حالة غير الزواج. (وأن تقوموا لله مثنى) فالقيام يشمل الذكر والأنثى متخالطين أو متفارقين.

---

649 سبأ 46.

650 الحجر 87.

- الزوجات تتعدد ولا تتنوع فهي نوع واحد (امرأة أنثى).  
- أي عدد إلى الفرد الواحد يكون زوجا له في حالة التزاوج النوعي تحت مظلة الإطار الديني.

- ليست كل الأعداد زوجا للواحد في غير حالة التزاوج النوعي داخل الدين الإسلامي.

- الفرق بين المثنى والمثنائي:

قد يختلط الأمر على القارئ بين المثنى والمثنائي.

فالمثنى في العدد من الإنسان:

-رجل وامرأة.

-رجل ورجل.

-امرأة وامرأة.

مصداقا لقوله تعالى: (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خَمَلٍ ذَكَرٍ)، وهي تشمل الرجل والمرأة

-والمثنائي:

-المثنائي من القرآن لا يكون فيها فرادى، بخلاف المثنى في البشر.

-وعلى كلّ فالمثنائي غير المثنى غير الزوج.

-فالمثنائي في القرآن آيات وأحكام.

-المثنى في الزوج لا تكون إلا امرأتان مصداقا لقوله تعالى: {فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْلَى ثُلَاثٍ وَرَبَّاعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} 651، من النساء مثنى، ولم يقل من الرجال، ولا من الآيات.

- لا فرق بين الزوج والزوجة في لغات العرب إن كان المقصود الأنثى فالزوج بمعنى المرأة الأنثى (الزوجة) بلغة نجد فهي الواحدة المفردة ومنه قول الله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا

651 النساء 3.

حَيْثُ شِعْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، والنداء لآدم بالخصوص في الآية  
يمكن أن يفضي إلى:

- زوج آدم مكلفة عن طريق آدم بنبأ (السكنى) لأن الأمر من الله لآدم  
(يا آدم اسكن أنت وزوجك).

- آدم يبلغ زوجه بأتهما سيسكنان الجنة.

- زوج آدم غير منبئة من الله، بل من آدم في بعض المواقف.

- آدم منبأ من الله بمفرده من غير اقتران مع زوجه في مواقف أخرى.

- زوج آدم منبئة من الله مع آدم بشكل ثنائي مصداقا لقوله تعالى:

{وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ

الظَّالِمِينَ} 652. ويظهر ذلك في:

ثنائية الخطاب في المفردات الآتية:

- كلا.

- حيث شئتما.

- ولا تقربا هذه الشجرة.

- فتكونا من الظالمين.

أما الأمر الفردي لآدم في قوله تعالى الذي يسبق زوجه (اسكن أنت).

فالجملة تعطي من الدلالات:

- آدم يحتاج إلى سكن.

- آدم قد يسبق زوجه إلى السكن.

- آدم يهيئ السكن المادي لزوجه لأنه يسبقها إليه (اسكن أنت).

- السكن المادي (الجنة) لا يكتمل إلا بسكن معنوي (زوج آدم).

- السكن المعنوي لا يكون إلا بزوجه من نوعه.

- السكن لا يكون إلا بزوجه أنثى من جنسه وليست من نوعه (الأنثى).

- الرجل في حاجة إلى سكنين:  
مادي: الجنة.  
ومعنوي: المرأة.
- المرأة تحتاج إلى سكنين:  
الأول: مادي معد لها يسبقها إليه الرجل.  
الثاني: معنوي هي تعده لتتم المادي بالمعنوي.  
والجملة (أنت وزوجك) تعطي دلالات منها:  
- السكن أولاً من الرجل.  
- سكن الرجل لا يكون إلا بزواج (امرأة).  
- المرأة في حاجة إلى سكن المكان وسكن الزوجية (الرجل).  
- من نعيم الجنة لآدم (الزوج).  
- من نعيم الجنة لزواج آدم (آدم).  
- من نعيم الجنة (المشاركة) في:  
اتحاد الفعل القائم على تلقي الأمر والنهي الموجبان للتكليف والتنفيذ  
من مثل:  
- كلا (الزوجان).  
لا تقريباً (الزوجان).  
- يترتب على وحدة الفعل:  
وحدة المصير في حالة المخالفة:  
- (فتكونا من الخاسرين).  
في حالة الطاعة:  
عدم خسارة الجنة.  
عدم الطرد منها.  
وهنا يبرز دور زوج آدم المحوري في حياته وحياتها وحياة البشرية:  
- مساواة التكليف أمراً ونهياً.



- تحمل النتيجة سلبا وإيجابا
- الاختيار مبدأ المحاسبة والإثابة من الله.
- المسؤولية مشتركة بين آدم وزوجه لا على آدم بمفرده أو على زوجته بمفرده.
- آدم يتلقى الإنباء الأول في السماء ليبلغ زوجته.
- زوجته لم تتلق إنباء بالقدر الذي تلقاه آدم في الجنة. وعليه:
- زوج آدم هي ونوعها المتناسلات منها ومن آدم غير معنيات بالنبوة تكليفا على الأرض.
- آدم على الأرض هو النبي وكذلك من جاء بعده تناسلا من الذكور.
- زوج آدم وبناتها إلى يوم القيام معنيات باتباع النبوة لا بتلقي تكليفها.
- الفرق بين الزوج والزوجين:
- من إبداع الله الخالق أن خلق من كل شيء زوجين مصداقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} 653، وبغض النظر عما قيل في الآية تفسيراً إلا أننا نؤكد على أهمية أن تكون الزوجية النوعية ذكر وأنثى في كل الأشياء لحاجة السكن المادي والمعنوي الناتج عن وجود الزوجين ثم التعدد في الأرض.
- والمدقق في كتاب الله يتبين أن الزوجية (النوعية) كانت على مرحلتين:
- الأولى:
- في السماء وهي التي أطلق عليها الزوج.
- الثانية:
- في الأرض وهي التي أطلق عليها الزوجان.

653 الذاريات 49.

## 1- في السماء:

من تتبعنا لآيات القرآن الكريم لم نجد أنّ لفظ الزوجين أطلق على آدم وزوجه بل ما وجدناه بالتعبير القرآني تحديداً عن آدم وزوجه (وزوجك) ويصدق ذلك قوله تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} 654، وقول الله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} 655. والملاحظ أن الخطاب مع آدم عن زوجه لم يكن إلا بضمير المخاطب الحاضر (أنت وزوجك)، ولم تأت مثل: (وزجه) فهي لم تغب عنه أبداً ولم يغب عنها أبداً لعدم تعدد النوع (فلم يكن هناك آو ادم ولا زوجات) بل آدم واحد وزوج واحدة، ولأنها مخلوقة مثل آدم بالأمر (كن). ومن دلالات ذلك:

-التخصيص بأن المعنى لك وحدك ولم تكن لقبلك ولن تكون زوجاً لأحد بعدك.

-زوج آدم مخلوقة على التمام والصلاح وهذه خصيصة من خصائص زوج آدم، وكأن الخطاب بالحضور فيه التمام الذي لا ينقصه الإصلاح وذلك مقابلة بما قيل عن زوج زكريا صلى الله عليه وسلم: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} 656.

فالإصلاح لم يذكر مع زوج آدم لأن الله خلقها على التمام لقبول الحمل والرضاعة وما يتصل بشئون الأسرة من مراعاة للزوج وتحمل لألام الحمل ومشقة التربيّة ومناصفة آدم في خلافة الأرض.

- لم تكن لامرأة أخرى غير زوج آدم هذه الميزة.

---

<sup>654</sup> البقرة 35.

<sup>655</sup> الأعراف 19.

<sup>656</sup> الأنبياء 89-90.

- زوج آدم هي الأولى من نوعها التي لم تحلّ إلا لرجل واحد.  
- لم يكن لدى زوج آدم اختيارات في قبول الزوج الآخر، وكذلك آدم.  
- زوج آدم لم تحل لأحد بعد آدم فكانت هي من أصل التشريعات التي ذكر منها في القرآن الكريم: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي فِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا } 657.

فما ينطبق على زوج آدم بالتحديد وآدم في الآية باعتبارهما الأصل:  
- زوج آدم هي الأصل في تحريم زواج الأبناء من أمهاتهم، وهذا الأصل لا يختلف عليه أي فكر دين سماعي أو وثني، وقد عالج المسرح اليوناني القديم هذا الموضوع في مسرحية (الملك أديب) واعتبر ذلك خطيئة، وكذلك زواج الأب من ابنته، كما عالجت أشياء أخرى لسنا بصددنا الآن.

- كل الأمهات لا يحل لهن الزواج من أبنائهن.  
- كل البنات لا يحل لهن الزواج من آبائهن.  
- كل الأبناء لا يحل لهم الزواج من أمهاتهم.  
- آدم لم يحل له الزواج من بناته.  
- كل الرجال لا يحل لهم الزواج من بناتهم.  
ومن خصائص زوج آدم وكان له أثر في التشريع بوجه خاص أنها لم تحل لأحد من قبل آدم وهذا لأنه لم يكن رجل من نوع آدم قبل آدم، ولم تحل لأحد من بعده، وذلك تشريعا هي أساسه لكونها أم الجميع، وزوج الأب

العام، ومن أثر ذلك أن هذه الخصيصة كانت لنساء النبي محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعد زواجه بهن قال الله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} 658.

وبما أنّ أزواج النبي أمهات المؤمنين فالنبي أبوهم لا شك في ذلك، وعلى ذلك لا يجوز لأي فرد من الأمة أن يتزوج من نساءه ولو طلقها، أو مات عنها النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهذه العلاقة المعنوية بين سيدنا آدم وسيدنا محمد أوجبت نتيجة وهي:

- أن نساء النبي كزوج آدم لا يحلّ لهن الزواج من بعد النبي محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم من أي أحد من بعده لأنّ الأمومة المعنوية قائمة مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا} 659.

وقد يقول قائل الخطاب بالحاضر بلفظ زوجك قد ورد في القرآن الكريم مع السيدة زينب بنت جحش لما كانت زوجاً لأسامة بن زيد مولى النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وابنه بالتبني قبل ذلك: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ} 660.

- والخطاب بالحضور هنا لا يعني تمام التماثل بين زوج آدم وبين زينب بنت جحش، لأنّ زوج آدم لم تحلّ لغير آدم، وزينب بنت جحش كانت تحلّ من قبل أسامة لأي شخص من المحللين لها أن تتزوج منهم.

- التماثل يأتي من بعد أن تزوجت السيدة زينب بنت جحش من النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأصبحت أما للمؤمنين، فحرمت على كل الرجال ولو طلقت أو رملت بوفاة النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

---

658 الأحزاب 6.

659 الأحزاب 53.

660 الأحزاب 36.

- الابن بالتبني غير الابن من الصلب فما ينطبق على البنوة الحقيقية لا ينطبق على البنوة المصطنعة.
- الأصل ما كان عليه آدم.
- لذا؛ فلا يحلّ للأب من أن يتزوج من زوج ابنه الحقيقي بالنسب.
- يحلّ للرجل من أن يتزوج من زوج الابن بالتبني، لعدم وجود علاقة البنوة المتحققة بالنسب صلبا.
- ولذلك لم يكن التماثل متطابقا بين زوج آدم وبين زينب بنت جحش إلا بعد زواجها من النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- مرحلة الزوجين:

قلنا:

إنّ لفظة الزوج تعني القبلية.

ولفظة الزوجين تعني البعدية.

فالزوج كانت في السماء وتختص بها زوج آدم على وجه الخصوص.

ومرحلة الزوجين هي مرحلة أرضية تحققت على الأرض مصداقا لقوله تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ} 661.

وقول الله تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَىٰ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ} 662.

فالمرحلة الأرضية هي مرحلة الزوجين التي يتحقق فيها وجود الزوجين من اتصال النوع بالنوع عن طرق النطفة (خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ).

فآدم وزوجه في السماء ليسا عن نطفة لأنهما الأولان من البشر.

لذا؛ فهما الزوج الأول عن خلق لا عن اتصال ولا عن تغشية مصداقا لقوله تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} 663.

<sup>661</sup> النجم 45-46.

<sup>662</sup> القيامة 36-38.

فالبشر تعني آدم وزوجه، وزوجه لم تخلق من نطفة ولا من سلالة من طين بل خلقت من طين بمراحله السماوية، لأن كلمة طين تشمل آدم وزوجه. - أمّا بقية أبناء آدم وزوجه فهم من الطين سلالة عن التغشية، والتغشية هي الجماع الذي يؤدّي للحمل والتناسل، فيكون ما بعدهما من سلالة من الطين لا من طين مصداق لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ} 664.

وعليه نقول:

- إنّ آدم لم يباشر زوجه في السماء.
- آدم باشر زوجه في الأرض.
- وذلك لأن المني الذي يمى هو من مكونات الأرض ولم يكن من مكونات السماء، وهو من الماء المهين.
- والسماء ليس فيها شيء مهين.
- طعام الجنة ليس فيه شيء مهين لأنه من إعداد الله.
- طعام الأرض يمكن أن يتصف بالمهين لأنه من إعداد الإنسان.
- طعام الجنة لا يؤدّي إلى الجوع.
- طعام الأرض يؤدّي على الجوع.
- طعام الجنة لا يؤدّي إلى العري والذهاب للغائط.
- طعام الأرض يؤدّي إلى العري لإخراج ما تبقى في البطن.

663 ص 71.

664 الأعراف 189.

وذلك كله مصداقا لقوله تعالى: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ  
وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى  
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى} 665.

ولما كانت هذه صفات طعام الأرض كان ما يخرج منه مهين، وهذا  
الوصف لا ينطبق على زوج آدم ولا على آدم في الخلق لأتتبا مخلوقان  
على التمام.

وعليه:

- فمرحلة الزوج في السماء.

- ومرحلة الزوجين في الأرض.

- لا تكاثر في الجنة.

- التكاثر كان على الأرض.

- لا جوع في الجنة.

- الجوع متحقق في الأرض.

ومن علاقات آدم بزوجه:

من المتأمل في قصة الخلق البديعة لآدم وزوجه وما حدث لهما يتبين أنّ  
علاقة آدم بزوجه كانت على مرحلتين، وذلك بخلاف جميع البشر بعد  
ذلك:

فعلاقة أي رجل بامرأة هي علاقة أرضية، وهذه العلاقة الأرضية قد ينتج  
عنها:

- غضب

- خلاف.

- شقاق {وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} 666.

- تحاكم {فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} 667.

---

665 طه 117-119.

666 النساء 35.

- صلح {إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا} 668.

- توفيق (يُوفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا).

- خصام.

- مجادلة {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} 669.

وغير ذلك من أنماط العلاقات التي هي متحققة بين الزوج وزوجه من ذرية آدم وزجه.

وما سبق هو نتاج علاقة أرضية وغيره متحقق لا شك وقد ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر.

أما علاقة آدم بزوجه في السماء وفي الأرض لم يحدث فيهما أي شيء مما سبق ذكره والدليل على ذلك آيات القرآن الكريم.

إذن علاقة آدم وزوجه كانت سماوية، وأرضية.

1- العلاقة السماوية:

ويبدو أول ما يبدو من هذه العلاقة الآتي:

- التساوي في الخلق، فقد خلق آدم وزوجه على مبدأ التساوي مصداقا لقول الله تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 670.

ففي الآيتين لم يقل الله (خالق آدم) بل خالق بشرا من طين، والبشر اسم جنس ليس له مفرد من لفظه يدل على المذكر والمؤنث، لذا فزوج آدم نعتقد أنها مخلوقة بالتسوية مثل آدم وفي اللحظة نفسها، وذلك لعدم

667 النساء 35.

668 النساء 35.

669 المجادلة 1.

670 ص 71-72.



وجود دليل من القرآن ينقض ذلك، اللهم إلا ما ورد في الإسرائيليات من أقوال تتعارض مع قدرة الله وتقلل من شأن الأنبياء بل تجعلهم في مكانة لا تليق بهم من الأساس.

ونقول:

إنّ زوج آدم من طين مثل آدم خلقت بالأمر كن، مسواة منفوخ فيها من روح الله المخلوقة لها تماما كآدم وكما تحدثنا عن آدم.

وهي مسجود لها مع آدم وذلك لقول الله تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 671.

- فالمخلوق (بشرا) هما آدم وزوجه لا تقديم ولا تأخير في الخلق لأنّ الخالق واحد.

- والمسوا بشرا هما آدم وزوجه لا تقديم ولا تأخير ولا تفضيل في الخلق لأنهما مخلوقان بالمساواة وعلى تمام التسوية في الخلق، ثم في التكليف.

- والمنفوخ فيه من روح الله (بشرا) هما آدم وزوجه في اللحظة نفسها بالفعل كن.

- والمسجود له في هذا المشهد (مشهد الخلق) لا مشهد الإنباء هما آدم وزوجه.

- كما أنّ من المساواة في الخلق بين آدم وزوجه، إنّ زوج آدم مخلوقة زوج آدم من البداية وبيان ذلك في الآتي:

- آدم مخلوق زوج لزوج من البداية مكتمل الرجولة.

- زوج آدم مخلوقة زوجة لآدم من البداية مكتملة الأنوثة.

- آدم لم يمر بمراحل الإنسان العادية المتعارف عليها في الأرض بحيث إنّّه جاء عن اتصال بين أبوين، ثم حمل ورضاعة وغطام إلى غير ذلك للوصول لمرحلة أن يكون زوجا.

- حواء لم تمر بمراحل الأنتى العادية المتعارف عليها في الأرض مولودة عن اتصال وطفلة رضية وفتاة بالغة وامرأة مكتملة الأنوثة، بل هي من بداية خلقها بالأمر كن زوج لآدم بتمام أنوثتها.

ومن المساواة بين زوج آدم وآدم في السماء:

- المساواة في الأوامر والنواهي الإلهية ومن مثل ذلك:

قول الله تعالى: في سورة البقرة {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} 672.

وفي سورة الأعراف: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ} 673.

ونتساءل:

هل الأوامر والنواهي في الآيات في سورة البقرة والأعراف وغيرها في سور القرآن التي تمت قصة آدم وزوجه هي:

- إباحة الأكل؟

- تكليف عبادة؟

- ابتلاء لتنفيذ قضاء الله؟

---

672 البقرة 35-37.

673 الأعراف 19-22.

نقول:

- الإباحة كانت موجودة وغير موجودة!

- كيف؟

كان الأمر من الله أمر إباحة لا خلاف في ذلك على ما نبينه الآن.

- الإباحة كانت في السكن في الجنة في أيّ مكان فيها لقول الله تعالى:

(اسكن أنت وزوجك الجنة).

لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يعقب الإباحة بالسكن بشرط فلم يقل: اسكن الجنة عدا هذا الموضع، ولكن الأمر جاء بالمطلق بما يحتويه اللفظ على سعة المكان وشموله.

- لذا؛ فالإباحة كانت موجودة في السكن.

- والأمر كان على التساوي بين آدم وزوجه في السكن (اسكن أنت وزوجك)، فالواو تفيد المساواة في الأمر.

وهذا الجزء من الآية من الآية (اسكن أنت وزوجك) في قمة الإعجاز الذي يدحض كل أباطيل ما روي عن الإسرائيليات....، لماذا؟  
لقول الله تعالى (أنت وزوجك):

- إذن كان آدم وزوجه مخلوقين من قبل دخول الجنة.

- وزوجه كانت زوجه من قبل دخول الجنة.

- وهي لم تخلق في الجنة من ضلع آدم.

- لم تخلق من قطعة طين صغيرة فركها آدم من ضلعه كما يروى من غير دليل.

- المساواة في الأمر والنهي والتكليف والابتلاء بين آدم وزوجه في مرحلة السّماء.

فقول الله تعالى: (سكن أنت وزوجك الجنة).

- يؤكد على إباحة السكن المكانية في أيّ مكان في الجنة.

- لا يؤكد على الإباحة الزمانية.

ونتساءل:

هل الأمر بالسكن في الجنة تكليف عبادة أم ابتلاء؟

نقول:

- ليس تكليف عبادة، بل إباحة سكن للتشريف.  
- وهو ليس ابتلاء بل تقديم لابتلاء سيحدث في المكان غير معلوم الزمان لآدم وزجه، ومعلوم بالطلاق لله رب العالمين.  
وهذا الابتلاء ليس ناتج عن الأمر (اسكن أنت وزوجك) بل ناتج عن أمر آخر سنعرض له بعد ذلك:

وقد ناقش ذلك الأمر الرازي فقال: "في قوله (اسكن) أمر تكليف أو إباحة فالمروي عن قتاده أنه قال: إنّ الله تعالى ابتلى آدم بإسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود وذلك لأنه كلفه بأن يكون في الجنة يأكل منها حيث شاء ونهاه عن شجرة واحدة أن يأكل منها فما زالت به البلايا حتى وقع فيم نهي عنه فبدت سواته عند ذلك وأهبط من الجنة وأسكن موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع أنّ منعه من تناوله من أشد التكاليف. وقال آخرون: إن ذلك إباحة لأنّ الاستقرار في المواضع الطيبة النزهة التي يتمتع فيها يدخل تحت التبعّد كما أن أكل الطيبات لا يدخل تحت التبعّد ولا يكون قوله: (كُلُوا مِنْ طيباتِ مَا رزقناكم)، أمرا وتكليفا بل إباحة، والأصح أن ذلك الإسكان مشتمل على ما هو إباحة، وعلى ما هو تكليف، أما الإباحة فهو أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مأذونا في الانتفاع بجميع نعم الجنة، وأما التكليف فهو أن المنهي عنه كان حاضرا وهو كان ممنوعا عن تناوله، قال بعضهم: لو قال رجل لغيره أسكنتك داري لا تصير الدار ملكا له، فههنا لم يقل الله تعالى:

وهبت لك الجنة بل قال أسكنتك الجنة وإنما لم يقل ذلك لأنه خلقه  
لخلافة الأرض فكان إسكان الجنة كالتقدمة على ذلك" 674.

وفي مسألة (متى وكيف خلقت زوج آدم)، نقول ما قلناه:  
قاله الرازي رواية عن البعض كما في تفسيره نصا: أن الله تعالى لما أمر  
الكل بالسجود لآدم وأبى إبليس السجود صيره الله ملعونا، ثم أمر آدم  
بأن يسكنها مع زوجته.

وهنا لنا وقفة:

تبدو في العبارة السابقة ثلاثة أفعال في زمنين متقاربين:

- بعد سجود الملائكة

- وامتناع إبليس.

- أمر الله آدم بأن يسكنها مع زوجته.

من المعلوم أنّ سجود الملائكة وامتناع إبليس عن السجود كان في زمن  
واحد ويترتب على ذلك:

- طرد إبليس من رحمة الله.

- تكليف بإباحة سكن آدم وزوجه الجنة.

وهنا نتساءل:

الله أمر آدم أن يسكن الجنة هو وزوجه بعد الحدثين السابقين بلا فاصل  
زمني كما هو واضح في سياق الآيات وفي عبارة الرازي، فلماذا يصير  
خلاف على خلق حواء؟

ألا يدل الساق السابق على أنّها كانت مخلوقة مع آدم؟

ألا يدل السياق السابق أنّها حضرت موقف السجود الأول؟

---

<sup>674</sup> تفسير الرازي، ج 7، ص 61.

ألا يتضح لنا الآن أنّ حواء المخلوقة (بشرا) مسجود لها في (حضرة الإنبياء) من الله للملائكة {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 675.

فهنا لا نجد تصرّحا أو تلميحا بأنّ المخلوق على وجه الخصوص هو آدم إنّما المخلوق بشر والبشر اسم جنس يشمل المذكر والمؤنث. وعليه نقول:

إنّ زوج آدم مخلوقة في اللحظة التي خلق فيها آدم وهي متساوية معه في:

- طبيعة الخلق (بشرا).
- مادة الخلق (من طين).
- تشريف الخلق (سويته).
- تكريم الخلق (نفخت فيه من روعي).
- تمييز الخلق (فقعوا له ساجدين).
- إباحة السكن في الجنّة في الوقت ذاته دون تقدّم لآدم أو تأخر من حواء (اسكن أنت وزوجك الجنّة).
- ولكن من العجيب أن في بعض التفاسير إن لم يكن كلها مثل (الاختلاف حول وقت خلق زوج آدم).

يقول الرازي: "واختلفوا في الوقت الذي خلقت زوجته فيه، فذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة: "أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَخْرَجَ إِبْلِيسَ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَسْكَنَ آدَمَ الْجَنَّةَ فَبَقِيَ فِيهَا وَحْدَهُ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ يَسْتَأْنَسُ بِهِ فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ النَّوْمَ ثُمَّ أَخَذَ ضُلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ مِنْ شَقِهِ الْأَيْسَرِ وَوَضَعَ مَكَانَهُ لَحْمًا وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْهُ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ وَجَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ امْرَأَةً قَاعِدَةً فَسَأَلَهَا مِنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ: امْرَأَةٌ. قَالَ: وَلِمَ خَلَقْتِ؟

قالت: لتسكن إليّ، فقالت الملائكة: ما اسمها؟ قالوا: حواء، ولم سميت حواء، قال: لأنّها خلقت من شيء حي" 676.

ونقول:

هذا قول يخالفه كلام الرازي نفسه في الرواية التي يرويها والمتصلة في ذات السياق عن ابن عباس، فكما استشهد في القول السابق بابن عباس رضي الله عنهما يأتي ليستشهد بكلام مختلف ومتناقض عن ابن عباس أيضا.

وهنا نقول:

- لا يمكن أن يقول ابن عباس كلامين متناقضين.
- ولا يمكن أن ينقل الرازي كلاما متناقضا عن مصدر واحد.
- لذا نرجح أن تكون أيد خفية قد ساقّت الأخبار متضاربة لتشتيت الانتباه وصرف النظر إلى مصدر آخر.

والخبر الثاني كما يرويّه الرازي بنصه هو: "وعن عمر وابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء عليهما السلام على سرير من ذهب كما تحمل الملوك ولباسهما النور على كل واحد منهما إكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى أدخلوا الجنة. فهذا الخبر يدل على أنّ حواء خلقت قبل إدخال آدم الجنة والخبر الأوّل يدل على أنّها خلقت في الجنة والله أعلم بالحقيقة" 677.

والتناقض هنا بين الخبرين واضح:

مرة خلقت في الجنة من ضلع آدم.

ومرة خلقت قبل دخول الجنة.

---

<sup>676</sup> تفسير الرازي، ج 2، ص 72.

<sup>677</sup> السابق

ونقول: الخبران مختلفان لا أساس لهما من الصحة في القرآن ولا في الحديث.

1- في القرآن، لا دليل على خلق زوج آدم من ضلع آدم.

2- في الحديث نستبين الرأي:

هل حواء خلقت من ضلع آدم أم من ضلع؟ والذي وجدناه الآتي:  
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ  
أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا  
بِالنِّسَاءِ" 678.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّمَا خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ  
مِنْ ضِلْعٍ أَعْوَجٍ، فَلَنْ تُصَاحِبَهَا إِلَّا وَفِيهَا عَوْجٌ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا  
كَسَرْتَهَا، وَكَسَرْتُكَ لَهَا طَلَأُهَا" 679.

فكل الأحاديث الواردة في هذا الخصوص لم يثبت فيها إنها مخلوقة من ضلع آدم وإنما من (ضلع) وجاء (ضلع آدم) تفسيراً لحديث، أو شرحاً لآية، أو نقلاً عن ابن إسحاق في بداية الخلق وكان ابن إسحاق يكثر من الإسرائيليات.

ومن العجيب أن يلتصق مباشرة بالحديث كلام آخر في سنن ابن ماجه منسوب إلى الإمام الشافعي نضه: (قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَلْمَةَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ مَعْقِلٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْمِصْرِيُّ قَالَ سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسُ مِنْ بَوْلِ الْغُلَامِ وَيُغْسَلُ مِنْ بَوْلِ الْجَارِيَةِ وَالْمَاءِ إِنْ جَمِيعًا وَاحِدًا، قَالَ: لِأَنَّ بَوْلَ الْغُلَامِ مِنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ وَبَوْلَ الْجَارِيَةِ مِنَ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ ثُمَّ قَالَ لِي فَهَمْتُ أَوْ قَالَ لَقِنتَ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ خُلِقَتْ حَوَاءُ مِنْ

678 صحيح البخاري، ج 11، ص 112.

679 المعجم الكبير للطبراني، ج 19، ص 117.



ضِلْعِهِ الْقَصِيرِ فَصَارَ بَوْلُ الْعُلَامِ مِنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ وَصَارَ بَوْلُ الْجَارِيَةِ مِنَ  
اللَّحْمِ وَالْدَّمِ قَالَ قَالَ لِي فَهَيْمَتُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ لِي نَفَعَكَ اللَّهُ بِهِ" 680.

فتفسير الشافعي هو الذي فيه أنها مخلوقة من ضلع آدم، ولم يرد ذلك في  
حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- والمأخوذ عليه هو خلط حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو  
حديث صحيح بكلام المفسر وينتج عن ذلك:

توهم القارئ أنّ النصّ بكامله للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- توهم البعض بعد ذلك أن هذا النصّ كلّهُ نصّاً واحداً من غير فصل  
حديث النبي عن قول المفسر.

- وتساءل: لماذا كان الرّبط بين حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين  
قول الإمام الشافعي.

- وأين أقوال بقية الأئمة من المذاهب المتعددة في الإسلام ولماذا لم يردفها  
ابن ماجة في سننه بعد كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- ولماذا اختار ابن ماجة قول الشافعي ولم يختَر قولاً لأستاذه الإمام  
الليث بن سعد أو غيره ممن عاصره أو من سبقه كالإمام مالك.

- وتساءل: ألا يدفع ذلك كله فعادة النظر فيما روي في كتب الصحاح  
والسنن لفصل بين قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين ما التصق  
بكلامه واعتبر توهما انه من كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

- وما جاء تفسيراً لآية حول خلق حواء من مثل:

1- عن الضحّاك في تفسير قوله تعالى: {وخلق منها زوجها} 681،

قال: خلق حواء من آدم، من ضلع الخلف، وهو من أسفل  
الأضلاع 682.

---

680 سنن ابن ماجه، ج 2، ص 144.

681 النساء 1.

682 تفسير ابن أبي حاتم، ج 16، ص 446.

2- عن قتادة في تفسير قوله تعالى: { جعل منها زوجها } 683، قال:  
"خلقت حواء من ضلع من أضلاعه ليسكن إليها" 684.

واعتمدوا على أن الله خلق حواء من نفس آدم من قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا  
النَّاسِ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ  
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } 685.

وقوله تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ  
دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } 686.

ونتساءل: ما علاقة النفس الواحد بالضلع؟

ولماذا الضلع بالتحديد؟

ونقول:

- النفس الواحدة آدم.
- والمجموع من مثل خلقها (بالتساوي) وليس خارجا عن النفس الواحدة أو منها.
- والمخلوق من مثل خلقها حواء (بالأمر كن).
- وتماثل الخلق بين آدم وزوجه أنهما بشرا من طين.
- وحواء ليست من ظهر آدم بل من الطين الذي خلق الله منه آدم وحواء بالتساوي في الوقت ذاته.
- كما أنّ ذرية آدم كلها (كما أخبر الله) مخلوقة من صلب آدم وقد أخبر الله بذلك من قبل أن يخلق الخلق ظهورا جسديا في عالم الدنيا، ولم

---

683 الزمر 6.

684 تفسير ابن أبي حاتم، ج 32، ص 97.

685 النساء 1.

686 الأعراف 189.

يأت ذكر لحواء لأنّ هذه الذرية لم تكن في رحم حواء إلا عن اتصال في عالم الدنيا يقول الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنَّا نَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} 687. وبنو آدم بدل من آدم، حتى لا يكون هناك استثناء، لأنّ الذرية تكون أولاً في أصلاب الرجال ثم تنتقل إلى أرحام النساء بعد الاتصال.

وإذا كانت حواء مخلوقة من آدم نتساءل:

هل كانت في صلبه؟

- بالطبع لم تكن في صلبه ولم يقل بذلك أحد، وإلا لكانت بنته وحرمت عليه

- ولو فرضنا جدلاً أنّها كانت في صلبه فإلى أيّ رحم خرجت؟ والإجابة لم يكن هناك رحم البتة مخلوق لأنّ أول رحم مخلوق هو رحم زوج آدم.

وعليه:

فلا يمكن أن تخرج منه.

ولكن المعقول أن تخلق مثله ومن مادته (من طين) بالأمر كن. ونقول:

- إن لم تكن في صلبه فهي خارجه... فأين كانت؟ وإن كانت خارجه فهي مخلوقة ابتداءً معه بقدره الله. لذا نقول:

- إنّ حواء مخلوقة من طين (بشراً) مثلها مثل آدم.

- حواء مخلوقة خارج الجنّة.

- حواء مخلوقة قبل دخول الجنّة.

- حواء تلقت الأمر بدخول الجنة مع آدم بدليل قوله تعالى: {وَقُلْنَا يَا  
آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا  
هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} 688.

فالخطاب الموجه للمثنى بداية من قوله تعالى:

(أنت وزوجك)

ثم (كلا)

(حيث شئتما)

(ولا تقربا)

(ولا تقربا)

(فتكونا من الظالمين)

- فالأمر والنهي لمثنى حاضر وليس لمثنى غائب.

- والخطاب للحضور يستلزم وجود المخاطبين.

- لأنّ الأمر به تكليف من الله لآدم وزوجه ويتطلب تنفيذه في الوقت  
ذاته.

- النهي يترتب عليه مصير يستلزم وجود وحضور الاثنين لا أحدهما ليبلغ  
الآخر، ومما تقدّم يتبين:

- أنّ الخطاب الإلهي كما هو موجه لآدم صلّى الله عليه وسلّم هو  
موجه لزوجته.

- آدم وزوجه مخلوقان في الجنة على الشائبة الخلقية ولهذا فزوج آدم لم  
يكن مخلوقا من ضلعه.

- لم نجد في أحاديث النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّها مخلوقة من ضلع  
آدم، بل من ضلع، والضلع من معانيها المشقة والتعب والاعوجاج والجور  
كما في كتب اللغة: "ضلع الرمح ضلعا اعوج" 689، "والضّالّع - الجائر

---

688 البقرة 35.

689 المخصص، ج 1، ص 471.

وقد ضلع يضلّع - مال ومنه ضلّعك مع فلان" 690، "ضلّع عن الحق: مال وجار. وأضلّع الحمل: ثقل" 691.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ، إِذَا أَرَدَتْ أَنْ تُقِيمَهَا حَتَّى تَكْسِرَهَا، أَوْ تَتْرَكَهَا وَهِيَ عَوْجَاءُ" 692.

والنبي صلى الله عليه وسلم استخدم ضلع على سبيل المجاز لا على الحقيقة لتأكيد الوصية بالنساء لما يلقي المرأة من ضعف، وإنه لا بد من حسن معاملتها والرفق بها لأنّ معاملة المرأة في ذلك الوقت كانت متعسفة حتى أنّها كانت تدفن حية ولا ترث والأدهى أنّه أنّ المرأة نفسها كانت تورث، فجاء كلام النبي صلى الله عليه وسلم من باب الحرص على النساء والوصية بها، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ" 693، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتهما كسرتها فدارها تعش بها" 694، قال الألباني: (صحيح).

والأحاديث التي وردت فيها كلمة ضلع لم يرد فيها (ضلع آدم) لذا، نقول: إنّ المعنى هنا على سبيل المجاز لا الحقيقة، كالمشقة والتعب والميل والجور.

وما يتناسب مع ذلك، ولا وجود لضلع في الحقيقة إلا عند المفسرين أو الناقلين عن المصادر التاريخية المغلوطة من مثل التي يرويها ابن إسحاق دون سند من الكتاب أو السنة الصحيحة.

---

<sup>690</sup> المخصص، ج 3، ص 54.

<sup>691</sup> المخصص، ج 3، ص 479.

<sup>692</sup> المعجم الكبير للطبراني، ج 6، ص 409.

<sup>693</sup> صحيح البخاري، ج 11، ص 112.

<sup>694</sup> صحيح الترغيب والترهيب، ج 2، ص 195.

والدليل على ذلك:

هل المرأة خلقت من الزجاج الذي يصنع منه القوارير؟  
بالطبع لا.

فإذا استخدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا اللفظ فهو على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة من مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح مسلم في باب (رحمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنساء) عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَعُغْلَامٌ أَسْوَدٌ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةٌ يَحْدُو فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَنْجَشَةُ زُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ" 695.

فالقوارير مفردا قارورة، والقارورة مصنوعة من الزجاج، والمرأة ليست مخلوقة من الزجاج، ولكن هذا من باب المجاز كناية عن لين المرأة وضعفها ورفقا بها.

ومن باب التساوي بين آدم وزوجه ما كان لهما في الجنة من أوامر ونواهي ودلالة تلك الأوامر والنواهي.

آدم وزوجه في الجنة ما بين الإباحة التكليف والتحذير والتشريع:  
لقد تكرر في القرآن الكريم موقف دخول الجنة والمعصية وفي ذلك دلالات منها:

لماذا التكرار؟

هل هو إعادة للحدث بدون إضافة؟

أم إعادة للحدث بإضافة؟

أم إعادة للحدث للتأكيد على أهمية الحدث؟

أم للفت انتباه القارئ لتدبر الآيات مصداقا لقوله تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ  
الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } 696.

---

<sup>695</sup> صحيح مسلم، ج 11، ص 463.

<sup>696</sup> محمد 24.

- {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} 697.

وقال الله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِيَّيَّيَّ لَكُمْ لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَذَلَّاهُمَا بِعُرْوٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} 698.

وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} 699.

من الآيات يتبين:

1- دخول الجنة في وقت واحد دون أن يسبق آدم زوجه حواء.

<sup>697</sup> البقرة 35-37.

<sup>698</sup> الأعراف 19-23.

<sup>699</sup> طه 115-122.

أ- (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ).

ب - (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ).

ج - (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى).

في سورة البقرة دخول الجنة بعد حوار الاستخلاف واستفسار الملائكة وإنباء آدم لها وسجود الملائكة طاعة لله وتسليما بفضل آدم.  
- أعقب ذلك الأمر من الله بدخول آدم وزوجه الجنة.  
وهنا نتساءل:

هل كانت زوج آدم حاضرة لخطاب الاستخلاف والإنباء؟

هل كانت زوج آدم معنية بأمر الخلافة؟

هل زوج آدم كانت على علم مثل علم آدم؟

من ظاهر آية البقرة التي فيها حور العلم والسجود نقول:

- إنّ حواء كانت حاضرة لهذا المشهد المهيّب.

- إنّ حواء كانت معنية بأمر الخلافة لأنها مخلوقة بداية مع آدم ومن نفس طبيئته (بشرا من طيب).

- إنّ حواء كانت على نفس الدرجة من العلم التي عليها آدم صلى الله عليه وسلم لأنها:

- بشرا.

- من طين.

- معنية بأمر الخلافة.

- حاضرة لمشهد الاستخلاف.

- دخلت الجنة معه.

- مسجود لها من الملائكة في الموقفين:

1- موقف الخلق.

موقف الاستخلاف.



لها نفس العداة من إبليس مصداقا لقول الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى فَعُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} 700.

- الله يقول: (إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ).

ففي الآية نتساءل:

ما سبب عداة إبليس لآدم؟

الإجابة واضحة تتمثل في الحقد والكبر والحسد لآدم، لأنّ آدم سبب من أسباب طرد إبليس من رحمة الله ودخوله في اللعنة إلى يوم الدين. ولكن التساؤل الذي لم يتساءله كما نعتقد أحد من قبل.

ما سبب عداة إبليس لزوج آدم؟

مصداقا لقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ).

نقول:

هي الأسباب نفسها التي دعت إبليس لأن يكن ويظهر العداة لآدم هي التي دعته أن يكون عدوا لزوج آدم.

- لأنها مخلوقة من طين.

- وإبليس استكبر بعنصره النار على الطين

- وزوج آدم من طين مصداقا لقوله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} 701.

فالإنسان اسم يطلق على المذكر والمؤنث وهذا الإنسان هو آدم وزجه حواء، وما يؤكد أن حواء تدخل في معنى الإنسان في الآية قوله تعالى:

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} 702.

---

<sup>700</sup> طه 116-117.

<sup>701</sup> السجدة 7.

<sup>702</sup> المؤمنون 12-13.

فالذي خلق من الطين آدم وزوجه لماذا؟  
لأن الآية السابقة تقول: (من سلالة من طين).  
وحواء من طين وليست من سلالة من طين.  
ويقول الله تعالى: (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين).  
وزوج آدم لم تكن في قرار مكين.  
لأن أول قرار مكين هو جزء من حواء ولم تكن حواء فيه أبدا؛ فلماذا؟  
لأنها ليست من سلالة من طين.  
إنها من طين.

ولأنها من طين فهي محل لعداء إبليس الذي صرح بعدائه لها ولزوجها  
لأنه كما يدعي أنه أفضل من المخلوق (زوجين) آدم وزوجه اللذان من  
الطين مصداقا لقوله تعالى: (أنا خير منه)، من هذا الخلق الذي خلقته  
من طين.

- ويؤكد ذلك قول الله للملائكة ولإبليس، { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي  
خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ  
سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ  
الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ  
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ  
فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } 703.

فبتفكيك الآيات يتضح الآتي:

(خالق بشرا من طين)

وعليه:

- حواء بشر.

- من طين.

(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي).

حواء مخلوقة مسواة.

منفوخ فيها من روح الله.

(فقعوا له ساجدين).

حواء مأمور بالسجود لها.

الملائكة سجدت لآدم وحواء.

إبليس لم يسجد لآدم ولا لزوجه.

(قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين).

هنا يكون العداء من إبليس لآدم وزوجه.

لأنهما مخلوقان من الطين.

ولأن كل أفعاله معهما بعد من وسوسة وقسم وغير ذلك لم تستثن

أحدهما لأنهما مستهدفان بعدائه من البداية.

من بداية خلق وحتى بعد الهبوط.

معجزة آدم:

(قالوا سبحانك) قول نطقت به الملائكة الكرام وهم يسألون عن أمر

خارج علمهم ثم هم بعد ذلك يرون إنباء عما أعجزهم من قبل بلسان

آدم المخلوق خليفة في الأرض فكان الإنباء معجزة عرفت الملائكة بقدر

آدم الذي فاقهم بعلم معجز من الله هو علم الإنباء فكان السجود منهم

طاعة لأمر الله وتقديرا منهم واعترافا بما أودع الله بها المخلوق من ملكات

معجزة.

هذا الإنباء اختص الله به آدم في السماء بما أودع فيه من علم الإنباء

وهو من علم الله مصداقا لقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، ولأن

علم الله باق لا يتبدل ولا ينتهي ولا يزول فقد حمل آدم معه إنباءه المعجز

عند الهبوط إلى الأرض فكان معجزته على الأرض.

وقد يتساءل أحد:

لمن المعجزة؟

ومن تعجز؟

وكيف؟

نقول: إنّ آدم المبعوث نبيا لبنيه ولكل الأجيال التي حضرت نبوته احتاج في زمن الهبوط إلى معجزة تبين لهؤلاء الأتباع الذين ما عرفوا من خبر السماء شيء يرونه كرؤية آدم له مصداق ما يقول، وآدم كان مكلفا بتبليغ هؤلاء لأنّه يعلم أنه سيموت وعليه تأدية الرّسالة رسالة التوحيد بالله ربّ العالمين وكذلك عليه إرساء أسس الاستخلاف الحقّ في الأرض ليكون لكل الأجيال نبراسا يهتدون به، لذلك نعتقد أنّ معجزة الإنباء في ذلك الزمن كانت حاجة ملحة في نبوة آدم التي تنقل للناس إضافة إلى أمور العقيدة مشاهد رآها آدم وجنة عاش بها وملكوت حضر فيه الطاعة والعصيان، تنقل لهم صدق النبوة بحجة هي معجزة الإنباء، وإنباء آدم لم يكن بغيث لا يعرفه، بل هو بفعل حاصل غائب، فأدم لم ينبئ الناس بالغيث لأنّه لا يعلم الغيب إلا الله، وإنما كان ينبئ الناس بالحاصل الغائب عنهم وهم يبحثون في هذه الأرض عن سبل الحياة ومراتبها، فكان آدم يخبر بالخير ويدل عليه إنباء معجزا، ويحذر من الشر ويدعو إلى الابتعاد عنه إنباء معجزا وهو في كل أنبائه صادقا دقيقا ممّا جعل كل من حوله يصدقون وهم يرون إنباء معجزا يفوق كل ملكاتهم في التوقع أو الحسبان.

عليه فنحن نعتقد أنّ الإنباء معجزة آدم وهي مواكبة لذلك الزمن حيث كانت الأرض في مرحلة المجاهيل والغياب فكان إنباء آدم الدليل والهادي والنور الذي ينير غياهب الحياة على الأرض على نحو لم يكن لأحد غيره القدرة على القيام بذلك لأنه النبي المكلف فكان الإنباء معجزة.

وهنا نعود بك أيها القارئ إلى قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَ يُتَقَبَّلَ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ {704، ونسأل:

من ذا الذي أنبأ ابني آدم أنه تقبل من أحدهم ولم يتقبل من آخر؟  
ونحن إذ نسأل هذا السؤال على يقين بأن العقل الجاد لا يمكن له أن يقبل روايات تنافي المنطق ولا تستند إلى نص وتشوه حقيقة القبول الإلهي لقربان العبد المخلص وجهه لله كتلك الخرافات التي تتحدث عن نار التهمت الكبش وتركت الزرع وغير ذلك، والمنطق يقول أنّ آدم أنبأ أبناءه لأنه النبي صاحب معجزة الإنباء المصدق إذا أنبأ.

قصة ابني آدم وعلاقة البنوة:

كل إنسان له نصيب من هذه العلاقة إما بعلاقة مباشرة أو غير مباشرة:  
مباشرة:

وهم أبناء آدم صلبا بعلاقة مباشرة، ويكون رحم الأم زوج آدم.

غير مباشرة:

بأن يكون الأبناء ينتسبون لآدم نسبا وليس صلبا، فهم أبناء آدم مع وجود الفاصل الزمني الذي قد يمتد من أول جيل بعد آدم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

- فهؤلاء أبناء آدم نسبا.

- وأبناء آدم نسبا من غير مباشرة، لأنه قد فصل بينهم وبين آدم جيل

أو أجيال ولم يخرجوا من رحم زوج آدم.

ولنا أن نتساءل:

ما الفرق بين الابن من الصلب والابن من النسب؟

وما الفرق بين الابن والولد؟

نقول:

الابن من الصلب الذي لا بد أن ينتسب لأبيه الذي اتصل بأمه التي ولدته، الابن بالنسب الذي يكون بالنسب للعم أو الجد الأول فما فوق. لذا فيكون الابن بالنسب ليس من صلب المنسوب إليه الذي هو العم مصداقا لقول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا آلهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 705، ومعلوم أن آزر ليس أبو إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ينسب إلى الجد وإن علا إن كان الابن من سلالة وذريته "لذا انتسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد المطالب جده "عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عُمَارَةَ وَلَيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ لَا وَاللَّهِ مَا وَلى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ وَلى سَرْعَانَ النَّاسِ فَلَقِيَهُمْ هَوَازِنُ بِالتَّبَلِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ آخِذٌ بِلِجَامِهَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" 706.

فهل هذا النسب بالصلب أم بالبنة غير المباشرة؟

لا شك هذا نسب بالبنة غير المباشرة، مع العلم أن هذا جائز في عرف العرب، لذا فهم يقولون على العم أب وعلى الجد أب.

والتساؤل كيف قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فانتسب إلى جده دون أبيه وافتخر بذلك مع أن الإفتخار في حق أكثر الناس من عمل الجاهلية؟ فالجواب أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت شهرته بجده أكثر، لأن أباه عبد الله ثويي شاباً في حياة أبيه عبد المطالب قبل إشتهار عبد الله، وكان عبد المطالب مشهوراً شهرة ظاهرة شائعة، وكان سيد أهل مكة، وكان كثير من الناس يدعون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عبد المطالب ينسبونه إلى جده لشهرته، ومنه حديث همام بن ثعلبة

705 الأنعام 74.

706 صحيح البخاري، ج 9، ص 491.

فِي قَوْلِهِ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ وَقَدْ كَانَ مُشْتَهَرًا عِنْدَهُمْ أَنَّ عَبْدَ  
الْمُطَّلِبِ بُشِّرَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ سَيَظْهَرُ وَسَيَكُونُ شَأْنَهُ  
عَظِيمًا وَكَانَ ذَلِكَ مَشْهُورًا عِنْدَهُمْ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
تَذْكَيرَهُمْ بِذَلِكَ، وَتَنْبِيهِهِمْ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا بَدَّ مِنْ ظُهُورِهِ عَلَى  
الْأَعْدَاءِ، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لَهُ، لِيَتَّقُوا نَفْسَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ أَيْضًا بِأَنَّهُ ثَابِتٌ مُلَازِمٌ  
لِلْحَرْبِ. لَمْ يُؤَلَّ مَعَ مَنْ وُلِّيَ، وَعَرَفَهُمْ مَوْضِعَهُ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ الرَّاجِعُونَ. وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ 707.

وفي نفس السياق نتساءل:

هل من فرق بين الابن والولد؟

وهل من فرق بين الأب والوالد؟

نقول:

- الابن قد ينسب إلى من جاء من صلبه بالحقيقة، واتصل بأمه فكان  
من هذا الاتصال ثمرة وهي هذا الابن، وهذا النسب يكون حقيقي  
مباشرا لا لبس فيه.

- والابن قد ينسب لغير أبيه الذي اتصل بأمه من مثل الجد أو العم  
وهذا النسب غير مباشر وغير حقيقي لأنه لم ينسب إلى الأب المباشر  
المتصل بالأم.

أمَّا الولد:

فالولد لا بد أن ينسب إلى والده والوالد هنا هو الأب الذي خرج من  
صلبه هذا الولد عن طريق اتصال بأم هذا الولد.

ولا يكون في معنى الولد أدنى لبس في النسب إن صرح به من الولد  
ووافقه الوالد والوالدة.

- فالأب قد يكون مجازي.

---

<sup>707</sup> شرح النووي على مسلم، ج 6، ص 230.

- والوالد لا يكون إلا حقيقي.

لذلك كان الإفك الأعظم الذي قالته النصارى، كما أخبر بذلك القرآن

الكريم: {أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} 708.

- فلا يمكن ويستحيل عقلا أن يكون لله ولد لأنه ينتفي في حقه

سبحانه أن تكون له زوجة.

- كما يستحيل مجازا أن يكون هذا المعنى لله تعالى على ذلك علوا كبيرا

أن يكون له ولد لأنه ليس والدا لأحد مصداقا لقوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} 709.

وعليه:

- فالأب يمكن أن يكون والدا.

- ويمكن أن يكون غير والد.

- والوالد لا بد أن يكون أب.

- والنسب صحيح صريح للوالد.

- والنسب يكون صحيحا للأب إن كان هو الوالد.

- يكون النسب للأب غير صحيح إن كان للعم أو الجد.

الوالد هو الأب:

الوالد هو الأب في الحقيقة إذا اقترن بالوالدة، فلا يقترن الأب بالوالدة

لأنه قد يكرن غير الزوج من جد أو عم.

فالوالد هو الصريح والصحيح النسب صلبا كما في قوله تعالى: {فَتَبَسَّمْ

ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ} 710.

---

708 الصفات 151-152.

709 الإخلاص 14.

710 النمل 19.



- لذا فمن المؤكد أن يكون سليمان ابن لوالده داود عليهما الصلاة والسلام.

- اقترن هنا الوالد بالوالدة في صيغة المثني (والدي).

- والولد يرث والده.

- الولد لا يرث عمه إن كان له ذرية ذكور.

- والوالد يقترن بالوالدة التي ولدت الولد وهما أقرب ما يكون للولد.

- الابن قد يكون ولداً أو لا يكون.

- الولد لا بد أن يكون ولد للوالدين.

والله قد وصى الإنسان بوالديه وليس بأبويه لأن الأب قد يكون غير الوالد.

قال اله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} 711.

فالوصية للوالدين وليس للأبوين وهذا يؤكد أن الأب غير الوالد، فالوالد أشد التصاقاً بالولد من الأب الذي قد يكون غير الوالد.

- إذا جاء الوالد بالصلب غير مقترنا بالوالدة يأتي بصيغة الأب.

- والأب يكون والداً للابن (الولد) صلماً إن كان يعمل عمله مصداقاً

لقوله تعالى: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْطَوْهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} 712.

ولا ينتسب إليه لو عمل عملاً غير صالح كالكفر، {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} قَالَ

711 الأحقاف 15.

712 يوسف 93.

يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ  
عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ {713}.

وعلى ما تقدم نتساءل:

هل أبنا آدم في حادث القتل هما أبنا آدم نسبا أم ولدا آدم صلبا؟  
للإجابة ننظر في الآيات التي تناولت القصة ونرى ما هو الأقرب إلى  
الحقيقة، يقول الله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا  
فَتُضِلَّ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ  
مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ  
لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ  
فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ  
أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ  
كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ  
فَأُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ {714}.

وهنا نتساءل هل الآية بداية لحادث جديد في السورة أم لها علاقة بما  
قبلها

قال الله تعالى قبلها {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ  
قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ} {715}، فذكر تعالى أنّ  
الأعداء يريدون إيقاع البلاء والحنة ب المسلمين لكنه تعالى يحفظهم  
بفضله ويمنع أعداءهم من إيصال الشر إليهم.

ومن باب التخفيف لأثر هذه الأحوال على النبي والمؤمنين ذكر الله  
قصصا كثيرة تدل على حسد أهل الكتاب على النبي والمسلمين.

<sup>713</sup> هود 64.

<sup>714</sup> المائدة 27-31.

<sup>715</sup> المائدة 11.

- وذكر الله أولاً قصة النقباء الاثني عشر وأخذ الله تعالى الميثاق منهم، ثم إن اليهود نقضوا ذلك الميثاق حتى وقعوا في اللعن وقسوة القلب.

- وذكر الله بعد ذلك شدة إصرار النصارى على كفرهم وقولهم بالتثليث بعد ظهور الدلائل القاطعة على فساد ما هم عليه، وما ذاك إلا لحسد هم على الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم فيما آتاه الله من الدين الحق.

- ثم ذكر بعده قصة موسى في محاربة الجبارين وإصرار قومه على التمرد والعصيان.

- وذكر بعده قصة ابني آدم وأن أحدهما قتل الآخر حسداً منه على أن الله تعالى قبل قربانه.

وكل هذا القصص يدل على مدى الحسد الذي مارسه أهل الكتاب ضد النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأنه النبي الخاتم من دون اليهود أو النصارى.

ولما كانت فضل الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أعظم الفضل لقوله تعالى: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } 716، فكان اتفاق أهل الكتاب والمشركين على المكر والكيد به، فكان ذكر هذه القصص تطميناً من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم لما هم قوم من اليهود أن يمكروا به وأن يوقعوا به أذى.

ونعلم أن الأخوة واقعة بين جميع أبناء آدم صلى الله عليه وسلم بالنسب، وكأن الأخوين من أبناء آدم في حقيقة القصة التي اقتل فيها الحاسد المحسود على فضل الله عليه، هي إسقاط على الأخوين الرمزيين (أهل

---

716 النساء 13.

الكتاب وجماعة المسلمين)، لأنّ الله قبل من أمة النبي صلّى الله عليها وجعل نبيها منها، ولم يقبل من أمة أهل الكتاب وأخرج من بينهم النبوة. ولهذا يمكن أن يكون من المحتمل:

- ابنا آدم هما ابنا آدم صلبا.

- أن يكونا ابنا آدم نسبا.

- هذا مثل ضربته الله كأمثال كثيرة في القرآن الكريم.

ونحن نرجح أن يكن الأول أو الثاني هو الأقرب للحقيقة.

- ومن المحتمل أن تكون قصة ابني آدم مرتبطة بقوله تعالى: {يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير} 717.

فإخفاؤهم علامات النبي حسد مثل حسد الابن الذي لم يتقبل الله قربانه لأنّه غير مخلص لله.

- وصلة هذه القصة لليهود من بني إسرائيل ليعلموا أن المعصية التي كان عليها أسلافهم هي السبب في الندامة والحسرة الحاصلة بسبب إقدامهم على المعصية، فكان مضرب المثل ابني آدم ومورده حال اليهود مع النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وعلى هذا يكون احتمالين:

1- أنّ ابني آدم على الحقيقة صلبا هما ولدا آدم.

2- أنّ ابني آدم في القصة هما من اليهود فهما على ذلك ابنا آدم نسبا.

- وقد تكون هذه القصة ذات صلة بقوله تعالى حكاية عن اليهود والنصارى {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} 718.

لهذا كان ذكر قصة ابني آدم على سبيل المثل، ويترتب على ذلك:

---

717 المائدة 15.

718 المائدة 18.

- لا ينفع الكفر مع كونهم من أولاد الأنبياء وأحباب الله صدقا أو ادعاءً.

- كما لم ينفع ولد آدم عند قتل أخيه كون أبوه نبيا.  
ولما كانت الصلة المعنوية (الحسد) والمادية (الكفر بالنبي ومحاربتة ومحاوله قتله) واضحة بين ابن آدم القاتل وبين اليهود أخبرهم الله تعالى بخبر ابن آدم وأنّ الحسد أوقعه في سوء العاقبة.  
وعلى ما تقدّم تبقى كل الاحتمالات، ولهذا سنتناول ألفاظ الآيات لنرى ما في كل لفظة من دلالات.  
ثم نجد قوله تعالى: (نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ)، إذن فهناك من قص نبا ابني آدم بالباطل، لذا نتساءل:

- ما هو الحقّ في نبا ابني آدم؟

- وما هو الباطل في نبا ابني آدم؟

نقول:

الحقّ هو ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى من حيث الآتي:

- النبا لا يعلمه إلا المنبئ والذي عنده النبا الله.

- ويعلم النبا النبي الذي أخبره الله به.

- النبا حقّ لأنه من الله لنبي.

- ما في النبا المتلو في القرآن هو الحقّ.

- ما جاء بغير توافق مع القرآن ليس بحقّ.

ومّا جاء في بعض التفاسير عن الق في التلاوة وجوه منها:

الأول: بالحقّ، أي تلاوة بالحقّ والصحة لأنها من عند الله تعالى.

والثاني: أي تلاوة بالصدق والحقّ موافقة لما في التوراة والإنجيل.

الثالث: بالحقّ، أي بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد، لأنّ المشركين وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويعيبون عليه.

الرابع: بالحقّ، أي ليعتبروا به لا ليحملوه على اللعب والباطل مثل كثير من الأفاصيص التي لا فائدة فيها، وإتّما هي لهو الحديث، وهذا يدل على أن المقصود بالذكر من الأفاصيص والقصص في القرآن العبرة لا مجرد الحكاية<sup>719</sup>، ونظيره قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} 720.

ونقول ردا على ما جاء في كتب التفاسير:  
إنّ هذه القصص لم يرد لها ذكر في الإنجيل البتة، وأنّ ما ورد منها ورد في سفر التكوين في التوراة المحرفة.  
وعليه فالحقّ مختلف حوله؛ فكيف الحال بالباطل الذي هو مختلف حوله وبه وله.

والباطل في نبأ ابني آدم منه الآتي:

- أسماء ابني آدم (قاييل وهاييل).

- سبب الخلاف هو الزواج من أخت لهما.

- مع أنّ السبب في الكتاب الحقّ والنبأ الحقّ هو القربان.

نبأ ابني آدم:

-النبأ أمر عظيم لا يعلمه إلا الله ويطلع عليه من شاء من عباده ويأمره

بتلاوته على من يشاء في الوقت الذي يشاء.

- كل نبأ من الله عظيم لأتّه من عظيم.

- النبأ أعظم من الخبر واجلّ منه.

- النبأ أصدق من الخبر.

---

<sup>719</sup> تفسير الرازي، ج 6، ص 33.

<sup>720</sup> يوسف 111.

- النبأ العظيم يثير التساؤل لأنه لا أحد يعلم حقيقته إلا الله لأنه من عظيم ولا يعلمه إلا العظيم مصداقا لقوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} 721.
  - فالسؤال لا يثير خلافا لأنه معلوم الجواب عند البعض.
  - التساؤل يثير اختلافا لأنه لا يعلم جوابه الكل.
  - التساؤل عن نبأ عظيم من عظيم.
  - السؤال لا يثير خلافا لأن ليس كل سؤال عن نبأ.
  - كل سؤال عن خبر، والخبر يهتمل الصدق والكذب.
  - كل نبأ عظيم يثير تساؤلا يختلف حوله من أهل الباطل.
- لذا:

- فقد كان نبأ ابني آدم محل تساؤل لا محل سؤال.
- نبأ ابني آدم نبأ عظيم لأنه في القرآن الكريم.
- كان هناك خلاف حول نبأ ابني آدم.
- ما كان متداولاً عند آل الكتاب هو الباطل.
- ما جاء في القرآن الكريم هو الحق.
- الحق عظيم يثير التساؤل
- الباطل ضعيف يثير الفضول ولا يثير التساؤل.

إذن ما الحق في نبأ ابني آدم؟

هنا تبدو تساؤلات:

من ابني آدم؟

في أي عصر؟

أهما ابنا آدم صلبا أم نسبا؟

هذه التساؤلات حقّ لأنّ الله لم يكشفها بشكل تام وجعلها مثار  
تساؤلات في مجال الحقّ لمن يؤمن بأنه الحقّ ورسوله الحقّ وكتابه الحقّ.  
أما قصتهما فقد ذكرها الله بوضوح في النبأ الذي تلاه النبي في القرآن  
على العالمين.

لذا؛ فابنا آدم فيها احتمالان:

الأول: أنّهما ابنا آدم من صلبه.

الثاني: وهو قول الحسن والضحاك: أنّ ابني آدم اللذين قربا قربانا ما  
كان ابني آدم لصلبه، وإمّا كانا رجلين من بني إسرائيل، قالوا: والدليل  
عليه قوله تعالى في آخر القصة 722، {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي  
إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ  
النَّاسَ جَمِيعًا} 723.

وما ترتب على هذين الاحتمالين من الباطل منه الآتي:

- أنّ الابنين هما (هايل وقايل) 724.

والحقّ أنّه لا يعلم أحد اسمي ابني آدم إلا الله، وقد أعرض القرآن عن  
تسميتهما، فغير معروف ماذا يعني قايل وهايل، وبأي لغة.

كما ترتب على ذلك باطل آخر هو سبب الخلاف بينهما فجاء الآتي:

- سبب وقوع المنازعة بينهما قولان:

أحدهما: أنّ هايل كان صاحب غنم، وقايل كان صاحب زرع، فقرب  
كل واحد منهما قربانا، فطلب هايل أحسن شاة كانت في غنمه  
وجعلها قربانا، وطلب قايل شر حنطة في زرعه فجعلها قربانا، ثم تقرب  
كل واحد بقربانه إلى الله فنزلت نار من السماء فاحتملت قربان هايل

---

<sup>722</sup> تفسير الرازي، ج 6، ص 32.

<sup>723</sup> المائدة 32.

<sup>724</sup> تفسير الرازي وغيره.



ولم تحمل قربان قابيل، فعلم قابيل أنّ الله تعالى قبل قربان أخيه ولم يقبل قربانه فحسده وقصد قتله.

وثانيهما: ما روي أن آدم صلى الله عليه وسلم كان يولد له في كل بطن غلام وجارية وكان يزوج البنت من بطن الغلام من بطن آخر، فولد له قابيل وتوأمته، وبعدهما هاويل وتوأمته، وكانت توامة قابيل أحسن الناس وجهها، فأراد آدم أن يزوجه من هاويل، فأبى قابيل ذلك وقال أنّ أحقّ بها، وهو أحقّ بأخته، وليس هذا من الله تعالى، وإنما هو رأيك، فقال آدم صلى الله عليه وسلم لهما: قربا قربانا، فأيكما قبل قربانه زوجتها منه، فقبل الله تعالى قربان هاويل بأن أنزل الله تعالى على قربانه نارا، فقتله قابيل حسدا له<sup>725</sup>.

ونقول:

- لو كان أحد السبيين صحيح فما علاقة بني إسرائيل به.
  - شرع القصاص غير مقصور على بني إسرائيل وحدهم.
  - لو كان الموضوع متعلق ببني إسرائيل لصح أن يكون القاتل والمقتول من بني إسرائيل.
  - لو لم يصح إنهما من بني إسرائيل لصح أن يكونا ابني آدم صلبا.
  - الخلاف حول نوع القربان يهدم العلم بنوعه:
- يقول الله تعالى: (إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ).
- يظل ما جاء حول نوع القربان غامض مع ثبوت وجود القربان.
  - وجود أيد خفية خلطت حقّ بباطل بغرض التباس الأمر.
- وعليه نحن نقول:

<sup>725</sup> تفسير الرازي، ج 6، ص 31.

- ابنا آدم ليسا من بني إسرائيل.
  - سبب الخلاف هو قبول القربان.
  - لا وجود لخلاف حول أخت لهما.
  - لا وجود لآدم صلّى الله عليه وسلّم في القصة فيما يخص القربان.
  - قد يكون آدم أب بالصلب للابنين.
  - قد يكون أبا بالنسب في زمن ما.
- وفي مجال القربان:

يقول الله تعالى: (إذ قرّبنا قريّنا).

(إذ) من دلالتها إنّها تفيد الزمان والمكان ويترتب على ذلك:

- إنّ القربان له مكان معين يقدم فيه.
  - إنّ القربان له زمان معين يقدم فيه.
  - إنّ القربان له علامة للقبول.
  - إنّ القربان له علامة للرفض.
  - علامة قبوله أو رفضه غير معلومة.
  - القول بأنّ النار تحمله إلى السّماء فيه شبهة مجوسية لتعظيم النّار.
  - النّار التي تأخذ القربان فيها شبهة إبليسية.
- ومن دلالة قريّنا:

- موافقة زمان القربان.

- موافقة مكان القربان

- معية تقريب القربان.

وترتب عليه من احتمالات:

- القربان من نوع واحد للابنين.

- القربان يختلف باختلاف الابنين.

- القربان مادي لأنّه مقدم.

- القربان نوع من العبادة في ذلك الزمن.

- هذا القربان لم يكن الأول من الابنين لقوله تعالى: (قربانا) النكرة التي تفيده العموم والشمول.

لذا؛ فقد يكون القربان:

من أصناف متنوعة.

أن يكون من صنف واحد.

تعدد أزمنة وأمكنة تقديم القربان.

وفي كلمة (قربانا) إثارة للعقل!!!

يقول الله تعالى: (قربا قربانا).

قدما هنا تبدو (وحدة الفعل) وهذا يعني:

- الفعل يدل على المشاركة في الأداء.

- فهما معا فعلا فعلا واحدا يفيد المشاركة والاتفاق.

ولم يقل الله: قربت أحدهما قربانا والآخر قدّم قربانا.

إذن، هنا:

وحدة الفعل.

ثنائية الفاعل بالضمير الواحد (ألف الاثنين).

وحدة الغرض؛ فالاثنان معا يريدان قبول القربان.

وعليه:

نقول: هو قربان واحد مقدّم من اثنين في الوقت نفسه بمشاركة وهدف

واحد.

ونتساءل:

ما الفرق بين الاثنين؟

أحدهما

والآخر

يبدو الفرق في سبب القبول إذ يقول الله تعالى: (فَتَقَبِّلْ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَنْ

يُقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ).

- الذي تقبل الله منه هو التقي.
- الذي ليس بتقي لم يتقبل منه.
- لا دخل في نوعية القربان كما قال المفسرون.
- القربان واحد.
- التقوى مختلفة.
- التقوى أساس تقبل القربان مصدقا لقوله تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} 726.
- فالتقوى أساس القبول وليس نوع القربان، لأنه من المرجح أن القربان كان واحدا.
- من مترتبات القربان:
- القبول من التقي (فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا).
- ولم يبين لنا القرآن ما علامة القبول إنما قد وقع في النفس الاثني معرفة القبول أو عدم القبول.
- وهذا هو الحق فلم يكن وجود نار تحمل القربان.
- ولم تكن نار تحرق القربان.
- ولو كان حملا للقربان لكان من الأولى أن يكون من نصيب الملائكة لا من نصيب النار.
- عدم القبول من الآخر (وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ).
- السبب في عدم القبول هو فقدان سبب القبول.
- التقوى هي أساس القبول.
- الله يعلم التقي من العصي.
- لذا فالتقي:
- لا يحسد.

- ولا يقتل.
  - ولا يفكر في الانتقام.
  - ولا يهدد.
  - ولا يغضب.
  - ويراجع نفسه.
  - يحسن فعله.
  - يخلص بيته.
- لذا كان غير التقي على الطرف السالب ممّا تقدم.
- فترتب على عدم تقواه:
- إظهار ما أبطن.
  - فعل ما قال (قَالَ لِأَقْتُلَنَّكَ).
  - أخرج عدم التقوى بالتصريح بسوء الفعل.
- فكان جواب التقي: في قوله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ).
- وهنا يبرز حق ما تلاه النبي في القرآن عن ابني آدم.
- فلا حنطة فاسدة لم يقبلها الله ولا تأكلها النار.
- ولا كبش أملح أكلته النار، أو رفعته على السماء.
- وقد بني حول هذا الكبش من الأساطير الكثير منها غنه أنزله الله على الخليل إبراهيم فداء لإسماعيل.
- وعليه فلا قول إلا الحقّ (قربان واحد، وتقوى وعدم تقوى).
- وزاد التقي بقوله للشقي موضحا له في إقدامه على الفعل الحاسد: (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ).
- ونتساءل:
- كيف عرفا الاثنان مصطلح القتل؟
- هل حدث قبل ذلك؟

إن كان حدث قتل فترتب عليه أهما ليسا ابني آدم صلبا.  
 إن لم يحدث فهما ابنا آدم صلبا.  
 وإن كانا ابناه صلبا كيف عرفا القتل وعقابه؟  
 هل هذا من علم آدم الذي علمه لأولاده؟  
 هل هذا هو سفك الدماء الذي قالت به الملائكة؟  
 كيف عرف التقي أن القتل باليد؟  
 وليس بأي جارحة أخرى؟  
 هل آدم حذر أبنائه من جريمة القتل؟  
 ما سبب تأكيد عدم التقي بقوله (لأقتلنك)؟  
 هل كان يعرف معنى الكلمة؟  
 هل كان يعرف تنفيذ الكلمة؟  
 هل كان يعرف عاقبة الكلمة، وفعلها؟  
 إن كان ابن آدم صلبا فهو يعلم ولم يجرب.  
 وإن كان ابن آدم نسبا فهو يعلم ويعرف ومرت عليه تجارب من سابقين.  
 - فقال التقي: (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ).  
 هل هذه الجملة للتقرير؟  
 أم للتذكير؟  
 تذكير غير التقي بالله حتى يخاف ويرتدع ويعود.  
 هل كانت هناك شريعة توضح عاقبة القتل؟  
 أم أنّ الشريعة في القتل جاءت بعد هذا الحادث؟  
 يكمن أن يكون هناك علم بأن القاتل لا يخاف الله.  
 وأن القاتل يبوء بإثم القاتل والقنيل.  
 لذا قال التقي: (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ  
 وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ).

الآخر القاتل أصر على الفعل عقلا ونفسا (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ  
فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

فقتل أخاه لأنه يحمل صفات القاتل التي منها:

- عدم التقوى.

- عدم الخوف الله.

- عدم مراعاة علاقات الأخوة

- أن نفسه أقوى منه.

- لم يعرف عاقبة الأمور.

فترتب على ذلك: (فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

- خسر أن يتخلص من الحسد.

أن يكون تقيا.

- أن يقدم قربانا آخر.

- خسر أخاه.

- خسر رضا ربه.

ولم يعرف كيف يتصرف في سؤة أخيه، فعجز حتى تداركه علم الله:

(فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ).

فتعلم كيف يؤاري سؤة أخيه من الغراب.

فازداد خسرانا على خسارته فقال: (قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ

هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ).

وهنا جمع بين الخسارة والندم.

والذي يقوي عندنا أن هذين الأخوين هما ابنا آدم صلبا الآتي:

- جهل القاتل دفن أخيه.

- لو كانا من بني إسرائيل كما يقول البعض لعرف القاتل كيف يدفن

أخيه لأنّ الدفن قد مر على بني إسرائيل علما وعملا. وما أرسل الله

غرابا ليعلم القاتل دفن أخيه.

وعليه: آدم أوّل الخلق الإنسي، وهو النبي المرسل للملائكة والجن  
والإنس، سجد الملائكة له طاعة لأمر الله، وعرفانا بعلمه الأسماء كلّها،  
وهي الأسرار والمعجزات.



## النبي

### آدم من السنّة

#### خلق آدم:

خُلِقَ آدم عليه الصّلاة والسّلام في الجنّة عندما كانت السّماوات والأرضين مرتقة؛ فكان خلقه من طين من صلصال كالفخار، {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} 727، والصلصال لم يكن فخاراً، بل يشبهه؛ فجاء التشبيه لتقريب المعنى والتعريف بالمشبه (كالفخار)، ومن ثمّ فقد ارتبط الصلصال بالتوعيّة الرّاقية والجودة الرّفيعة. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ" 728، أي كما جاء في القرآن أنّه من صلصال كالفخار. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ جَمِيعَهَا مِنْ أَسْوَدِهَا وَأَحْمَرِهَا وَأَبْيَضِهَا وَطَيِّبِهَا وَلَبِيْثَهَا وَعَلِيْظِهَا وَسَبَاخِهَا فَكُلُّ ذَلِكَ أَنْتَ رَأَيْ فِي وَوَلَدِهِ" 729

والتساؤل: كيف يفكّ اللبس بين مفهوم خلق آدم في الجنّة وخطيئته هناك، وبين خلقه من تراب الأرض؟

الأرض التي نشأ آدم وزوجه منها كانت في زمن الرّتق مع السّماوات قطعة من الجنّة، ولذلك؛ فطينة خلق آدم وزوجه هي من طين الجنّة قبل أن تنفصل الأرض عنها، وتصبح دُنيا (سفلى)، ولكن بعد أن أهبط بهما وبمن معهما من أزواج، لم تبق الأرض قطعة جنّة، ولذا؛ فأدم وزوجه لم

<sup>727</sup> الرّحمن 14.

<sup>728</sup> المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، 1، 153.

<sup>729</sup> العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، 5، 1547.

يخلقا من الأرض بعد إنفثاقها من ذلك الوجود الأول (سماوات وأرضين)، بل حُلِق من الأرض قبل الانفثاق العظيم، {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} 730. ولا شك أن البقاء في الجنة بقاء في النعيم، أما البقاء في الأرض بعد انفثاقها من السماوات أصبحت دنيا، ولم تعد عليا كما كانت جنة.

إن الأرض بعد هبوطها والأزواج التي على ظهرها سُلبت من نعيم الجنة، ولم يترك لها إلا شيء من الماء الكفيل بحياة الأزواج المتكاثرة في الحياة الدنيا، {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} 731. أي: أن السماوات والأرض عندما كانت مُرتقة في وحدة الوجود العظيم كانت قطعة جنة، ولكن بعد أن فُتقت؛ فلم يفتق معها من نعيم الجنة إلا الماء، الذي يحفظ الأحياء على الحياة الدنيا، {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}.

ولأن نشوء الإنس نشوء غير كامل؛ فكانت الخطيئة من الإنسان الأول (أصل السلالة البشرية)، ولذلك، لو أخذ آدم بأمر النهي، وبقي ممتنعا عن الأكل من تلك الشجرة، لكانت حياته مثل خلقه في النعيم، {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} 732، ولكن التساؤل:

متى بدأت الحياة على الأرض؟

الفيزيائيون يقولون: لقد بدأت الحياة على الأرض بعد أن بردت من حرارة ذلك الانفجار العظيم؛ فتكوّنت بحارها وجبالها وسهولها وغلافها الجوي، حتى أصبحت جاهزة لاستقبال الحياة، وقد نادى بعض العلماء الفيزيائيين وعلى رأسهم العالم الألماني ريختر Richter 1870، والعالم

---

<sup>730</sup> طه 117.

<sup>731</sup> الأنبياء 30.

<sup>732</sup> طه 121.

هلمهولتز 1894 Helmholtz: إنَّ الحياة انتقلت إلى الأرض من كوكب آخر عن طريق بذور نبات، أو حويصلات جراثيم الميكروبات، أو الأطوار ذات البيات، أو السَّكون في كائنات أخرى، أو أنَّ أحد النيازك قد حمل كائنات حيَّة لكوكب الأرض 733، وهناك من يرى أنَّ الأرض مرّت بزمن ارتفاع درجات الحرارة، ثمَّ حلول العصر الجليدي، ثمَّ أخيرا ظهر الإنسان بعد أن تمت تهيئة ظروف حياته 734.

وهنا، تكمن حقيقة، مفادها: أنَّ دلائل تشير إلى وجود علاقة بين الأرض وكواكب أخرى، وهذا يؤكِّد أن الأرض كانت غير مستقلة عن غيرها من خلائق الكون (السَّماوات والأرض)، أي: أنَّ الكائنات والنباتات والنيازك السَّماوية التي يعتقد إنَّها قد هبطت على الأرض تعدّ مؤشرا ودليلا على أنَّ الأرض والسَّماوات كانتا رتقا.

ولذلك؛ فالأرض لو كانت نتاج الانفجار العظيم ذا الحرارة العالية كما قال عنها علماء الفيزياء والتي لا توصف بأية حرارة نعرفها، لكانت الأرض رمادا غير صالح للحياة (النَّار لا تترك إلَّا الرَّماد)، ولكن لأنَّها كانت مرتقة في السَّماوات، ثمَّ فتقت؛ فأهبط بها وبمن على ظهرها إلى الحياة الدُّنيا؛ فأصبحت الحياة على الحاجة بعد أن كانت على التَّعيم إشباعا.

ومع أنَّ علماء الفلك والفيزياء يتحدَّثون عن الأرض كونها نتاج انفجار تلك الدِّرة، وليست نتاج الانفتاق العظيم الذي سبق علمه ما اكتشفه علماء الفلك والفيزياء، ولكن لو كانت الأرض على تلك الحرارة الموصوفة شدَّة، لكانت عدما (حيث لا حياة) وهذه لا تكون صفة

---

<http://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/204.html><sup>733</sup>

Cosmology: The Science of the Universe. Second edition. Edward Harrison. <sup>734</sup>

Cambridge University Press, 2000

الأرض التي خلقت منها الأزواج، {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِمَّنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} 735.

ومع أنّ الإنسان الأوّل حُلق من الأرض؛ لكنّه لم يُخلق من أرضٍ رمادٍ (عدم)، ولا من الأرض الدّنيا، بل حُلق من الأرض العليا التي تراها وطينها وصلصالها جنّة. ولذلك؛ فحياة الإنسان الأوّل كانت حياة عليا، أمّا الحياة على الأرض الدّنيا فهي الحياة السفلى.

أي: بمقارنة ذلك النّعيم مع ما يتوقّر على سطح الأرض الدّنيا؛ فلا مقارنة، وهنا، تكمن سُفلية الحياة الدّنيا، وفي المقابل ترتقي حياة النّعيم وتعلو.

ولذلك، في الأرض العليا (المرتقة مع السّموات) كان نشوء الحياة فيها من كلّ زوجين اثنين، وقبل الرّوجين كان الملائكة والجنّ من خلائق الجنّة، ولكن نتيجة الإغواء الذي شبّ بين الإنس والجنّ أهبط بهما والأرض حيث أصبحت أرضا دُنيا بعد أن كانت أرضا عليا، وظلّت الملائكة في السّموات العليا غير مخالفة لأمر الخالق، وهي لا تنزل للأرض إلاّ لأمر. {تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} 736، أي: كلما لزم أمر تنزلها تُنزل، {يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ} 737.

فالأرض بعد أن أصبحت دُنيا قلّ شأنها عمّا كانت عليه، وذلك بفقدانها صفات الجنّة التي لم يعدّ منها شيئا، إلاّ شيء من الماء، {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} 738؛ فالأرض حُلقت وهيأت للحياة العليا، ثمّ فُتقت بما هيأت

---

<sup>735</sup> يس 36.

<sup>736</sup> القدر 4.

<sup>737</sup> آل عمران 124.

<sup>738</sup> الأنبياء 30.

به للحياة الدنيا، فكان الانفتاق العظيم انفتاق أكوان (سماوات وأراضين) وهو التّشوّء العظيم، الذي به تمدّد الكون متسارعا في اتساعه، وإنّه لمن الصّعب معرفة أسراره إلا مؤشرات.  
وعليه:

فإنّ أساس الخلق هو: كون مُرتق، ثم كون مُفتق، وفي كلا الحالتين الخالق واحد؛ فنحن بنو آدم لا نعلم إلا ما أعلمنا به الخالق وحيا موحى، ومع ذلك لم يُظهرنا على ما أعلمنا به إلا بمقدار، ومن ثمّ، فكلمّا اكتشفنا شيئا تمكّنّا من معرفة حقيقة ذلك الشيء، وفي المقابل لم ننتج حقيقة؛ فالحقيقة: (وراء كلّ مخلوق خالق)، ولذلك فمنتج الحقيقة هو خالقها، أمّا مكتشفها فهو المتعرّف عليها، وبين هذا وذاك قد يظهر مدّعيا وهو من لم يكن منتجا لها ولا متعرّفا عليها<sup>739</sup>.

### خلق آدم بيد الله:

خلق آدم هو الخلق الأوّل، وهو النبي المرسل للملائكة والجنّ والإنس جميعا، (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ). فلما أنبأهم سجد الملائكة إلا إبليسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلا هل هناك من يشكّ في أنّ الذي سجد الملائكة له، لم يكن على الارتقاء مفضّلا؟  
عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْحَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيُّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَعْظَمُ قَالَ: "آيَةُ الْكُرْسِيِّ" ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةِ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: "مِئَةٌ أَوْ مِئَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: "ثَلَاثُ مِئَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كَانَ

<sup>739</sup> عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون (الخلق . النشوؤ . الارتقاء) الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 139 .

أَوْهُمْ؟ قَالَ: "آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْبِي مُرْسَلٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قَبْلًا"740.

ولأنَّ آدمَ جنسَ مفضَّل، خلقه اللهُ بيده واصطفاه نبياً للملائكة والجنِّ والإنس، قال تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي}741، إذن لا شكَّ في خلق آدم على الخصوص والتمييز، ولهذا كان أوَّل نبيا نبأ له، وهو النبي وحده بعث للملائكة والجن والإنس؛ فعن ابنِ عُمرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا قَالَ: "خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْعَرْشَ، وَالْقَلَمَ، وَجَنَاتِ عَدْنٍ، ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ"742، ومع أنه أوَّل الخلق، وأوَّل الأنبياء، وأنه مخلوقا بيد الله كونه خلقا أوَّلا حيث لا أب ولا أم له، ذلك لأنَّه الأب الأوَّل، ومن أتى من بعده فجميعهم من صلبه؛ فمع كلِّ ذلك إبليس عليه اللعنة لم يتركه مقدِّرا، عن أنسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَمَّا صَوَّرَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَرَكَهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتْرَكُهُ، فَجَعَلَ إبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَهُ أَجُوفَ عَلِمَ أَنَّهُ خَلْقٌ لَا يَتِمَّالِكُ"743.

فآدم عليه الصلوة والسلام الذي خُلِقَ من طين الجنة يقال أنه خُلِقَ يوم الجمعة، عن أبي هريرة، رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمَ اخْتَارَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْأَيَّامِ كُلِّهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَفِيهَا فَضَى خَلْقَهُنَّ، وَفِيهَا خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَفِيهَا خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهَا أَهْبَطَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَتَابَ عَلَيْهِ، وَفِيهَا تَقُومُ السَّاعَةُ لَيْسَ

740 موارد الضمان إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد، 1، 193.

741 ص 75.

742 الشريعة للأجري، 3، 1182.

743 مسند أبي داود الطيالسي، 3، 512.

شَيْءٌ مَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا وَهُوَ يَصِيحُ صَبِيحَةً ذَلِكَ الْيَوْمَ شَفَقًا مِنْ  
أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسُ"744.

### ارتقاء الخلق الآدمي:

ولأنَّ الخلق بيد الخالق؛ فلا تخيير، ولأنَّه لا تخيير؛ فسيظل من خُلق  
مكبَّ الوجه مكبًا، وسيظل الرَّاحف زاحفًا، وسيظل من يمشي سويًا  
على قوامه في أحسن تقويم، ومن ثمَّ؛ فسيظل القرد قردًا، والإنسان  
إنسانًا، والسَّمك سمكًا.

ونظرًا لأهمية الإنسان في الوجود الخلقى جاء خَلقه من عَجَلٍ، {خُلِقَ  
الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}745 والعجل هو الشيء الذي نجهله صفة، وندرکه  
شيئًا؛ فقله: (من عَجَلٍ) أي: من شيء مميّز، ولم يقل: (على عَجَلٍ)  
أي: لم يقل (على تسرّع)؛ فالخالق تعالى يخلق بالأمر لا بالجهد، ولهذا؛  
فخلقه لا تسرّع فيه، ولأنَّه لا تسرّع، قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي  
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}746. مع العلم أنَّ العَجَل في كلام أهل حمير يعني:  
الطين. وهذا المعنى ينسجم مع قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ  
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ}747؛ والسَّلالة، هي: التَّوعِيَّة الرَّاقِيَّة من طين الجنَّة  
حيثما كانت الأرض مرتقة مع السَّماوات في علاها. وذلك، لأنَّ خَلق  
الإنسان لم يكن على الأرض الدُّنيا، بل كان خَلقه على الأرض قبل أن  
تُفتق، ويُهبط بها دُنيا، ولهذا؛ فالسَّلالة تدلُّ على أصول الخلق الآدمي  
من تراب الأرض المرتقة في السَّماوات حيث رُقي طين الجنَّة.

ومن هنا؛ فسلالة خَلق الإنسان خاصَّة به، والسَّلالة تعني الجُودة الرَّاقِيَّة  
ذات الخاصِّيَّة المتميِّزة (جنس ونوع)، ولذا؛ فلا عجل، ولا عبثية في خَلق

<sup>744</sup> العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، 4، 1370.

<sup>745</sup> الأنبياء 37.

<sup>746</sup> التين 4.

<sup>747</sup> المؤمنون 12.

الإنسان الذي خُلق من طين الجنة، والذي جودته تصلصل ارتقاء،  
 {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} 748.  
 ولأنّ الإنسان الأوّل (آدم) قد خُلق في أحسن تقويم؛ فهو من حمأ مسنون، (من مادّة ذات جودة عالية) حيث لا شائبة، ومن ثمّ؛ فلا طين يماثلها؛ فالطين الذي خُلق منه الإنسان من صلصال (أرقى أنواع الطين).

فخلق الإنسان مُفضّلاً على جميع المخلوقات بما فيها الملائكة والجنّ.  
 {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} 749.

ولأنّ الإنسان هو المفضّل خلقاً؛ فعلمه الله نبأ ما لم يعلمه الملائكة،  
 {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} 750.

ولأنّ خلق آدم كان أكثر ارتقاء من غيره، سجد الملائكة إليه طاعة لأمر الله، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا} 751، أي: بأسباب الخلق ارتقاء والنبأ العظيم الذي تلقاه آدم من ربّه، سجد الملائكة له طاعة للنبأ الذي أنبأه الله به.

748 الحجر 26.

749 البقرة 30.

750 البقرة 31 . 33.

751 البقرة 34.



ولأنَّ الجنسَ الآدمي هو المفضَّل ارتقاءً، كان آدم نبيًّا للملائكة والجنِّ والإنس جميعاً، (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ). فلَمَّا أنبأهم سجد الملائكة إِلَّا إبليسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلا هل هناك من يشكُّ في أن الذي سجد الملائكة له، لم يكن على الارتقاء مفضلاً؟

أما الخلق الثاني: فهو الخلق المؤسس على النطفة (الماء الدافق) {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ} 752. وهذا الخلق هو الخلق التزاوجي، الذي يختلف عن ذلك الخلق المصلصل، ممَّا جعل السَّلالة الثانية تختلف عن السَّلالة الأولى؛ فالسَّلالة الأولى: من طينٍ لازب، والسَّلالة الثانية: من ماءٍ دافقٍ ومهين، {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} 753.

ولأنَّ الإنسان خُلِقَ على الارتقاء؛ فينبغي أن يكون عليه قَمَّةٌ وكأنه كبد الكون، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} 754، أي: خُلِقَ الإنسان على المحبَّة؛ فينبغي أن يكون عليها كبدا تتألم مع من يتألم، وتأمل الخير مع من يأمله، وتعمل في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع على تحقيقه، وكذلك ينبغي أن تسعد مع من يسعد، وتسعى استقامة واعتدالاً ولا مظالم؛ فتجمع ما تفرَّق من أجل إعادة قيمة الإنسان وحفظ كرامته، وما يؤدي به إلى الرِّفعة والارتقاء.

ومع أنَّ جميع الأنبياء قد اصطفاهم الله تعالى، ولكن بينهم درجات، قال تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} 755، إنَّهم الأنبياء عظيم ومن بعده عظيم، ولهذا فهم متى ما التقوا يلتقون على التقدير والاعتبار؛ فعن الحسن، عن جُنْدُبٍ، أو غيره

---

752 النحل 4.

753 السجدة 8.

754 البلد 4.

755 البقرة 253.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَقِيَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، وَأَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَكَلَّمَكَ، وَأَتَاكَ التَّوْرَةَ، فَأَنَا أَقْدَمُ أَمِ الدِّكْرِ؟ قَالَ: بَلِ الدِّكْرِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَحَاجَّ آدَمُ مُوسَى." 756

### آدم وأمل العودة:

خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَلَا أُمٍّ (من تراب الجنة) حيث لا إنس من قبله، ولأنه كذلك، جعله الله على الارتقاء نبيا؛ فسجد له الملائكة طائعين، إلا إبليس، ومع أن آدم قد خُلِقَ فِي الْجَنَّةِ وَالْأَرْضِ مرتقة في السماوات، ولكن بمخالفة أمر الخالق أهبط به والأرض ومن كان سببا في إغوائه ومعصيته، وكذلك من قَبْلِ الإِغْوَاءِ مَعَهُ مَعْصِيَةٌ، وَهَذَا تَكْمُنُ الْعِلَّةُ الَّتِي دَعَتْ آدَمَ نَدَمَا وَاسْتِغْفَارًا وَتَوْبَةً، وَلَكِنَّ قَرَارَ الْهَبُوطِ نَافِذٌ، {قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} 757. وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: كَانَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَ الْخَطِيئَةَ أَجْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَمَلُهُ خَلْفُهُ فَلَمَّا أَصَابَ الْخَطِيئَةَ حُوِّلَ فَجَعِلَ أَمَلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَجَلُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ" 758

ومن يظن أن الزمن لا علاقة له بالماضي؛ فهو لم يعرف مرامي الأمل، فأدم عليه السلام خُلِقَ فِي الْجَنَّةِ عِنْدَمَا كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ رَتْقًا، {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} 759، وهناك في الجنة لا أمل لآدم، كونه في مكان الأمل المتحقق، ولكن بعد الانفراق، أصبح

<sup>756</sup> مسند ابن الجعد، ص، 164.

<sup>757</sup> الأعراف 24.

<sup>758</sup> حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 6، 272.

<sup>759</sup> الأنبياء 30.

آدم على قيد الحياة الدنيا، بعد أن خسر تلك الجنة، وحينها التفت آدم لنفسه والندم يملؤها، وحينها أصبح أمل آدم هو غايته؛ وأمله أن يعود لتلك الجنة المفقودة ليعيش فيها كما خلق فيها أول مرة. وهنا أصبح أمل آدم العودة إلى الماضي (إلى تلك الجنة)، وهو لا يأمل شيء سوى العودة للماضي الذي فقده، ومن ثم؛ فلا علاقة لآدم بمستقبل غير تلك الجنة التي فيها خلق نشوء. عن أبو الوليد، قال: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ عَنِ الْكَلْبِيِّ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "إِنَّمَا سُمِّيَتْ مِنِّي مِثِّي؛ لِأَنَّ جِبْرِيلَ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُفَارِقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ: تَمَنَّ، قَالَ: أَتَمَّتْ الْجَنَّةَ فَسُمِّيَتْ مِنِّي لِأُمْنِيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ" 760

ومن هنا أصبحت تلك الحياة الخلقية، التي خلق فيها الإنسان الأول (آدم) جنة لم تفارق عقله، وظلّ يأملها؛ حتى جاءت الاستجابة حافظة لأمله في العودة إليها ارتقاء.

فبعد أن كان آدم قد خلق على الارتقاء خلقاً، أصبح الارتقاء بالنسبة له مجرد أمل. ومع ذلك؛ فالأمل لا يتحقق إلا عملاً؛ فمن عمل من أجله بلغ مأموله، ومن لم يعمل؛ فلا ارتقاء.

ومع أنّ الأمل بالنسبة لبني آدم يرتبط بالمستقبل، ولكنه بالنسبة لآدم؛ فهو يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسماوات رتقا، ولهذا؛ فالأمل بالنسبة لآدم هو العودة إلى تلك الجنة التي فقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا؛ فالأمل مع أنّه من حيث المفهوم واحد، ولكنه من حيث الدلالة ليس كذلك، ولذا وجب التفكير في الزمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وبين ماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدوا أنّ الجنة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنة التي خلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من

---

760 أخبار مكة للأزرقي، 2، 180.

السَّمَاوَاتِ، ظَلَّتْ هُنَاكَ فِي عُلُوٍّ، أَمَّا الْأَمَلُ فَظَلَّ مُنْقَطِعًا عَلَى الْأَرْضِ  
الَّتِي أَهْبَطَ بِهَا وَمِنْ عَلَيْهَا مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ وَالْمُتَخَالِفِينَ دُنْيَا.

ولهذا؛ فالارتقاء قَمَّةٌ، هو: مَا يُمَكِّنُ بَنِي آدَمَ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغْدِ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا (الزَّائِلَةُ) وَمَا يُمَكِّنُهُمْ مِنَ الْعَيْشِ السَّعِيدِ فِي الْحَيَاةِ الْعَلِيَّةِ (الْبَاقِيَةِ)؛  
فَبَنُو آدَمَ لَا يَقْصُرُونَ أَمْلَهُمْ عَلَى الْحَيَاةِ الزَّائِلَةِ، الَّتِي يَصْرُونَ عَلَى اخْتِ  
نَصِيْبِهِمْ مِنْهَا، بَلْ يَرْتَبُونَ أَمْلًا عَيْشَهُمْ فِيهَا بِأَمَلِ الْعَيْشِ فِي الْحَيَاةِ  
الدَّائِمَةِ، وَمِنْ هُنَا؛ فَهَمْ يَعْمَلُونَ وَيَسْعَوْنَ إِلَى بُلُوغِ الْمَزِيدِ الْمَرْضِيِّ ارْتِقَاءً.

فَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي أَنْ يَعِيشَ وَالْأَمَلُ لَا يَفَارِقُهُ؛ فَإِنْ فَارَقَهُ الْأَمَلُ؛ فَلَا مَعْنَى  
لِلْحَيَاةِ؛ فَاللَّهُ خَلَقَ أَبَانَا آدَمَ فِي النَّعِيمِ لِيَعِيشَ وَبِنِيهِ حَيَاةَ النَّعِيمِ، وَلَكِنْ  
بِأَسْبَابِ الْإِغْوَاءِ وَالْمَعْصِيَةِ أَفْسَدَ حَيَاتِهِ الْبَاقِيَةَ بِالْحَيَاةِ الزَّائِلَةِ (الْحَيَاةِ  
الْمُنْقُوصَةِ) حَيْثُ الْفَقْرُ وَالْأَلَمُ وَالْفَاقَةُ وَالْمَرَضُ وَالتَّعَرُّضُ لِلْمَفَاجِآتِ وَالْمَوْتُ،  
وَمَعَ ذَلِكَ؛ وَجِبَ الْعَمَلُ الْمُمْكِنُ مِنْ بُلُوغِ الْحَلِّ رَفْعَةً وَارْتِقَاءً.

وَلِذَلِكَ، ظَلَّ آدَمُ وَزَوْجُهُ عَلَى الرَّفْعَةِ الْخَلْقِيَّةِ حَتَّى أَقْدَمَا عَلَى عَمَلِ  
الْمَعْصِيَةِ؛ فَانْحَدَرَا هَبُوطًا مِنْ تِلْكَ الْجَنَّةِ عَلَى الْأَرْضِ الدُّنْيَا، الَّتِي جَرَّدَتْ  
مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا عُلْيَا.

وَمِنْ هُنَا، أَصْبَحَ الصَّعُودُ لِلْقَمَّةِ مُطْلَبًا وَأَمَلًا لِمَنْ فَقَدَ تِلْكَ الْمَكَانَةَ، وَبَقِيَ  
الْحَلْقُ الْحَسَنُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ حُسْنًا، وَلَكِنْ الْأَخْلَاقُ أَصْبَحَتْ عَلَى  
الْإِهْتِرَازِ تَتَبَدَّلُ مِنْ حَسَنِ إِلَى سَيِّئٍ، وَكَذَلِكَ مِنْ سَيِّئٍ إِلَى حَسَنِ؛ {فَمَنْ  
شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} 761. فَآدَمُ وَزَوْجُهُ شَاءَا أَنْ يُؤْمِنَا وَأَمَلَا  
الْعُودَةَ إِلَى تِلْكَ الْجَنَّةِ لَمْ يَفَارِقَهُمَا، وَلَكِنْ بَنِيهِمَا اخْتَلَفُوا، بَلْ تَخَالَفُوا عَلَى  
مَا يُؤَدِّي إِلَى الْارْتِقَاءِ، وَمَا يُؤَدِّي إِلَى الدُّوْنِيَّةِ، حَتَّى بَلَغَ الْاِقْتِتَالَ بَيْنَهُمْ  
أَشَدَّهُ. وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ وَالْمُتَخَالِفِينَ لَمْ يَنْقَطِعْ،  
وَكَذَلِكَ الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ ظَلَّ جَنبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ الْقِصَاصِ الْحَقِّ.

761 الكهف 29.

فالإنسان ينبغي أن يعمل والأمل لا يفارقه، وعليه أن يعرف إنّ العمل ارتقاء وحده يطوي الهوة بين الأمل وصاحبه وبين الحاجة المتطورة ومشبعاتها المتنوعة.

ومع أنّ آدم قد خلّق في أحسن تقويم، لكنّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفاراً يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعدّ هينا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قبل بني آدم أملا وعملا؛ فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يتعد عنها؛ فالإنسان الذي خلّق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه إرادة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاء.

فآدم بعد أن عصى ربّه بأسباب الأكل من المنهي عنه، عرف أنّ ما يُنهي عنه لا يكون إلّا مخالفا للفطرة الخلقية (في غير مرضاة الخالق)، أي: أنّ المنهي عنه، لا يكون إلّا لضررٍ، سواء أكان نفسيا، أم صحيا، أم خلقيا؛ فآدم بعد أن أكل من تلك الشجرة المنهي عن الأكل من ثمارها ندم وتألّم، وظل على ما ألمّ به من ندمٍ وألمٍ حتّى غفر الله له ذنبه؛ ومع ذلك صدر عليه حكم الهبوط من الجنّة ارتقاء، إلى الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا.

ولذلك؛ فبأفعال المخالفة والمعصية يتمّ استشعار الذنب؛ فيلد الندم والألم في نفس من يأمل الارتقاء عمّا وقع فيه من معصية، ومن ثمّ، ليس للإنسان إلّا أن يلتفت إلى نفسه استغفاراً وتوبة تخرجه من التآزم إلى الانفراج، وتعيده إلى حيث ما يجب أن يكون عليه ارتقاء؛ فآدم بعد

الهبوط على الأرض الدنيا لم يظلل له أمل سوى أمل العودة إلى تلك الجنة التي خسرها بعلم الشهوة والرغبة والإرادة.

ومع أنّ الزمن في أذهاننا مقسّمًا بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، ولكن التفكير تدبّرًا في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمّا نشأ فيه يقينا. ولذلك؛ فالزمن الحاضر كما يرتبطنا بما جرى ارتقاء؛ فهو يرتبطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواء أكان المأمول قد حدث في الماضي، أم أنّه سيعود إلينا ثانية.

ومع أنّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، ولكنّ آدم وزوجه انحدرًا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما عرفا أنّ العلة قد الميت بهما وكانت من وراء انحدرهما هبوطا دوتيا، ندما واستغفرا لذنبهما؛ فتاب الله عليهما، ومن هنا، نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية وهي بالنسبة لهما هي الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلّا بالعمل ارتقاء.

ومع أنّ الأمل بالنسبة لبني آدم يرتبط بالمستقبل، ولكنّه بالنسبة لآدم؛ فهو يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّموات رتقا؛ فالأمل بالنسبة لآدم هو العودة إلى تلك الجنة التي فُقدت من قبله في لحظة غفلة.

والأمل مع أنّه من حيث المفهوم واحد، ولكنّه من حيث الدلالة ليس كذلك، ولذا وجب التفكير في الزمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وبين ماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدوا يقينا راسخا أنّ الجنة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنة التي حُلِق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّموات، ظلّت هناك في علوّ، أمّا الأمل فظل منقطعًا على الأرض التي أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دُنيا.

ومن ثمّ فالأمل لا يقتصر على الزمن المستقبل، بل الأمل يستوعب المستقبل مثلما يستوعب الماضي بالتمام، فأدم عليه السلام الذي حُلِق

في الجنة، ثم أهبط منها على الأرض إلى الحياة الدنيا بعد ارتكابه فعل الخطيئة ندم، وهو يأمل أن يعود إلى ذلك الماضي الذي فيه كل ما لَدَّ وطاب، والندم كان أكثر وضوحا في عقل آدم بعد أن أهبط به والأرض أرضا إلى الحياة الدنيا، ولهذا؛ فالأمل بالنسبة لآدم لم يكن مرتبطا بمستقبل جديد، بل مرتبط بماضٍ يأمله. وهكذا كل من يفقد شيء عظيمًا يأمل العودة إليه، فالذين يُهَجَّرُونَ من منازلهم وأوطانهم لا أمل لهم أكبر من أن يعودوا آمنين لبلدانهم وأوطانهم كما كانوا من قبل، وسيعملون ما في وسعهم من أجل العودة، بل سيقبلون دفع الثمن ولو كانت أرواح من أرواحهم.

ومع أنّ آدم تاب لربّه، ولكنّ توبته لم تحلّ بينه وبين الهبوط على ظهر الأرض إلى الحياة الدنيا بعد أن كان على أرض التّعيم قمّة وارتقاء؛ فأدم عصى ربّه، ثمّ تاب؛ فتاب الله عليه، ثمّ اجتباها نبيّا، لئنبئ من بُعث إليهم نبيّا، {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} 762، ومن هنا، يكمن أمل آدم، في العودة إلى الجنة ارتقاء؛ تلك الجنة التي فقدتها ولم يعد يراها نعيما على الأرض المغيرة التي أهبط بها أرضا، ولكن كيف يعود آدم إلى ذلك التّعيم الوافر؟

لا سبيل له إلا الاستغفار عن معصيته، والتوبة إلى خالقه؛ ففعل ذلك عن قلب؛ فاجتباها ربّه نبيّا، وعلمه ما لم يكن يعلم؛ فأدرك آدم أنّ فرصة العودة إلى الجنة بعد توبته أصبحت ممكنة إن عمِلَ وأتقن عمله رفعة. ولذلك؛ فَمِنَ بعد آدم أصبح العمل هو الممكن من إحداث التُّقلة وتحقيق الارتقاء رفعة؛ فتلك الجنة التي حُلِقَ فيها آدم لم يرها ابنه؛ فهما ولدا في الحياة الدّنيا (السُّفلية)، ولكن إبناء أبيهما أصبح بينهما حُجّة وموعظة وعبرة؛ فبدأ العمل ارتقاء من أحدهما، وهو يأمل بلوغ ما أنبأه به

---

762 طه 122.

أبيه الذي شهد ذلك النعيم؛ فأخذ بالنبأ وأمل الارتقاء إلى النعيم نصب عينيه، وفي المقابل أخاه أخذته الشهوة انحدارا وسفلية؛ فقتل أخاه في الوقت الذي يبسط إليه أخوه يده محبة، {لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ} 763.

وعليه:

فالارتقاء مؤسس على الفضائل الحيرة والقيم الحميدة، ارتفاعا عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الانحدار والسفلية، وذلك من أجل بلوغ ما يمكن من إحداث النقلة الممكنة من بلوغ الجنة عيشا رغدا. ومن هنا، وجب العمل المحقق للعيش النعيم الذي فيه الوفرة تغذي الروح، وتطمئن النفس، وتخاطب العقل، وترضي القلب، وتشبع البدن، وتزيد الذوق رفعة وارتقاء.

فآدم خلُق في الجنة، وشهد على نعيمها، وفيها تمتع، ثم حُرِم منها وأهبط به والأرض دُنُوًّا، ولكنه لم ينس ذلك العيش الرغد، والوفرة التي لا تُحصى، والتنوع المتسع جمالا، وبخاصة بعد أن أصبح على الأرض التي لم تأخذ أي صفة من صفات الجنة سوى الماء الذي يبقى على الحياة، ولا يُبقي على النعيم؛ فأصبحت الحاجة تملأ نفس آدم وزوجه بعد أن حُرِمَا من مشبعاتها المنقوصة في الحياة الدنيا.

إنّ الحياة الدنيا، إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا؛ فهي حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثم اتسعت وتكاثرت مع التكاثر؛ فأصبح الصدام والاقتيال انحدارا من البعض، في مقابل ارتقاء البعض رفعة؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع



الرفيع، أصبح يأمل العودة إليه، ولذلك؛ فقد سعى استغفاراً وتوبة أهله  
لأن يكون نبياً ينبئ بما علّم به من قبل خالقه، ومن ثمّ؛ فلا مكان له بعد  
النبأ العظيم إلا الجنة، التي لا تبلغ ارتقاء إلا بالعمل الصالح.

ولذلك، أصبح العمل ارتقاء أمل المصلحين الساعين إلى الكسب الحلال  
بلا حدود من أجل العيش الرغد وإظهار الزكاة وإعطاء الصدقة (ضريبة  
وتبرعاً)؛ فالساعون ارتقاء مهما بلغوا من المراتب والقمم؛ فهم يأملون  
مراتب عظيمة من بعدها قمة أعظم، ولهذا؛ وجب العمل إتقاناً حتى  
الارتقاء بالأرض الدنيا ورتقها في السماء جنة.

ومن أجل ذلك، وجب العمل الممكن من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة  
أن لا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن  
يكون العمل ثرساً من تروس عجلة الحياة العامة، ذلك لأنّ الارتقاء  
الممكن من السعادة لا يمكن أن يتحقّق والغير يتألم، ولذلك؛ فالعمل  
وفقاً لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ، وهو:  
إحداث الثقل، وغرض عام، وهو: تحفيز الآخرين ودفعهم تجاهها، وإلا  
فألم الغير لن يفسح الطريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية.

ومن هنا وجب العمل، فلا ينفع الندم ولا البكاء، وحتى إن حدث ما  
حدث من مثل ذلك، فلا ينبغي التوقّف عنده، بل ينبغي الاتعاظ منه  
وأخذ العبر؛ فعن ابن عبّاس، عليه السلام "خَرَّ آدَمُ سَاجِدًا بَيْنَكِي،  
فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا آدَمُ؟ قَالَ: أَبْكَايَنِي أَنَّهُ حِيلَ بَيْنِي  
وَبَيْنَ تَسْبِيحِ مَلَائِكَتِكَ، وَتَقْدِيرِ قُدْسِكَ، قِيلَ لَهُ: يَا آدَمُ، قُمْ إِلَى الْبَيْتِ  
الْحَرَامِ، فَخَرِّجْ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ حَيْثُ يَضَعُ قَدَمَيْهِ، يُفَجِّرُ عُيُونًا، وَعَمْرَانًا،  
وَمَدَائِنَ، وَمَا بَيْنَ قَدَمَيْهِ الْحَرَابُ، وَالْمَعَاطِشُ، فَبَلَغَنِي أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
تَدَكَّرَ الْجَنَّةَ فَبَكَى فَلَوْ عَدَلَ بُكَاءُ الْخَلْقِ بِبُكَاءِ آدَمَ حِينَ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ

مَا عَدَلَهُ، وَلَوْ عَدَلَ بُكَاءُ الْخَلْقِ، وَبُكَاءُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبُكَاءِ دَاوُدَ  
حِينَ أَصَابَ الْخَطِيئَةَ مَا عَدَلَهُ"764.

عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، "أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اشْتَدَّ بُكَاءُهُ وَحُزْنُهُ لِمَا كَانَ مِنْ  
عِظَمِ الْمُصِيبَةِ حَتَّى إِنْ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ لَتَحْزَنَ لِحُزْنِهِ، وَلَتَبْكِي لِئِكَائِهِ،  
قَالَ: فَعَزَّاهُ اللَّهُ بِحَيْمَةِ مِنْ خِيَامِ الْجَنَّةِ، وَضَعَهَا لَهُ بِمَكَّةَ فِي مَوْضِعِ الْكَعْبَةِ  
قَبْلَ أَنْ تَكُونَ الْكَعْبَةُ، وَتِلْكَ الْحَيْمَةُ يَأْقُوتُهُ حَمْرَاءُ مِنْ يَأْقُوتِ الْجَنَّةِ، وَفِيهَا  
ثَلَاثَةُ قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ تَبْرِ الْجَنَّةِ، فِيهَا نُورٌ يَلْتَهَبُ مِنْ نُورِ الْجَنَّةِ،  
فَلَمَّا صَارَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَكَّةَ، وَحُرِسَ لَهُ تِلْكَ الْحَيْمَةُ بِالْمَلَائِكَةِ،  
فَكَانُوا يَحْرُسُونَهُ، وَيُدْوِدُونَ عَنْهَا سُكَّانَ الْأَرْضِ، وَسُكَّانَهَا يَوْمَئِذٍ الْجِنُّ،  
وَالشَّيَاطِينُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهُ مَنْ نَظَرَ  
إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا وَجَبَتْ لَهُ، وَالْأَرْضُ يَوْمَئِذٍ نَقِيَّةٌ طَاهِرَةٌ طَيِّبَةٌ، لَمْ تَنْجَسْ،  
وَلَمْ تُسْفَكْ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَلَمْ يُعْمَلْ فِيهَا بِالْخَطَايَا، فَلِذَلِكَ جَعَلَهَا اللَّهُ يَوْمَئِذٍ  
مُسْتَقَرًّا الْمَلَائِكَةَ، وَجَعَلَهُمْ فِيهَا كَمَا كَانُوا فِي السَّمَاءِ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ  
وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، قَالَ: فَلَمْ تَزَلْ تِلْكَ الْحَيْمَةُ مَكَانَهَا حَتَّى قَبَضَ اللَّهُ آدَمَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَيْهِ"765.

### تأسيس البيت الحرام:

ولأنَّ أوَّلَ الخلق الأنسي هو آدم، وأوَّلَ من أمر بالهبوط بعلى المعصية كان  
آدم، وأوَّلَ الأنبياء اصطفاء كان آدم؛ وأوَّلَ من غفر له الله تعالى كان  
آدم، وأوَّلَ من ضمننت له الجنة كان آدم، وأوَّلَ خليفة الأرض كان آدم؛  
إذن لا بدَّ وأن يكون أوَّلَ بيت لله عزَّ وجلَّ يوضع في الأرض بعلم آدم،  
قال ابنُ عَبَّاسٍ: "فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَسَّسَ الْبَيْتَ، وَصَلَّى فِيهِ، وَطَافَ بِهِ آدَمُ  
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ الطُّوفَانَ، قَالَ: وَكَانَ غَضَبًا وَرِجْسًا،

764 أخبار مكة للأزرقي، 1، 41.

765 أخبار مكة للأزرقي، 1، 41.

قَالَ: فَحَيْثُمَا انْتَهَى الطُّوفَانُ ذَهَبَ رِيحُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي لَيْبِدٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: " لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَرْضِ أَهْبَطَهُ إِلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَهُوَ مِثْلُ الْفَلَكَ مِنْ رِعْدَتِهِ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْحَجْرَ الْأَسْوَدَ، يَعْنِي الرُّكْنَ، وَهُوَ يَتَلَأَلُ مِنْ شِدَّةِ بَيَاضِهِ، فَأَخَذَهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ أَنْسًا بِهِ ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْعَصَا، فَقِيلَ لَهُ: تَخَطَّ يَا آدَمُ، فَتَخَطَّ، فَإِذَا هُوَ بِأَرْضِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ، فَمَكَثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَوْحَشَ إِلَى الرُّكْنِ، فَقِيلَ لَهُ: أَحْجُجْ، قَالَ: فَحَجَّ، فَلَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، فَقَالُوا: بَرَّ حَجَّكَ يَا آدَمُ، لَقَدْ حَجَجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بِالْقِيَامِ".

ولكن التساؤل:

كيف يكون الملائكة قد سبقوا آدم على الحج بألف عام والأرض التي أهبط بها كان آدم على رأس المهبط بهم على ظهرها؟  
وإلا أن البيت الحرام هو الآخر كان في الجنة وأهبط به ليكون المهبط بهم على التوحيد، وهنا يجوز لمفسر أن يقول: أن هو الآخر كان والأرض رتقا؟

فنحن نرى غير ذلك: نرى أن آدم الذي سجد له الملائكة لا يمكن أن يسبقوه على حج بيت الله الذي رفعت قواعده على الأرض الدنيا، وبخاصة أن حج البيت فرضا على من اتبع الأنبياء والمرسلين من البشر. مع علمنا أن الملائكة لم يكونوا من ضمن المعاقبين بالهبوط إلى الحياة الدنيا، وكذلك مع علمنا أن الملائكة تنزل وفقا لمشيئة الله ثم تصعد إلى السماء علوا. ولهذا فلا يشملهم حكم الهبوط، كونهم لم يكونوا من المخالفين، { قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ }، هنا جاء القول موجّه للخطّائين، الذين تمّ تبليغهم بأن الأرض هي نصيبهم في الحياة الدنيا، وكان المقصود: خذوا الأرض؛ فهي قد مُنحت لحياتكم،

لكم فيها مستقر ومتاع إلى حين، وستظلون عليها ما حييتهم، وستموتون عليها وستحيون منها.

إنّ القول جاء أمراً حاسماً بأنّ وجود الخطّائين في الكون المرتق (الملتحم) أصبح غير ممكن، والإبعاد عن الجنّة لا مفرّ منه؛ فالجنّة التي لم يقدر العيش فيها، من قبل من خلّق خلقاً كما هي خلقت؛ فلا بدّ من خروجه منها؛ فكان الخروج هبوطاً للأرض ومن عليها، وكان الدرس، ولعله يكون الموعظة.

ولذلك، فتقت السماوات والأرضين، وأهبطت الأرض الدّنيا بالحياة الدّنيا، وعلى ظهرها الأزواج التي أنبتت منها وخلقّت عليها، وعلى رأسها الإنس والجنّ، ممّا جعل الوسوسة والإغواء بين بني آدم نار فتنة حتى اقتتلا.

وعليه، كان البيت الحرام مكان عبادة وآدم عليه الصّلاة والسّلام أول المصلين إيّما بعد توبة، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني محمد بن إسحاق، قال: بلغني أنّ "آدم، عليه السّلام لما أهبط الأرض حزن على ما فاتّه ممّا كان يرى، ويسمع في الجنّة من عبادة الله، فبؤاً الله له البيت الحرام، وأمره بالسّير إليه، فسار إليه لا ينزل منزلاً إلاّ فجرّ الله له ماءً معيناً، حتّى انتهى إلى مكّة، فأقام بها يعبد الله عند ذلك البيت، ويطوف به فلم تنزل داره حتّى قبضه الله بها"، وعن عثمان بن ساج، قال: بلغني أنّ عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه قال لكعب: يا كعب أخبرني عن البيت الحرام، قال كعب: "أنزله الله تعالى من السماء يافوثةً مجوّفةً مع آدم عليه السّلام، فقال له: يا آدم إنّ هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، ويصلى حوله كما يصلى حول عرشي، ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة، ثمّ وضع البيت عليه، فكان آدم عليه السّلام يطوف حوله، كما يطاف حول العرش،

وَيُصَلِّي عِنْدَهُ كَمَا يُصَلِّي عِنْدَ الْعَرْشِ، فَلَمَّا أَعْرَقَ اللَّهُ قَوْمَ نُوحٍ، رَفَعَهُ اللَّهُ  
إِلَى السَّمَاءِ، وَبَقِيَتْ قَوَاعِدُهُ"

ولأن البيت الحرام بيت الله؛ فيبدوا ليس من السهل أن يجزم أحد على  
إيجاد تاريخا له، أو أن يجزم على أنّ الملائكة هم أسبق من آدم حجبا،  
فكلها تفسيرات ومع ذلك يكون المنطق حجة من بين الحجج؛ فعن  
عطاء بن أبي رباح، قال: «لَمَّا بَنَى ابْنُ الزُّبَيْرِ الْكَعْبَةَ، أَمَرَ الْعُمَّالَ أَنْ  
يَبْلُغُوا فِي الْأَرْضِ، فَبَلَّغُوا صَحْرًا أَمْثَالَ الْإِبِلِ الْخَلْفِ»، قَالَ: "فَقَالُوا: إِنَّا  
قَدْ بَلَّغْنَا صَحْرًا مَعْمُولًا أَمْثَالَ الْإِبِلِ الْخَلْفِ، قَالَ: قَالَ: زِيدُوا، فَاحْفَرُوا،  
فَلَمَّا زَادُوا بَلَّغُوا هَوَاءً مِنْ نَارٍ يَلْقَاهُمْ، فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: لَسْنَا  
نَسْتَطِيعُ أَنْ نَزِيدَ، رَأَيْنَا أَمْرًا عَظِيمًا فَلَا نَسْتَطِيعُ. فَقَالَ لَهُمْ: ابْنُوا عَلَيْهِ،  
قَالَ: فَسَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ: يَرُونَ أَنَّ ذَلِكَ الصَّحْرَ مِمَّا بَنَى آدَمُ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ"766، وَعَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ  
الْبَيْتِ}767، قَالَ: وَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَيْتَ مَعَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَهْبَطَ  
اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ مَهْبِطُهُ بِأَرْضِ الْهِنْدِ، وَكَانَ رَأْسُهُ فِي  
السَّمَاءِ وَرِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَهَابُهُ، فَقُبِضَ إِلَى سِتِّينَ  
ذِرَاعًا، فَحَزَنَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ فَقَدَ أَصْوَاتَ الْمَلَائِكَةِ وَتَسْبِيحَهُمْ.  
فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ إِنِّي أَهْبَطْتُ مَعَكَ بَيْتًا  
يُطَافُ حَوْلَهُ، كَمَا يُطَافُ حَوْلَ عَرْشِي، فَاَنْطَلِقْ إِلَيْهِ، فَخَرَجَ آدَمُ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ، وَمَدَّ لَهُ فِي حَطْوٍ، فَكَانَ حُطْوَتَانِ، أَوْ بَيْنَ حُطْوَتَيْنِ مَفَازَةً، فَلَمْ  
يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ، فَأَتَى آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَيْتَ، فَطَافَ بِهِ، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ  
الْأَنْبِيَاءِ"768.

766 أخبار مكة للأزرقي، 1، 41.

767 الحج 26.

768 أخبار مكة للأزرقي، 1، 42.

إذن أول من أسس بيت الله بأمر الله هو آدم كونه أول أنبياء الإنس العابدين، عن عثمان بن ساج، قال: "حَدَّثْتُ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَرَجَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَبَنَى الْبَيْتَ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ بِنَائِهِ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ إِنَّ لِكُلِّ أَجِيرٍ أَجْرًا، وَإِنَّ لِي أَجْرًا، قَالَ: نَعَمْ فَاسْأَلْنِي، قَالَ: أَيُّ رَبِّ تَرُدُّنِي مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتَنِي، قَالَ: نَعَمْ ذَلِكَ لَكَ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ وَمَنْ حَرَجَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ مِنْ دُرِّيَّتِي يُقِرُّ عَلَى نَفْسِهِ بِمِثْلِ الَّذِي قَرَرْتُ بِهِ مِنْ دُنُوبِي، أَنْ تَعْفِرَ لَهُ، قَالَ: نَعَمْ، ذَلِكَ لَكَ" 769.

### حديث قصة البيت:

عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ اسْتَوْحَشَ فِيهَا لِمَا رَأَى مِنْ سَعَتِهَا، وَمَ يَرُ فِيهَا أَحَدًا غَيْرَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أَمَا لِأَرْضِكَ هَذِهِ عَامِرٌ يُسَبِّحُكَ فِيهَا، وَيُقَدِّسُ لَكَ غَيْرِي؟ قَالَ: إِنِّي سَأَجْعَلُ فِيهَا مِنْ دُرِّيَّتِكَ مَنْ يُسَبِّحُ بِحَمْدِي، وَيُقَدِّسُ لِي، وَسَأَجْعَلُ فِيهَا بِيُوتًا، تُرْفَعُ لِذِكْرِي، وَيُسَبِّحُنِي فِيهَا خَلْقِي، وَسَأُبَوِّئُكَ فِيهَا بَيْتًا أَحْتَارُهُ لِنَفْسِي، وَأَخْتَصُّهُ بِكَرَامَتِي، وَأُوثِّرُهُ عَلَى بُيُوتِ الْأَرْضِ كُلِّهَا بِاسْمِي، فَأُسَمِّيهِ بَيْتِي، وَأَنْطِقُهُ بِعَظَمَتِي، وَأَجُوزُهُ بِحُزْمَاتِي، وَأَجْعَلُهُ أَحَقَّ بُيُوتِ الْأَرْضِ كُلِّهَا وَأَوْلَاهَا بِذِكْرِي، وَأَضَعُهُ فِي الْبُقْعَةِ الَّتِي اخْتَرْتُ لِنَفْسِي، فَإِنِّي اخْتَرْتُ مَكَانَهُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ قَدْ كَانَ بُعْيِي فَهُوَ صَفْوَتِي مِنَ الْبُيُوتِ، وَلَسْتُ أُسْكِنُهُ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُسْكِنَ الْبُيُوتَ، وَلَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَسْعَنِي، وَلَكِنْ عَلَى كُرْسِيِّ الْكِبْرِيَاءِ، وَالْجَبْرُوتِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَقَلَّ بِعِزَّتِي، وَعَلَيْهِ وَضَعْتُ عَظَمَتِي وَجَلَالِي، وَهُنَالِكَ اسْتَقَرَّ قَرَارِي، ثُمَّ هُوَ بَعْدُ ضَعِيفٌ عَنِّي لَوْلَا قُوَّتِي، ثُمَّ أَنَا بَعْدَ ذَلِكَ مِلءٌ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلْفَ كُلِّ شَيْءٍ، لَيْسَ يَنْبَغِي لِشَيْءٍ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمِي، وَلَا يَقْدِرُ

769 أخبار مكة للأزرقي، 1، 43.

قُدْرَتِي، وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَ شَأْنِي، أَجْعَلْ ذَلِكَ الْبَيْتَ لَكَ، وَلِمَنْ بَعْدَكَ حَرَمًا  
وَأَمْنًا، أُحْرِمُ بِحُرْمَاتِهِ مَا فَوْقَهُ، وَمَا تَحْتَهُ، وَمَا حَوْلَهُ، فَمَنْ حَرَمَهُ بِحُرْمَتِي فَقَدْ  
عَظَّمَ حُرْمَاتِي، وَمَنْ أَحَلَّهُ فَقَدْ أَبَاحَ حُرْمَاتِي، وَمَنْ أَمَّنَ أَهْلَهُ فَقَدْ  
اسْتَوْجَبَ بِذَلِكَ أَمَانِي، وَمَنْ أَخَافَهُمْ فَقَدْ أَخْفَرَنِي فِي ذِمَّتِي، وَمَنْ عَظَّمَ  
شَأْنَهُ عَظَّمَ فِي عَيْنِي، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِهِ صَعُرَ فِي عَيْنِي، وَلِكُلِّ مَلِكٍ حِيَازَةٌ مَا  
حَوْلَيْهِ، وَبَطْنُ مَكَّةَ حَيْرَتِي، وَحِيَازَتِي، وَحَيْرَانُ بَيْتِي، وَعُمَارُهَا، وَزُورَاهَا  
وَفَدْيِي، وَأَضْيَافِي فِي كَنَفِي وَأَفْنِيَّتِي ضَامِنُونَ عَلَيَّ فِي ذِمَّتِي وَحِوَارِي، فَاجْعَلْهُ  
أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، وَأَعْمَرُهُ بِأَهْلِ السَّمَاءِ، وَأَهْلِ الْأَرْضِ يَأْتُونَهُ أَفْوَاجًا  
شُعْنًا غُبْرًا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَعُجُونَ بِالتَّكْبِيرِ  
عَجِيحًا، وَيَرْجُونَ بِالتَّلْبِيَةِ رَجِيحًا، وَيَنْتَحِبُونَ بِالبُكَاءِ نَحِيبًا، فَمَنْ اعْتَمَرَهُ،  
لَا يُرِيدُ غَيْرِي، فَقَدْ زَارَنِي، وَوَفَدَ إِلَيَّ، وَنَزَلَ بِي، وَمَنْ نَزَلَ بِي فَحَقِيقٌ عَلَيَّ  
أَنْ أُثْحِفَهُ بِكَرَامَتِي، وَحَقُّ الْكَرِيمِ أَنْ يُكْرِمَ وَفَدَهُ وَأَضْيَافَهُ، وَأَنْ يُسْعِفَ كُلَّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحَاجَتِهِ، تَعْمَرُهُ يَا آدَمُ مَا كُنْتَ حَيًّا، ثُمَّ تَعْمَرُهُ مِنْ بَعْدِكَ  
الْأُمَّمُ، وَالْقُرُونُ، وَالْأَنْبِيَاءُ أُمَّةٌ بَعْدَ أُمَّةٍ، وَقَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ، وَنَبِيٌّ بَعْدَ نَبِيٍّ،  
حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ وَدَيْكَ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، فَاجْعَلْهُ مِنْ  
عُمَارِهِ، وَسُكَّانِهِ، وَحَمَاتِهِ، وَوُلَاتِيهِ، وَسُقَاتِيهِ، يَكُونُ أَمِينِي عَلَيْهِ مَا كَانَ حَيًّا،  
فَإِذَا انْقَلَبَ إِلَيَّ وَجَدَنِي قَدْ دَخَرْتُ لَهُ مِنْ أَجْرِهِ وَفَضِيلَتِهِ مَا يَتِمَكَّنُ بِهِ  
لِلْقُرْبَةِ مِنِّي، وَالْوَسِيلَةَ إِلَيَّ، وَأَفْضَلَ الْمَنَازِلِ فِي دَارِ الْمُقَامِ، وَأَجْعَلْ اسْمَ  
ذَلِكَ الْبَيْتِ، وَذِكْرَهُ، وَشَرَفَهُ، وَمَجْدَهُ، وَثَنَاءَهُ، وَمَكْرَمَتَهُ لِنَبِيِّ مِنْ وَدَيْكَ  
يَكُونُ قَبْلَ هَذَا النَّبِيِّ، وَهُوَ أَبُوهُ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ أَرْفَعُ لَهُ قَوَاعِدَهُ، وَأَفْضِي  
عَلَى يَدَيْهِ عِمَارَتَهُ، وَأَنْيَطُ لَهُ سَفَائِتَهُ، وَأُرِيهِ حِلَّهُ، وَحَرَمَهُ، وَمَوَاقِفَهُ،  
وَأُعَلِّمُهُ مَشَاعِرَهُ وَمَنَاسِكَهُ، وَأَجْعَلْهُ أُمَّةً وَاحِدَةً، قَانِتًا لِي، قَانِتًا بِأَمْرِي  
دَاعِيًا إِلَى سَبِيلِي، أَجْتَبِيهِ، وَأَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، أَتَّبِلِيهِ فَيَصْرِفُ،  
وَأَعَافِيهِ فَيَشْكُرُ، وَيَنْدِرُ لِي فَيَنْفِي، وَيَعْدُنِي فَيُنَجِّرُ، وَأَسْتَحِيبُ لَهُ فِي وَلَدِهِ  
وَدُرَّتِيهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَشْفَعُهُ فِيهِمْ، فَاجْعَلْهُمْ أَهْلَ ذَلِكَ الْبَيْتِ، وَوُلَاتَهُ،

وَحُمَاتُهُ، وَخُدَامُهُ، وَسُدَّانُهُ وَخُزَّانُهُ، وَحُجَّاجُهُ، حَتَّى يَبْتَدِعُوا وَيُعِيرُوا. فَإِذَا  
فَعَلُوا ذَلِكَ فَأَنَا اللَّهُ أَقْدَرُ الْقَادِرِينَ عَلَى أَنْ أُسْتَبَدَلَ مَنْ أَشَاءُ بِمَنْ أَشَاءُ،  
أَجْعَلُ إِبْرَاهِيمَ إِمَامَ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ، وَأَهْلَ تِلْكَ الشَّرِيعَةِ يَأْتُمُّ بِهِ مَنْ  
حَضَرَ تِلْكَ الْمَوَاطِنَ مِنْ جَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يَطَّوْنُ فِيهَا آثَارُهُ، وَيَتَّبِعُونَ  
فِيهَا سُنَّتَهُ، وَيَقْتَدُونَ فِيهَا بِهَدْيِهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَوْفَى نَذْرُهُ،  
وَاسْتَكْمَلَ نُسْكُهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَيَّعَ نُسْكُهُ، وَأَخْطَأَ بُعَيْتَهُ،  
فَمَنْ سَأَلَ عَنِّي يَوْمَئِذٍ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ، أَيْنَ أَنَا؟ فَأَنَا مَعَ الشُّعْثِ الْعُثْبِ  
الْمُوفِينَ بِنُدُورِهِمْ، الْمُسْتَكْمِلِينَ مَنَاسِكَهُمْ، الْمُبْتَهِلِينَ إِلَى رَبِّهِمُ الَّذِي يَعْلَمُ  
مَا يُبْدُونَ، وَمَا يَكْتُمُونَ، وَلَيْسَ هَذَا الْخَلْقُ، وَلَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي قَصَصْتُ  
عَلَيْكَ شَأْنَهُ يَا آدَمُ بِزَيْدٍ فِي مُلْكِي، وَلَا عَظَمَتِي، وَلَا سُلْطَانِي، وَلَا شَيْءٍ  
مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا زَادَتْ قَطْرَةٌ مِنْ رَشَاشٍ وَقَعَتْ فِي سَبْعَةِ أَمْجُرٍ تَمُدُّهَا مِنْ  
بَعْدِهَا سَبْعَةُ أَمْجُرٍ، لَا تُحْصَى، بَلِ الْقَطْرَةُ أَزِيدُ فِي الْبَحْرِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فِي  
شَيْءٍ مِمَّا عِنْدِي، وَلَوْ لَمْ أَحْلِفْهُ لَمْ يَنْقُصْ شَيْئًا مِنْ مُلْكِي وَلَا عَظَمَتِي، وَلَا  
مِمَّا عِنْدِي مِنَ الْعَنَاءِ، وَالسَّعَةِ إِلَّا كَمَا نَقَصَتْ الْأَرْضُ ذَرَّةً وَقَعَتْ مِنْ  
جَمِيعِ ثُرَائِهَا، وَجِبَالِهَا وَحَصَايَا، وَرِمَالِهَا، وَأَشْجَارِهَا، بَلِ الذَّرَّةُ أَنْقُصُ فِي  
الْأَرْضِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، لَوْ لَمْ أَحْلِفْهُ لَشَيْءٍ مِمَّا عِنْدِي، وَبَعْدَ هَذَا مِنْ هَذَا  
مَثَلًا لِلْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"770.

ومع أنه لا يقين بكيفية بناء البيت؟ ومتى بني البيت؟ ومن الذي بناء  
البيت؟ ولكن القين الوحيد أنه بيت الله، ولأنه بيت الله؛ فلا شك أنه بني  
بمشيئة هو شائها؛ فهناك من قال: أنه بني مكان الخيمة التي بها عزَّ الله  
آدم، وهناك من لا يأخذ بذلك؛ فعن عُثْمَانَ بْنِ سَاجٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ  
مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ قَالَ: "لَمَّا رُفِعَتِ الْحَيْمَةُ الَّتِي عَزَّى اللَّهُ بِهَا آدَمَ مِنْ حِلْيَةِ الْجَنَّةِ،  
حِينَ وُضِعَتْ لَهُ بِمَكَّةَ فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ، وَمَاتَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَنَى

770 أخبار مكة للأزرقي، 1، 46.



بُنُو آدَمَ مِنْ بَعْدِهِ مَكَانَهَا بَيْتًا بِالطَّيْنِ وَالْحِجَارَةِ فَلَمْ يَزَلْ مَعْمُورًا يَعْمُرُونَهُ  
هُمُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ حَتَّى كَانَ زَمَنُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَفَقَهُ الْعَرَقُ، وَعَبَّرَ  
مَكَانَهُ، حَتَّى بُوئِيَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ"771.

وسميت الكعبة بهذا الاسم لأنها على حلقة الكعب، عن محمد بن  
إسحاق، قال: سُمِّيَتِ الْكَعْبَةُ لِأَنَّهَا عَلَى خِلْقَةِ الْكَعْبِ، قَالَ: وَكَذَلِكَ  
بُنْيَانُ أُسَاسِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَعَلَ بَابَهَا بِالْأَرْضِ عَيْرَ مُبَوَّبٍ حَتَّى كَانَ  
تُبَّعُ أَسْعَدُ الْحَمِيرِيُّ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَهَا بَابًا، وَعَلَقًا فَارِسِيًّا، وَكَسَاهَا كِسْوَةً  
تَامَّةً، وَنَحَرَ عِنْدَهَا772، وَبُنِيَ أَبِي لَيْدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "أُنزِلَ الرُّكْنُ  
الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُوَ يَتَلَأَلُ تَلَأُلًا مِنْ شِدَّةِ بَيَاضِهِ، فَأَخَذَهُ آدَمُ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ أَنْسًا بِهِ"773

#### آدم مغفور له:

وهذا ما حصل مع الإنسان الأول (آدم) الذي حُلق في أحسن تقويم، ولم  
يُخلق على الكمال، إنه الإنسان بين التسيير والتخيير الذي (يصيب  
ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر؛ فيتاب عليه، ومن ثم؛ فمخالفة آيينا  
آدم هي مخالفة تختيارية ذات علاقة بالإرادة والرغبة والشهوة، وهذه  
مكامن العلل والضعف النفساني التي تجرّ لما لا ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ  
لما ينبغي (الطاعة والاتباع)، ولذلك؛ فحسن التقويم لا يتغير، أمّا حسن  
الأخلاق في دائرة الممكن؛ فيتغير بين سفلية وارتقاء.

ولأنّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع رُقيًا؛ فلا  
استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألا يصحح ولا يقوم، كما  
صحح أبونا آدم وقومه ساعة حدوثه، وساعة كشف الله، {فَتَلَقَى

771 أخبار مكة للأزرقي، 1، 51.

772 أخبار مكة للأزرقي، 1، 64.

773 أخبار مكة للأزرقي، 1، 328.

آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ{774. ذلك لأنّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق، ولا تتعلّق بالخلق الذي لا يتبدّل.

ومن ثمّ؛ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لابدّ وأن يقع الإنسان في الخطأ، أمّا الاستثناء في دائرة الممكن ألا يُصحّحه، ولهذا أخذ أبونا آدم بالقاعدة: وهي متى ما وقع الخطأ وجب التصحيح الذي يوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصّائبة. وعليه:

فالارتقاء قيمة خُلِقَ الإنسان عليها من طين الجنّة عندما كانت الأرض مرتقة في السماوات، {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}775. ولأنّ الإنسان الأوّل خُلِقَ من تراب الأرض المرتقة في السماء جنّة، كان خلقه في أحسن تقويم، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}776.

ولذا؛ فأساس خلق الإنسان التقويم الحسن دلالة ومعنى وصورة، أمّا الاستثناء أن لا يحافظ الإنسان على حسن التقويم الذي خُلِقَ عليه خلقا. وهذا ما حدث مع أبينا آدم عندما لم يأخذ بما أمر به وهو: ألا يأكل من تلك الشجرة، {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجُهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}777.

---

774 البقرة 37.

775 الأنبياء 30.

776 التين 4.

777 البقرة 35، 36.

ومن هنا، جاء انحدار أبينا آدم عوضا عن الارتقاء الذي خُلق عليه خلقا. {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} 778، حيث الهبوط على الأرض التي فتقت من السماوات؛ فأصبحت أرضا دنيا إذا ما قورنت بما بقي في علو (في السماء). ولكن آدم الذي خُلق على حُسن التقويم تدارك أمره فاستغفر ربّه؛ فتاب عليه، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} 779. ولهذا؛ فقد أستثنى آدم من الوجود السفلي كونه تاب الله عليه بسبب استغفاره ورُقي إيمانه، {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} 780. وعليه:

فالإنسان الأوّل (آدم) كونه قد خُلق في أحسن تقويم؛ فتقومه الخُلقي لم يتغيّر، بل الذي تغيّر هو عدم أخذه بما يبقي الأخلاق ارتقاء، وذلك حينما أخذ بما يغوي، وهو: المنهي عنه، (ألا يأكل من تلك الشجرة)؛ فحاد آدم عن الخلق الذي هو بيده تخيرا، ولكن لم يحدّ عن خلقه المقوم تسييرا، حيث لا إمكانية له في ذلك.

فالارتقاء خلقا سيظل باقيا ومميّزا لبني آدم، ولن يتطوّر أكثر من حُسن التقويم، وكذلك لن ينحدر عنه؛ فهو الخلق الذي لا يتبدّل كونه بيد الخالق، أمّا المتبدّل؛ فهو: الذي بيد المخلوق، وهي: الأخلاق، ومن هنا، أكل آدم من تلك الشجرة، حيث الرّغبة والإغواء المزيف للحقيقة، وهو الذي شوّه الأخلاق انحرافا.

ولأنّ الله قد غفر لأدم وتاب عليه فجعله على الإيمان وهو مهبطا على الأرض الدنيا، عن أبي المليح، أنّه قال: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: "حَجَّ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَفَضَى الْمَنَاسِكَ، فَلَمَّا حَجَّ، قَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ لِكُلِّ عَامِلٍ أَجْرًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَمَّا أَنْتَ يَا آدَمُ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكَ، وَأَمَّا ذُرِّيَّتُكَ فَمَنْ

778 التين 5.

779 البقرة 37.

780 التين 6.

جاءَ مِنْهُمْ هَذَا الْبَيْتِ، فَبَاءَ بِذَنْبِهِ غَفَرْتُ لَهُ، فَحَجَّ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالرَّذَمِ، فَقَالَتْ: بَرِّ حَجَّكَ يَا آدَمُ، قَدْ حَجَجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بِالْفَيْ عَامٍ، قَالَ: فَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ حَوْلَهُ؟ قَالُوا: كُنَّا نَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: فَكَانَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ، يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَكَانَ طَوَافُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعَةَ أَسَابِيعَ بِاللَّيْلِ، وَخَمْسَةَ أَسَابِيعَ بِالنَّهَارِ " قَالَ نَافِعٌ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ " 781.

ولأنَّ آدمَ أوَّلَ الطَّائِفِينَ، كانَ الطَّوَّافُ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّةً تَتَرَسَّخُ مِنْ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ مَوْلَى بَنِي مُحْزُومٍ، أَنَّهُ قَالَ: " طَافَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعًا بِالْبَيْتِ حِينَ نَزَلَ، ثُمَّ صَلَّى بُحَاةَ بَابِ الْكَعْبَةِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَتَى الْمُتَرَمَّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرِّي، وَعَلَانِيَتِي، فَأَقْبَلْ مَعْدِرَتِي، وَتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، وَمَا عِنْدِي فَأَغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَتَعْلَمُ حَاجَتِي، فَأَعْطِنِي سُؤْلِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبِي، وَيَقِينًا صَادِقًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَالرِّضَا بِمَا قَضَيْتَ عَلَيَّ، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: يَا آدَمُ قَدْ دَعَوْتَنِي بِدَعَوَاتٍ فَاسْتَجَبْتُ لَكَ، وَلَنْ يَدْعُوَنِي بِهَا أَحَدٌ مِنْ وَلَدِكَ إِلَّا كَشَفْتُ عُومَهُ، وَهُمُومَهُ، وَكَفَفْتُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَنَزَعْتُ الْفَقْرَ مِنْ قَلْبِهِ، وَجَعَلْتُ الْغِنَاءَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَتَجَرَّتْ لَهُ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَةِ كُلِّ تَاجِرٍ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَإِنْ كَانَ لَا يُرِيدُهَا، قَالَ: فَمُذَّ طَافَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ سُنَّةُ الطَّوَّافِ " 782.

ولأنَّ الطَّوَّافُ سُنَّةُ آدَمَ الَّتِي ارْتَضَاهَا اللَّهُ، فَهُوَ فِي رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ (رَسُولِ الْكَافَّةِ) رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ الرَّئِيسَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ السُّنَنِ هِيَ مُمْتَدَةٌ مِنْ آدَمَ إِلَى الْخَاتَمِ عَلَيْهِمَا وَعَلَى جَمِيعِ الرُّسُلِ الصَّلَاةِ

781 أخبار مكة للأزرقي، 1، 43.

782 أخبار مكة للأزرقي، 1، 44.

والسَّلَام، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "حَجَّ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، فَلَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فِي الطَّوَافِ، فَقَالُوا: بَرَّ حَجَّكَ يَا آدَمُ، أَمَا إِنَّا قَدْ حَجَجْنَا قَبْلَكَ هَذَا الْبَيْتَ بِالْفِي عَامٍ. قَالَ: فَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الطَّوَافِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَزِيدُوا فِيهَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: فَزَادَتْ الْمَلَائِكَةُ فِيهَا ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ حَجَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ بُنْيَانِهِ الْبَيْتِ، فَلَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فِي الطَّوَافِ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي طَوَافِكُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا نَقُولُ قَبْلَ أَبِيكَ آدَمَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَأَعْلَمَنَا ذَلِكَ، فَقَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: زِيدُوا فِيهَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: زِيدُوا فِيهَا الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، قَالَ: فَفَعَلَتْ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ" 783

### العداء مع الشيطان:

الشيطان عليه اللعنة لو كان العداء معه قبل ارتكاب الخطيئة لكان آدم على غير ما طرأ عليه من معصية، ولكن العداء معه أصبح بعد التفات آدم لنفسه وهو مرتكب المعصية، فوجد نفسه حيث لا حول ولا قوَّة، ومن هنا، استغفر آدم ربّه؛ فاستمدَّ القوَّة الممكنة من التوبة، وهي التي لا تقبل بمخالطة الشيطان بل تستوجب الاستعادة بالله منه اتقاء وطاعة. وفي هذا الشأن قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنِ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: "إِنَّهُ لَمَّا خَافَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً حَفُّوا بِمَكَّةَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَوَقَّفُوا حَوْلَيْهَا قَالَ: فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَرَمَ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقَفَّتْ" 784.

783 أخبار مكة للأزرقي، 1، 45.

784 أخبار مكة للأزرقي، 2، 127.

## موت آدم:

ولأنّ الحياة الدّنيا يلاحقها الموت؛ فهي لم تكن حياة بقاء مثل الحياة على الأرض الجنّة، ولذلك؛ فكلّ تزواج يصاحبه التناقص حيث لا ديمومة للبقاء، {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} 785.

ولأنّ كلّ من على الأرض الدّنيا فانٍ، إذا؛ فالعدم مرحلة من مراحل الوجود في الحياة الدّنيا، وفي المقابل لا عدم في الجنّة، ذلك لأنّها أرض البقاء الدائم حيث لا موت.

وسيطل الموت يلاحق الأحياء المتكاثرين إلى أن يقضي عليهم جميعا، ويومها سيكون الموت آخر الأموات، ويومها يبعث الأموات جميعهم إلا الموت لن يُبعث، حيث لا مكان له في الحياة الخالدة (الجنّة)، {والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثمّ يُعيدكم فيها ويُخرجكم إخراجاً} 786.

أي: بعد أن أنشأكم الله النشأة الأولى خلقا زوجيا في أرض الجنّة المرتقة مع السّموات، ثم تكاثرا تزوجيا في الأرض الدّنيا، ثمّ موتا فرديا يعيدكم في الأرض الدّنيا عدما ولا استثناء، ثمّ ينشئكم بعثا في نشوء آخر، حياة سرمدية حيث البقاء الذي لا موت من بعده، {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى} 787.

وعليه:

فالخلق الأوّل خلق معجز من لا شيء (حيث لا وجود)، والخلق الثاني نشوء معجز من خلق موجود؛ فالحياة تُخلقت أولا، ثمّ الخلائق ثانيا، ولكنّ ممّا تُخلقت الخلائق؟

---

785 الرحمن 26.

786 نوح 17، 18.

787 النجم 47.

خُلِقَتِ الْخَلَائِقُ مِمَّا نَعْلَمُ، وَمِمَّا لَا نَعْلَمُ: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا  
مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} 788.

فمِمَّا نعلمه هو:

. خلقت الخلائق من الأرض الجنة أزواجا، (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ  
كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ).

. خلقت في الأرض الدنيا تراوجا، (وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ).

أما ما لا نعلمه؛ فالخالق يخلق ما يشاء كيفما يشاء، (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ)،  
أي: أن الإنسان من نعم إيمانه؛ فهو يعلم أنه يجهل، ولهذا؛ فالخالق لا  
يقتصر على ما يعلمه. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الدِّينِ قَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،  
أَوْ: أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمَ -، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ، مَسَحَ ظَهْرَهُ،  
فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ مِنْ دَرَارِيِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ يَعْزُضُ دُرِّيَّتَهُ عَلَيْهِ،  
فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يَزْهَرُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ،  
قَالَ: أَيُّ رَبِّ، كَمْ عُمُرُهُ؟ قَالَ: سِتُّونَ عَامًا، قَالَ: رَبِّ زِدْ فِي عُمُرِهِ، قَالَ:  
لَا، إِلَّا أَنْ أَزِيدَهُ مِنْ عُمُرِكَ وَكَانَ عُمُرُ آدَمَ أَلْفَ عَامٍ، فَرَزَادَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا،  
فَكَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كِتَابًا، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، فَلَمَّا  
احْتَضَرَ آدَمَ، وَأَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لِتَقْبِضَهُ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ  
عَامًا، فَقِيلَ: إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لِابْنِكَ دَاوُدَ، قَالَ: مَا فَعَلْتُ وَأَبْرَزَ اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ" 789.

عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عُثَيْبٍ، قَالَ: رَأَيْتُ شَيْخًا بِالْمَدِينَةِ يَتَكَلَّمُ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ،  
فَقَالُوا: هَذَا أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَقَالَ: " إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَهُ  
الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيُّ بَنِيَّ إِنِّي أَشْتَهِي مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، فَذَهَبُوا يَطْلُبُونَ لَهُ،  
فَاسْتَقْبَلْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَمَعَهُمْ أَكْفَانُهُ وَخُنُوطُهُ، وَمَعَهُمُ الْفُؤُوسُ وَالْمَسَاحِي

788 يس 36.

789 مسند أحمد ط الرسالة، 4، 128.

وَالْمَكَاتِلُ، فَقَالُوا لَهُمْ: يَا بَنِي آدَمَ، مَا تُرِيدُونَ وَمَا تَطْلُبُونَ، أَوْ مَا تُرِيدُونَ وَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟، قَالُوا: أَبُونَا مَرِيضٌ فَاشْتَهَى مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، قَالُوا لَهُمْ: ارْجِعُوا فَقَدْ قُضِيَ قَضَاءُ أَبِيكُمْ. فَجَاءُوا، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ حَوَاءُ عَرَفَتْهُمْ، فَلَادَتْ بَادِمَ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَيِّي فَإِنِّي إِذَا أُوتِيتُ مِنْ قِبَلِكَ، حَلِّي بَيْنِي وَبَيْنَ مَلَائِكَةِ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى. فَقَبَضُوهُ، وَغَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَحَنَطُوهُ، وَحَفَرُوا لَهُ وَالْحَدُوا لَهُ، وَصَلُّوا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلُوا قَبْرَهُ فَوَضَعُوهُ فِي قَبْرِهِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ اللَّبَنَ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ الْقَبْرِ، ثُمَّ حَنَوْا عَلَيْهِ التُّرَابَ، ثُمَّ قَالُوا: يَا بَنِي آدَمَ هَذِهِ سُنَّتُكُمْ"790.

ومن ثم؛ فبنو آدم يعرفون أنّ أساس النشوء الآدمي، هو من الأرض، وكذلك، هم يعرفون أنّ الأموات يتحللون وينتهون فيها أثرا باليا، ويدركون أنّ للحياة بداية ونهاية، ثمّ أنّ للموت نهاية (موت الموت)، ولهذا؛ فالمؤمنون يعرفون أنّ من بعد النّهاية بداية أخرى على كيفية أخرى، ولا تكون إلاّ مستحيلا، حيث لا نعلم، (وَنُنَشِّئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ)؛ فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَمَّا تُوفِّيَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمَاءِ وَتَرًا، وَالْحَدُّوا لَهُ وَقَالُوا: هَذِهِ سُنَّةُ آدَمَ فِي وُلْدِهِ"791، ووهناك من قال أنّ آدم قد دفن في مسجد الخيف بجدة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: "قَبْرُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَكَّةَ أَوْ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَقَبْرُ حَوَاءَ بِجُدَّةَ"792، وهناك من يقول: دفن في مسجد الخيف بمكة، عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: "قَبْرُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَكَّةَ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ وَقَبْرُ حَوَاءَ، بِجُدَّةَ"793.

790 مسند أحمد ط الرسالة، 35، 163.

791 الجامع الصحيح للسنن والمسند، 23، 420.

792 أخبار مكة للفاكهي، 4، 240.

793



## طينة خلق آدم:

أصل الخلق البشري من خَلقِ الكون؛ فلو لم يكن الكون لتكون الأرض منه، ما خُلِقَ الإنسان من ترابها، {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} 794؛ فالخلق من تراب بالرغم من اختلاف المعتقدات والمعارف العلمية؛ فلا أحد يشك فيه، وبخاصة بعد اكتشاف عناصر خلق الإنسان التي هي من مكوّنات الأرض ترابا، والتي كان أكثرها نسبة الأكسجين 65%، ثمّ الكربون 18%، ثمّ الهيدروجين 10%، وتوزعت بقية النسب تكوينا في جسم الإنسان 795. ولذلك؛ فلم يبق شيء يمكن أن يكون مكوّنا لجسم الإنسان إلّا وهو عنصر في الأرض، أمّا أمر الرّوح؛ فهي لم تكن من تراب، ولم تكن من مكوّنات الجسم الإنساني، بل هي المدخلة عليه إدخالا، {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} 796.

ومع أنّ أصل النشوء البشري من تراب، لكن الخلق البشري لم يكن ترابا، بل كان شيئا على المعرفة الممكنة من (التذكّر، والتدبّر، والتفكّر)، ومن هنا؛ فالإنسان يتطوّر معرفة وليس جسدا؛ فالجسد أُنبِت من الأرض نباتا، {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} 797. فالآية تعود على البشر، ولأنكم يا بنو آدم من ترابها؛ فأنتم نشأتم من الأرض وكأنكم نبات من نباتها، وقوله (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ) أي، أنشأكم من الأرض نشأة، ولأنّ خلق الإنسان من الأرض، قال: (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) ولم يقل (إنباتا)؛ ذلك لأنّ (النبات) من الأرض، أمّا (الإنبات) فمن خارجها؛ ولأنكم يا بنو آدم من الأرض؛ فكان نشوءكم منها نباتا.

<sup>794</sup> الروم 20.

<sup>795</sup> [http://alelmwalmarefa.blogspot.com.eg/2014/04/blog-post\\_21.html](http://alelmwalmarefa.blogspot.com.eg/2014/04/blog-post_21.html)

<sup>796</sup> الإسراء 85.

<sup>797</sup> نوح 17.

ولذلك؛ فهل يمكن لأحدٍ أن يقول: إنّه لم يكن من تراب الأرض وعناصر تكوينه تشهد عليه تراباً؟ وإذا كان الأثر خير دليل لإثبات براءة أو إدانة صاحبه؛ إذا؛ فلا شكّ أنّ عناصر خلق الإنسان من تراب خير شاهد على نشوئه منها.

تطوّر الوجود من لا شيء يُدرك، إلى شيء مُدرك؛ فكان ما يشير إليه الفيزيائيون بالذرة أو النواة الأولى، ثمّ الانفجار العظيم الذي به أصبح الكون وجوداً، والحياة تملؤه شيء ولا شيء؛ فتكوّرت النجوم والكواكب، وكانت الأرض المكان المناسب لحياة الأزواج التي خلقت منها خلقاً، {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} 798.

ولأنّ الأرض مكان خلق الخلائق؛ فكانت الأجناس والأنواع جمادا ونباتا وحيوانا وبشرا، وما لا نعلم، خلق من تراب، ولكن لكل طينته التي تميّزه عن غيره، وفقا لمشيئة الخالق، {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} 799.

ومع أنّ خلق الإنسان الأوّل (آدم) من ترابٍ، لكنّه لم يكن تراباً، بل بشر في أحسن تقويم، هيئة وصورة وعقل، {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} 800، أي: أنّ الإنس الذي خلق من طين ليس بطين، وهنا يكمن الإعجاز الخلقى؛ فلو كان الإنسان طينا لكان جدارا. ومع أنّنا نتحدّث عن الإنسان الأوّل (آدم) لكننا نشير به إلى الجنس البشري، الذي من البدء كان خلقه على الزوجية (آدم وزوجه)، مثله مثل بقية الخلائق، كلّها خلقت على الزوجية الثنائية، ولا شيء خلق على الفردية، {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}، ولذلك؛ فيصعب علينا الأخذ القاطع بما لم ينزل قرآنا، وهو: أنّ حواء من ضلع آدم؛ فكيف لنا بذكر

---

798 الذاريات 49.

799 الحجر 19.

800 ص 71.

حواء، واسم حواء لم ينزل في القرآن ولا مرة واحدة؟ بل قال القرآن (زوجك) ولم يقل (زوجتك)، ومن هنا؛ فالفرق كبير بين المفهومين؛ فزوجك يشير إلى دلالة التسوية الخلقية من تراب، أما زوجتك؛ فأمرها يعود كما يعود أمر خلقك إلى نطفة، {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} 801، ثم أكد على أنّها (زوجك)، ولم ترد كلمة (زوجتك) ولا مرة واحدة في القرآن أيضا؛ {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجُكَ} 802.

إذا؛ فخلق الإنسان تطوّر من تراب إلى بشر، وكأنّه لا علاقة بالمشاهدة بين الصفات الطينيّة، وصفات الإنسان التي خلّق عليها بشرا سوياً. ولكن هذا التطوّر خلقي، نشأ الخلق عليه نشوا، {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} 803.

ولأنّه تعالى خلّق الأزواج كلّها، {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} 804؛ وخلق الإنسان من بينها في أحسن تقويم، إذا؛ فقد خلّفه متميّزا ومتطوّرا عن بقية الخلائق، ليكون على التطوّر إلى النّهاية.

ومن هنا؛ فطينة خلق آدم هي الطينة المتميّزة جودة، ولهذا كان خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهناك من قال أنّ طينة خلق آدم جمعت يوم الجمعة، عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال: قيل: يا نبيّ الله "لم سمّي يوم الجمعة قال: لأنّ فيها جمعت طينة أهلك آدم عليه السّلام، وفيها الصّعقة والبعثة، وفي آخر ثلاث ساعات فيها ساعة من دعا الله عزّ وجلّ فيها بدعوة استجيب له" 805، وعن أوس بن أوس

801 الأعراف 19.

802 طه 117.

803 هود 61.

804 النبأ 8.

805 مسند الحارث، 1، 299.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْضَلُ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ النَّفْحَةُ وَفِيهِ الصَّعَقَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ يُقُولُ: بَلِيَّت. قَالَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ" 806، وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حَيْرٌ يَوْمٌ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا" 807.

### آدم وزوجه:

النشوء الزوجي نشوء إعجازي تلازمي؛ حيث اقتران الأزواج خلقا من تراب {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} 808، خلقا تلازميا ولا تفرقة، ولا أفضلية لمخلوق على مخلوق من ذات النوع؛ فالإنس كونه سلالة طينية، خلقه النوعي واحد (الذكر والأنثى)، ولذا، جاء نشوء البشر من نفس واحدة (من طينة واحدة).

ولأنَّ الخلق الأوَّل زوجي؛ فلا أحد خلق من أحدٍ، {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} 809. ومع ذلك؛ فالبعض يتساءل:

وأين نحن من خلق حواء التي خلقت من ضلع آدم؟

عندما تكون الإجابة من الله تعالى قاطعة للشك؛ فلا داعي لغيرها، وعندما يختلف قول البشر عن قول الله؛ فلا مجال للظن؛ فكيف الله يقول: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} ويأتي البعض ويقول: خلقت حواء من ضلع آدم؟

<sup>806</sup> الاحاد والمثاني لابن أبي عاصم، 3، 217.

<sup>807</sup> سنن النسائي، 3، 89.

<sup>808</sup> الروم 20.

<sup>809</sup> الذاريات 49.

فقوله من كل شيء، جاء مطلقاً، ولا يستثني شيئاً من الخلق الزوجي، فكلّ المخلوقات خلقت على (الزوجية)، ولم تخلق من (التزاوج)، فالتزاوج اختياري وهو الذي حصل بعد الخلق الأوّل للإنسان الأوّل، { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } 810؛ فمن نفس واحدة، تعني: من طينة واحدة، أي من نفس الطينة؛ فلا أحد أفضل خلقاً من الآخر، { وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ } 811. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّمَا خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ ضِلَعِ أَعْوَجٍ، فَلَنْ تُصَاحِبَهَا إِلَّا وَفِيهَا عِوَجٌ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسَرْتَهَا هَلَا طَلَقُوهَا" 812.

لا شك أنّ الرسول حقّ وقوله حقّ وما قاله عين الحقّ، ولا اعتراض، بل طاعة، ولكن الشك يراود عقولنا هل ما قيل عن الرسول قد قاله؛ فإنّ قاله؛ فهو الحقّ بعين القين، ولكن إن نسب له، ولا تأكيد سوى أنّه منسوب إليه؛ فلأمر يستوجب التبيّن.

ولهذا؛ فمن نفس واحدة تدلّ على وحدة الخلق الزوجي، ولا تدلّ على أسبقية آدم على زوجته، ولذا؛ فكيف لنا بأخذ القول: إنّ زوجه قد خلق من ضلعه والله يقول: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ)؟

ومع أنّ النشوء البشري من نفس واحدة، وهي: (الإنس) ولكن لكلّ نفسه، { جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا } 813، أي: جعل الأنفس من بعد آدم وزوجه، أنفساً متعدّدة؛ فبعد ذلك النشوء الزوجي من طينة واحدة (النفس الواحدة)، وهي طينة خلق (الإنس)، أصبحت الأنفس تتعدّد ولادة وسلالة زوجية، { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ

810 الأنعام 98.

811 النساء 32.

812 المعجم الأوسط، 1، 93.

813 الشورى 11.

جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ {814}.

تبين هذه الآية تطور النشوء البشري بداية ونهاية؛ فبداية كانت السلالة الخلقية من طين، والسلالة هنا، النوع ذو المعدن الثمين، ولذا؛ فسلالة نشوء البشر جاءت نوعاً متميزاً عن بقية السلالات، أي: أن سلالة نشوء الإنسان الأول (آدم وزوجه) سلالة طينية (تراب). ولكن أية تراب؟ إنه الصلصال، وهو أجود أنواع الطين الخلقى، {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} 815، والصلصال لم يكن فخاراً، بل يشبهه؛ فجاء التشبيه لتقريب المعنى والتعريف بالمشبه (كالفخار)، ومن ثم فقد ارتبط الصلصال بالنوعية الراقية والجودة الرفيعة.

### آدم حمل الأمانة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} 816، فَلَمْ تَقْبَلْهَا الْمَلَائِكَةُ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ جِلَّ وَعَزَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَضَهَا عَلَيْهِ، قَالَ: يَا رَبِّ، مَا هِيَ؟ قَالَ: إِنَّ أَحْسَنَتْ جَزِيَّتُكَ، وَإِنْ أَسَأَتْ عَذَّبْتُكَ، فَقَالَ: فَقَدْ تَحَمَّلْتُهَا يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَا كَانَ بَيْنَ أَنْ تَحْمَلَهَا إِلَى أَنْ حَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدَرُ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَى الْعَصْرِ" 817

814 المؤمنون 12 . 16.

815 الرحمن 14.

816 الأحزاب 72.

817 من حديث خيثمة بن سليمان، ص، 167.

مع أنّ حمل الأمانة ليس هينا، ولكن تميّز آدم بروح التحدي وقبول مواجهة الصّعب قبل، وتحدي وقد دفع الثمن، وهكذا من بعده بنوه يتحدّون ويدفعون الثمن، إلى أن تقوم السّاعة نبي من بعد نبي ورسول من بعد رسول، ومؤمنين من بعدهم مؤمنين. ولهذا فبنوا آدم على صورة آدم عليه الصّلاة والسّلام، عن مُسَلِّمٍ وَالنَّسَائِيّ وَالْجَمَاعَةُ إِلَّا الْبُخَارِيّ، وَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، خَلَقَ بَنِي آدَمَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا شَتِمَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ وَمَنْ يُشَبِّهُ وَجْهَهُ فَقَدْ شَتِمَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ"818.

وبعد أن تحمّل آدم أعباء الأمانة وظهر على الصّعب التي فيها، تبيّن له أنّ الأمر لا يعدّ هينا، فعندما أتته جبريل ذات مرّة؛ كان آدم طائعا وراجيا لله أن ييسّر له الأمر،

عَنْ كَعْبٍ " أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لَكَ: إِنَّهُ وَلَدَكَ عَنْ أَكْلِ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ الْمُعَلَّقَةَ بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عُقُوبُهَا مَحْجُوبَةٌ عَنِّي، قَالَ آدَمُ: فَمَا أَقُولُ يَا رُوحَ الْقُدُسِ؟ قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي مُؤَنَةَ الدُّنْيَا، وَأَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ الَّتِي قَدَّرْتَ عَلَيَّ الْخُرُوجَ مِنْهَا، فَقَالَهَا آدَمُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: وَجِبْتَ، ثُمَّ قَالَ: قُلْ يَا آدَمُ، قَالَ: مَا أَقُولُ يَا رُوحَ الْقُدُسِ؟ قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ أَلْسِنِي الْعَافِيَةَ كَيْ تُهَيِّبَنِي الْمَعِيشَةَ، فَقَالَهَا آدَمُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: وَجِبْتَ، ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: قُلْ: يَا آدَمُ، قَالَ: مَا أَقُولُ يَا رُوحَ الْقُدُسِ؟ قَالَ: قُلْ: "اللَّهُمَّ احْتِمِمْ لَنَا بِالْمَغْفِرَةِ حَتَّى لَا تَضُرَّنَا الدُّنُوبُ فَقَالَهَا آدَمُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: وَجِبْتَ"819.

والحمد لله ربّ العالمين.

818 التوحيد لابن منده، 1، 223.

819 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 5، 382.